إرشاد رسوليّ

ما بعد السينودس

كلمةُ الربّ

لقداسة البابا

بندكتوس السادس عشر

إلى الأساقفة والإكليروس والأَشخاص المكرّسين

وجميع المؤمنين

في: كلمة الله في حياة الكنيسة ورسالتها

EXHORTATION APOSTOLIQUE
POST-SYNODALE
VERBUM DOMINI
DU PAPE
BENOÎT XVI
AUX ÉVÊQUES, AU CLERGÉ,
AUX PERSONNES CONSACRÉES
ET AUX FIDÈLES LAÏCS
SUR LA PAROLE DE DIEU
DANS LA VIE ET DANS LA MISSION
DE L'ÉGLISE

حاضرة الفاتيكان

٢٠١٠

منشورات

اللجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام

جل الديب – لبنان

نشرت بعناية

المجمع المقدّس للكنائس الشرقيّة

الفاتيكان

١. «كلمة الربّ تبقى إلى الأبد، وهذه الكلمة هي الإنجيل الذي بُشِّرتم به» (١ بط ١: ٢٥؛ رج أش ٤٠: ٨). تضعُنا هذه العبارة من رسالة القدّيس بطرس الأُولى، والتي تستعيد كلمات أشعيا النبيّ، أَمام سرّ الله الذي يكشف ذاته من خلال عطيّة كلمتِه. هذه الكلمة، التي تبقى إلى الأبد، دخلت في الزمن. لقد لفظ الله كلمته الأَزليّة بطريقة بشريّة؛ فكلمته «صار جسدًا» (يو ١: ١٤). هذه هي البشرى السّارَّة. إنّه الإعلان الذي يخترق العصور لِيصلَ إِلينا اليوم. موضوع الجمعيّة العامّة العاديّة لمجمع الأَساقفة التي انعقدت في الفاتيكان من الخامس إِلى السادس والعشرين من تشرين الأَوّل سنة ألفين وثمانٍ، كان «**كلمة الله في حياة الكنيسة وفي رسالتها**». جاءت خبرة عميقة للّقاء بِالمسيح، كلمة الآب، الحاضر حيثما اجتمع اثنان أَو ثلاثة باسمه (مت ١٨: ٢٠). في هذا الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، أُرحّب بكلِّ طيبة خاطر بطلب الآباء أن نعرّف شعب الله كلّه بالغنى الناتج عن الجلسات الفاتيكانيّة، والتعليمات الصادرة عن العمل المشترك[1]. من هذا المنظار، أَودّ أن أَعود إِلى كلّ ما حقّقه السينودس، آخذًا بالاعتبار ما قُدّم من وثائق: **الخطوط العريضة، وأداة العمل، وتقارير ما قبل المناقشة وبعدها**، ونصوص المداخلات التي تُليت في الاجتماعات والتي وُضِعَت كتابةً، وتقارير فِرَق العمل وتبادلهم الآراء، والرسالة الختاميّة الموجَّهة إِلى شعب الله، وبخاصّة بعض **الاقتراحات** المعيَّنة التي أبقى عليها الآباء باعتِبارها ذات فائدة خاصّة. بهذه الطريقة أَودّ أَن أشير إِلى بعض الخطوط الأَساسيّة لأجل إعادة اكتشاف كلمة الله في حياة الكنيسة، هذه الكلمة الإلهيّة، التي هي ينبوع تجدُّد ثابت، مُتمنِّيًا في الوقت عينه أن تُصبح دومًا أَكثر فأَكثر قلبَ كلِّ نشاط كنَسيّ.

لكي يكون فرحنا تامًّا

٢. أَودّ قبل كلِّ شيء أَن أستذكر هذا الجمال الجذّاب للّقاء المتجدّد مع الربّ يسوع، الذي اختبرناه خلال الجمعيّة السينودسيّة. لِذلك، إذ أُردّد صدى أَصوات الآباء، أَتوجّه إِلى جميع المؤمنين بكلمات القدّيس يوحنّا في رسالته الأُولى: «إنّنا نبشّركم بهذه الحياة الأَبديّة التي كانت عند الآب وظهرت لنا. ما تأمّلناه وما سمعناه، به نبشّركم أَنتم أَيضًا، لكي تكونوا، أَنتم أَيضًا، في شركة معنا، كما نحن في شركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١ يو ١: ٢-٣). يستعمل الرسول الأفعال **سمع، رأى، لمس، تأمّل** (رج ١ يو ١: ١) كلمةَ الحياة، لأَنّ الحياة

[1] رج المقترح ١.

ذاتها ظهرت في المسيح. ونحن المدعوّين إلى الشركة مع الله وبعضنا مع بعض، علينا أَن نكون رسل هذه العطيّة. من هذا المنظار الكرازيّ، كانت الجمعيّة السينودسيّة، للكنيسة وللعالم، شهادةً لجمال اللقاء مع كلمة الله في الشركة الكنسيّة. لذا أحثّ جميع المؤمنين على أَن يختبروا من جديد اللقاء الفرديّ والجماعيّ مع المسيح، كلمة الحياة الذي أظهر ذاته، وأَن يجعلوا من ذاتهم رسلاً له، لكي تنتشر عطيّة الحياة الإلهيّة، أَي الشركة، أَكثر فأَكثر في العالم كلّه. في الواقع، إنّ المشاركة في حياة الله، التي هي ثالوثُ محبّة، هي **تمام الفرح** (رج ١ يو ١: ٤). وإنّها لعطيّة ومَهَمّة موجبة للكنيسة أَن تنقل الفرح الناتج عن اللقاء بشخص المسيح، كلمة الله، الحاضر في ما بيننا. وفي عالم يعتبر الله في الغالب غير مُجْدٍ أَو بعيدًا، نعترف نحن، مثل بطرس، أَنّ لديه وحده "كلام الحياة الأَبديّة" (يو ٦: ٦٨). ليس هناك من أَولويّة أَعظم من هذه، ألا وهي أن نفتح من جديد لإنسان اليوم نافذةً للبلوغ إلى الله، إلى الإله الذي يتكلّم، والذي يعطينا حبَّه لكي تكون لنا الحياة بوَفرة (رج يو ١٠: ١٠).

من «كلمة الله» إلى السينودس حول كلمة الله

٣. مع الجمعيّة العامّة الثانية عشرة العاديّة لسينودس الأَساقفة حول كلمة الله، نحن نَعي أنّنا اخترنا موضوعًا يُشكِّل، بمعنًى ما، قلبَ الحياة المسيحيّة بالذات، وذلك بالتواصل مع جمعيّة السينودس السابقة حول **الإفخارستيّا، ينبوع حياة الكنيسة ورسالتها وذروتهما**. في الواقع، الكنيسة مؤسّسة على كلمة الله، منها تولد وتعيش[٢]. فيها وجد شعب الله دائمًا قوّته، طوالَ قرونِ تاريخه؛ واليومَ أيضًا تنمو الجماعة الكنسيّة في الإصغاء إلى كلمة الله والاحتفال بها ودرسها. علينا أَن نقرَّ أَنّه، على مدى العقود الأَخيرة، ازداد حِسُّ الحياةِ الكنسيّةِ تجاه هذا الموضوع، مع انتباه خاصّ إلى الوحي المسيحيّ، والتقليد الحيّ، والكتاب المقدّس. منذ حبريّة البابا لاون الثالث عشر، كان هناك ازدياد في المداخلات التي تنزع إلى مضاعفة الوعي لأهمّيّة كلمة الله، والدراسات البيبليّة في حياة الكنيسة[٣]، بلغت أوجها في المجمع الفاتيكانيّ الثاني، وبخاصّة مع نشر الدستور العقائديّ حول الوحي الإلهيّ «**كلمة الله**». ويُمثّل هذا الدستور العقائديّ حدًّا مفصليًّا في الطريق الكنسيّ: «بامتنان يعترف آباء السينودس بالفوائد التي حملتها هذه الوثيقة إلى حياة الكنيسة من الناحية التأويليّة واللاهوتيّة والروحيّة والرعويّة والمسكونيّة»[٤]. خلال هذه

---

[٢] رج الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة، **أداة العمل**، رقم ٢٧.

[٣] رج لاون الثالث عشر، الرسالة العامّة، **الله الكلّيّ العناية** (١٨ تشرين الثاني ١٨٩٣): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** (١٨٩٣-١٨٩٤) ٢٦٩-٢٩٢؛ بنديكتوس الخامس عشر، الرسالة العامّة، **الروح البارقليط** (١٥ أيلول ١٩٢٠): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٢ (١٩٢٠) ٣٨٥-٤٢٢؛ بيوس الثاني عشر، الرسالة العامّة، **هبوب الروح الإلهيّ** (٣٠ أيلول ١٩٤٣): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٣٥ (١٩٤٣) ٢٩٧-٣٢٥.

[٤] المقترح ٢.

السنوات، ازداد بنوع لافتٍ وعيُ «الأفقِ الثالوثيّ والتاريخيّ والخلاصيّ للوحي»[٥]، والاعتراف بيسوع المسيح أنَّه «وسيط الوحي كلِّه وملؤه»[٦]. تقرّ الكنيسة باستمرار أَمام الأجيال كلِّها بأَنّ المسيح، «بكلِّ حضوره وإظهار ذاته، بأقواله وأعماله، بآياته وعجائبه، وخاصّة بموته وقيامته المجيدة من بين الأموات، وأخيرًا بإرسال روح الحقّ، يكمّل الوحي منجزًا إيّاه»[٧].

يعرف الجميع الدفعَ الكبيرَ الذي أعطاه الدستور العقائديّ «**كلمة الله**» لاكتشاف كلمة الله من جديد في حياة الكنيسة، وللتفكير اللاهوتيّ حول الوحي الإلهيّ، ولدراسة الكتاب المقدّس. لقد كانت أيضًا عديدة مداخلات السلطة الكنسيّة حول هذه الموادّ طوال الأَربعين سنة الأَخيرة[٨]. مع الاحتفال بهذا السينودس، شعرت الكنيسة، وقد وعت هذا التواصل لمسيرتها بقيادة الروح القدس، أنّها مدعوّة إلى أن تعمّق أَكثر فأكثر موضوعَ الكلمة الإلهيّة، لكيما، في الوقت عينه، تتحقّق من تطبيق التوجيهات المجمعيّة، وتواجه التحدّيات الجديدة التي يرميها الزمن الحاضر في وجه مَن يؤمنون بالمسيح.

سينودس الأساقفة حَول كلمة الله

٤. أَثناء انعقاد السينودس في الجمعيّة الثانية عشرة، اجتمع رعاة آتون من العالم كلّه حول كلمة الله، ووضعوا بصورة رمزيّة، في وسط الجماعة، نصّ الكتاب المقدّس لكي يكتشفوا من جديد ما قد نعتبره، في الحياة اليوميّة،

---

[٥] المرجع ذاته.

[٦] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٢.

[٧] المرجع ذاته، رقم ٤.

[٨] من بين المداخلات المختلفة الأنواع نذكّر بما يلي: بولس السادس، رسالة رسوليّة، **كلمة الله العليّ** (٤ تشرين الثاني ١٩٦٣): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٥٥ (١٩٦٣)، ص ٩٧٩-٩٩٥؛ المؤلِّف ذاته، إرادة رسوليّة، **تجديد الرعاية** (٢٧ حزيران ١٩٧١): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٦٣ (١٩٧١)، ص ٦٦٥-٦٦٩؛ يوحنّا بولس الثاني، مقابلة عامّة (١ أيار ١٩٨٥): *L'ORf,* 2-3 mai 1985, p. 12؛ المؤلِّف ذاته، خطاب حول **تفسير البيبليا في الكنيسة** (٢٣ نيسان ١٩٩٣): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٦ (١٩٩٤)، ص ٢٣٢-٢٤٢: *La DC* 2073, p. 503 .n؛ بندكتوس السادس عشر، مقابلة في مؤتمر الذكرى الأربعين لصدور الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله** (١٦ أيلول ٢٠٠٥): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٧ (٢٠٠٥)، ص ٩٥٧؛ *L'ORf,* 20 septembre 2005, p. 3؛ المؤلِّف ذاته، **التبشير الملائكيّ** (٦ تشرين الثاني ٢٠٠٥): *L'ORf,* 8 novembre 2005, p. 1. يجب التذكير أيضًا بمداخلات اللجنة البيبليّة الحبريّة، **في الكتاب المقدّس والكريستولوجيا** (١٩٨٤): *Ench.Vat.* 9. n. 1208-1339؛ **الوحدة والتنوّع في الكنيسة** (١١ نيسان ١٩٨٨): *Ench.Vat* 11. N.544-643.؛ **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥ نيسان ١٩٩٣): *Ench.Vat.* 13. n. 2846-3150؛ **الشعب اليهوديّ وكتبه المقدّسة في البيبليا المسيحيّة** (٢٤ أيار ٢٠٠١): *Ench.Vat.* 20. n. 733-1150؛ **البيبليا والأخلاق، الجذور البيبليّة للعمل السلوك المسيحيّ** (١١ أيار ٢٠٠٨)، حاضرة الفاتيكان ٢٠٠٨.

أَمرًا بديهيًّا، ألا وهو **أنَّ الله يكلّمنا ويُجيب على أسئلتنا**[٩]. لقد أصغينا إلى كلمة الربّ، واحتفلنا بها معًا. لقد أَخبرنا بعضنا بعضًا ما يحقِّقه الربّ في وسط شعب الله، متشاركين في آماله واهتماماته. كلّ هذا جعلنا نعي أنّه لا يمكننا تعميق علاقتنا بكلمة الله إلاّ انطلاقًا منْ «نحن» الكنيسة، في الإصغاء والقبول المتبادل. من هنا ينبثق العرفان بالجميل من أجل الشهادات حول الحياة الكنسيّة في مختلف مناطق العالم، كما برزت من المداخلات المختلفة في قاعة السينودس. بالطريقة عينها أَيضًا، كان مؤثِّرًا سماع الإخوة المندوبين الذين قبلوا الدعوة إلى المشاركة في اللقاء السينودسيّ. يذهب فكري خاصّة إلى التأمّل الذي قدّمه لنا قداسة برتلماوس الأوّل، بطريرك القسطنطينيّة المسكونيّ، والذي حظي لدى الآباء بتقدير عميق[١٠]. بالإضافة إلى ذلك، وللمرّة الأولى، أراد سينودس الأَساقفة أن يدعو حاخامًا يهوديًّا لإعطائنا شهادةً ثمينةً عن كتب اليهود المقدّسة، والتي، في الواقع، تؤلّف جزءًا من كتبنا المقدّسة[١١].

استطعنا هكذا أَن نستنتج بفرح وامتنان أنّ «في الكنيسة، اليوم أَيضًا، عنصرةً جديدة، أي أنّها تتكلّم بلغات عدّة، ليس فقط بالمعنى الظاهريّ لكون لغات العالم الكبيرة كلّها ممثّلَةً فيها، إنّما أيضًا بمعنى أَعمق: فيها حاضرة طُرُق اختبار الله والعالم العديدة، غنى الثقافات، وهكذا فقط يظهر كلّ مدى الوجود الإنسانيّ، ومنه كلّ مدى كلمة الله»[١٢]. علاوةً على ذلك، استنتجنا أيضًا عنصرةً تواصل مسيرَها؛ هناك شعوب مختلفة لا تزال تنتظر أن تُعلَن كلمة الله في لغتها وفي ثقافتها.

كيف لا نتذكّر أيضًا أنّ شهادة بولس الرسول كانت ترافقنا طوال مدّة انعقاد السينودس! لقد كان من عَمل العناية الإلهيّة أنّ الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة عُقدت خلال السنة المكرّسة لشخصيّة رسول الأُمم العظيم، بمناسبة مرور أَلفي سنة على مولده. تميَّزَت حياته كلُّها بالغيرة على نشر كلمة الله. وكيف لا نسمع في قلوبنا صدى كلماته النابضة بالحياة في إشارة إلى مهمّته كمعلِنٍ للكلمة الإلهيّة: «إنيّ أصنع كلّ هذا في سبيل الإنجيل» (١ قو ٩: ٢٣)؛ «فأنا لا أَخجل من أَن أَكون في خدمة الإنجيل، يكتب في **رسالته إلى الرومانيّين**، إذ هو قوّة الله

---

[٩] رج بندكتوس السادس عشر، خطاب للكوريا الرومانيّة (٢٢ كانون الثاني ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠١ (٢٠٠٩)، ص ٤٩؛ *L'ORf*, 23/30 décembre 2008, p. 3.

[١٠] رج المقترح ٣٧.

[١١] رج اللجنة البيبليّة الحبريّة، **الشعب اليهوديّ وكتبه المقدّسة في البيبليا المسيحيّة** (٢٤ أيار ٢٠٠١): *Ench. Vat.* 20. n. 733-1150.

[١٢] بندكتوس السادس عشر، خطاب للكوريا الرومانيّة (٢٢ كانون الأوّل ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠١ (٢٠٠٩) ص ٥٠؛ *L'ORf*, 23/30 décembre 2008, p. 4.

لأَجل خلاص كلِّ مَن يؤمن» (١: ١٦). عندما نفكّر بكلمة الله في حياة الكنيسة ورسالتها، لا نستطيع إلاّ أَن نفكّر بالقدّيس بولس وبحياته التي وهبها من أجل أن يُسمِعَ الجميعَ بشارةَ خلاصِ المسيح.

مقدّمة إنجيل يوحنّا كدليل

٥. بهذا الإرشاد الرسوليّ أرغب في أَن تؤثّر مكتسبات السينودس تأثيرًا فاعلاً في حياة الكنيسة: في العلاقة الشخصيّة بالكتب المقدّسة، في شرح هذه الكتب في الليتورجيا وفي التعليم المسيحيّ، كما أيضًا في البحث العلميّ، كي لا يبقى الكتاب المقدّس كلمة من الماضي، بل كلمة حيّة راهنة. لهذه الغاية، أُريد إِظهار نتائج السينودس وتعميقها بالعودة المستمرّة **إِلى مقدّمة إِنجيل يوحنّا** (يو ١: ١–١٨) الذي فيه أُعطينا أَساس حياتنا: الكلمة، الذي، منذ الأَزل، هو لدى الله، صار جسدًا، وسكن بيننا (رج يو ١: ١٤). إِنَّه نصٌّ رائع يقدّم ملَخَّصًا لمجمل الإِيمان المسيحيّ. إِنطلاقًا من هذا الاختبار الشخصيّ الذي يتمثَّل بِلقاء المسيح واتّباعه، استخلص يوحنّا، الذي يماهي التقليدُ بينه وبين «التلميذ الذي كان يسوع يحبّه» (يو ١٣: ٢٣؛ ٢٠: ٢؛ ٢١: ٧–٢٠)، هذا التأكيدَ الحميم: يسوع هو حكمة الله المتجسّدة؛ إِنّه كلمته الأَزليّة الذي صار إِنسانًا قابلاً للموت[١٣]. فليساعدنا ذاك الذي «رأى وآمن» (يو ٢٠: ٨)، نحن أَيضًا، على إِسناد رأسنا إِلى صدر المسيح (يو ١٣: ٢٥)، من حيث جرى دم وماء (يو ١٩: ٣٤)، رمزًا إِلى أسرار الكنيسة. على مثال الرسول يوحنّا وسائر الكتّاب الملهمين، فَلنَدَعِ الروحَ القدس يقودنا لكي نستطيع **أَن نحبَّ كلمة الله أَكثر فأَكثر**.

[١٣] رج بندكتوس السادس عشر، **التبشير الملائكيّ** (٤ كانون الثاني ٢٠٠٩): *L'OR f*, 6 janvier 2009, p. 7.

القسم الأوّل

كلمة الله

«في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله،
والكلمة كان الله [...]
والكلمة صار بشرًا» (يو ١: ١، ١٤)

الله الذي يتكلّم

الله في حوار

٦. يكمن جَديدُ الوحي البيبليّ في أَنّ الله يُعرِّف عن ذاته في الحوار الذي يودّ أَن يقيمه معنا[١٤]. كان الدستور العقائديّ «**كلمة الله**» قد عرض هذه الحقيقة باعترافه أنّ «الله اللامنظور، في عِظَمِ محبَّته (...)، يخاطب البشر كأَصدقاء، ويتحدّث إِليهم ليدعوهم إِلى الدخول في شراكة معه، ويقبلهم في هذه الشركة»[١٥]. لكن لن يكن بمقدورنا أن نفهم فهمًا تامًّا رسالة مقدّمة إنجيل يوحنّا إِذا لم ندرك أَنّ الله يتواصل معنا بالمحبَّة. في الواقع، إنّ كلمة الله الذي «به كان كلّ شيء» (يو ١: ٣)، والذي «صار بشرًا» (١: ١٤)، هو اللهُ ذاته الذي كان في البدء (يو ١: ١). وإذا رأينا هنا تلميحًا إِلى بدء سفر التكوين (رج تك ١: ١)، نجد ذواتنا فعلاً أَمام **مبدأ** ذي طابعٍ مطلق يكشف لنا حياة الله الحميمة. تضعنا المقدّمة اليوحنَّويّة أَمامَ واقعٍ أنّ **الكلمة** هو كائنٌ حقًّا **منذ البدء**، ومنذ البَدء **هو نَفسُه الله**. بالتالي، ليس هناك في الله زمن لم يكن **الكلمة** فيه. الكلمة كائن قبل الخليقة. لذلك فإنّ الشركة، وهي العطيّة المطلقة، هي موجودة في قلب الحياة الإلهيّة. «الله محبّة» (١ يو ٤: ١٦)، يقول الرسول نَفسُه في مكان آخر، مُشيرًا بذلك إِلى «الصورة المسيحيّة لله، وكذلك إِلى صورة الإنسان وطريقه التي تنتج عنها»[١٦]. يعرّفنا الله بذاته أنّه سرّ محبّة لامتناهية حيث الآب، منذ الأَزل، ينطق بكلمته في الروح القدس. بالتالي، فالكلمة، الذي هو لدى الله منذ البدء، والذي هو الله، يكشف لنا اللهَ بالذات في حوار حبّ الأَقانيم الإلهيّة، ويدعونا إِلى أن نشترك فيه. لذلك، إِذ نحن مخلوقون على صورة الله–المحبّة ومثاله، لا نَستطيع أَن نفهم ذواتنا إِلاّ في تَقبُّل الكلمة، وفي الانقياد لعمل الروح القدس؛ ففي ضوء الوحي الذي حقّقه الكلمة الإلهيّ يتوضّح نهائيًّا لغز الوضع البشريّ.

---

[١٤] رج الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة، **تقرير ما قبل المناقشة**: *L'ORf*, 4 novembre 2008, p. 9.

[١٥] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٢.

[١٦] بندكتوس السادس عشر، الرسالة العامّة، **الله محبّة** (٢٥ كانون الأوّل ٢٠٠٥)، رقم ١: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٨ (٢٠٠٦)، ص ٢١٧–٢١٨.

مماثلة كلمة الله

٧. إنطلاقًا من هذه الاعتبارات، التي تنتج عن التأمّل في السرّ المسيحيّ المعبَّر عنه في مقدّمة يوحنّا، من الضروريّ الآن التنويه بما أكّده آباء المجمع بخصوص الطُرُق المتنوّعة التي بها نستعمل عبارة «كلمة الله». فقد جرى الكلام بالصواب على سمفونيّة الكلمة، الكلمة الوحيدة التي يُعبَّر عنها بطُرُق مختلفة: «كَنشيد متعدّد الأَصوات»[١٧]. في هذا الصَدَد، تكلّم آباء السينودس، في إشارة إلى كلمة الله، على استعمالٍ تماثليّ للكلام البشريّ. في الواقع، إذا كان هذا التعبير يتعلّق، من جهة، بما يُبلِغه الله عن ذاته، عن الآخَر، فهي تحتمل، من جهة ثانية، معاني مختلفة يجب أخذُها بعين الاعتبار وبانتباه، وربطها بعضها ببعض، إن من حيث التفكير اللاهوتيّ، وإن من حيث استعمالها الراعويّ. كما تبيّن لنا بوضوح مقدّمة يوحنّا، يشير **الكلمة** أساسًا إلى الكلمة الأَزليّ، أَي الابن الوحيد المولود من الآب قبل كلّ الدهور، والمساوي له في الجوهر: **كان الكلمة لدى الله، والكلمة كان الله.** لكنّ هذا الكلمة ذاته، كما يؤكّد يوحنّا، "صار جسدًا" (يو١: ١٤)؛ لذا، فإنّ يسوع المسيح، المولود من العذراء مريم، هو حقًّا كلمة الله الذي صار مساويًا لنا في الجوهر. بالتالي، تُشير العبارة «كلمة الله» إلى شخص يسوع المسيح، ابن الله الأَزليّ الذي صار إنسانًا.

ومن جهة أخرى، إذا كان حدث المسيح هو في وسط الوحي الإلهيّ، فعلينا أَن نقرّ بأنَّ الخلق ذاته، أي **كتاب الطبيعة**، هو أيضًا جزء أساسيّ من هذه السمفونيّة المتعدّدة الأصوات، التي بواسطتها يُعبّرُ الكلمة الوحيد عن نفسه. ونؤكّد في الوقت عينه أنّ الله أوصل كلمته في تاريخ الخلاص، وأسمع صوته؛ وبقوّة روحه «تكلّم بالأَنبياء»[١٨]. فالكلمة الإلهيّة تتجلّى عبرَ تاريخ الخلاص، وتبلغ ملأها في سرّ التجسّد، وموت ابن الله وقيامته. وكلمة الله هي أَيضًا تلك التي بشّر بها الرسل طاعةً لوصيّة يسوع القائم من الموت: «إذهبوا في العالم كلّه، وأعلنوا البشارة للخليقة كلّها» (مر ١٦: ١٥)؛ فكلمة الله تُنقَل إذًا في تقليد الكنيسة الحيّ. أَخيرًا، إنّ الكلمة الإلهيّة التي أيّدها الله وأَوحاها، هي الكتاب المقدّس بعهدَيه القديم والجديد. كلّ هذا يجعلنا نفهم السبب الذي لأجله نجلّ كثيرًا الكتاب المقدّس، في الكنيسة، حتّى ولو لم يكن الإيمان المسيحيّ «دينَ الكتاب»: المسيحيّة هي «ديانة كلمة الله»، ليس ديانة كلمة مكتوبة وبكماء، بل ديانة «الكلمة المتجسّد والحيّ»[١٩]. فيجب إذًا إعلان الكتاب

---

[١٧] الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة، **أداة العمل**، رقم ٩.

[١٨] قانون إيمان نيقيا القسطنطينيّة: *DS* 150.

[١٩] القدّيس برنردوس دي كليرفو، عظة حول القدّاس، IV، ١١: **الآباء اللاتين** ١٨٣، ٨٦ب.

المقدّس، والإصغاء إليه، وقراءته، وتقبّله، وعيشه على أنّه كلمة الله، وذلك على خطى التقليد الرسوليّ الذي لا ينفصل عنه[٢٠].

كما أَكّد آباء السينودس، نجد ذواتنا حقًّا أمامَ استعمال مماثل لعبارة «كلمة الله»، وهذا ما ينبغي أن نعيه. يجب إذًا أن يكونَ المؤمنونَ مُعَدّين أكثر ممّا هم عليه الآن لإدراك المعاني المختلفة ولفهم وحدتها. كذلك على الصعيد اللاهوتيّ، من الضروريّ تعميق بَلْوَرة المعاني المختلفة لهذه العبارة، لكي تتألّق أَكثر فأكثر وحدةُ قصدِ اللهِ ومِحْوَرُه: شخص المسيح[٢١].

بُعْدُ الكلمةِ الكونيّ

٨. إنّنا إذ نعي المعنى الجوهريّ للكلمة في إشارة إلى كلمة الله الأَزليّ الذي صار بشرًا، المخلّصَ الوحيدَ والوسيطَ بين الله والناس[٢٢]، وإذ نصغي إلى هذه الكلمة، يحملنا الوحي الكتابيّ إلى اليقين أنَّها أَساس الحقيقة كلِّها. وتؤكّد مقدّمة القدّيس يوحنّا، في إشارة إلى **الكلمة** الإلهيّ، أَنْ «به كان كلّ شيء، وبدونه لم يكن شيء ممّا كُوِّن» (يو ١: ١٣). كذلك يتمّ التأكيد في **الرسالة إلى أَهل كولوسي**، بشأن المسيح، أنّه «بكرُ كلِّ خَلْقٍ» (١: ١٥)، وأنّ «كلّ شيء خُلِقَ به وله» (١: ١٦). ويُذكّر كاتب **الرسالة إلى العبرانيّين** أيضًا أنَّه «بفضل الإيمان ندرك أنّ العوالم نُظّمت بكلمة الله، بحيث أنّ الكون المنظور ينشأ عمّا لا يُرى» (١١: ٣).

هذا الإعلان هو بالنسبة إلينا كلمة مُحرِّرَة. في الواقع، تدلّ تأكيدات الكتاب المقدّس على أنّ كلّ ما هو موجود ليس ثمرة صدفة لاعقلانيّة، بل الله شاءه، وهو ضمن تصميمه، الذي في وسطه وُهِبَ لنا أن نشترك في الحياة الإلهيّة في المسيح. تولد الخليقةُ من **الكلمة**، وتحمل بطريقة لا تزول سمة **العقل الخلاّق الذي ينظِّم ويُرشد**. تُنشد المزامير هذا اليقين السارّ: «صنع الربّ السماواتِ بكلمته، والكونَ بِنَفَسِ فمِه» (مز ٣٣: ٦)؛ وأيضًا: «تكلّمَ، فكان ما قال؛ أَمرَ، فما قال وُجد» (٣٣: ٩). يعبّرُ كلّ الواقع عن هذا السرّ: «تحدّث السموات بمجد الله، ويُخبرُ الجَلَدُ بعملِ يدَيه» (مز ١٩: ٢). بالنتيجة، فإنّ الكتاب المقدّس ذاتُه هو الذي يدعونا إلى معرفة الخالق من خلال مراقبة الخلق (رج مز ١٣: ٥؛ رو ١: ١٩-٢٠). لقد عرف تقليدُ الفكرِ المسيحيّ أن يعمّق هذا العنصر الأساسيّ لسمفونيّة الكلمة، عندما رأى القدّيس بونونتورا، مثلاً، مع التقليد الكبير للآباء اليونانيّين، كلَّ

---

[٢٠] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ١٠.

[٢١] رج المقترح ٣.

[٢٢] رج مجمع عقيدة الإيمان، إعلان حول وحدانيّة يسوع المسيح والكنيسة وشموليّتهما الخلاصيّة، **الربّ يسوع** (٦ آب ٢٠٠٠)، رقم ١٣-١٥: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٢ (٢٠٠٠)، ص ٧٥٤-٧٥٦.

إمكانيّات الخلق في **الكلمة**[٢٣]، فأكّد أنّ **"كلّ خليقة هي كلمة من الله لأنّها تعلن الله**[٢٤]. كان الدستور العقائديّ، **كلمة الله**، قد اختصر هذا العنصر عندما أعلن أنّ «الله، بِخَلْقِه (رج يو ١: ٣) كلّ شيء وبالمحافظة عليه بالكلمة، يُقدِّم للإنسان عبرَ الأشياء المخلوقة شهادةً دائمةً عن ذاته»[٢٥].

خَلْق الإنسان

٩. يولد الواقع إذًا من الكلمة، **كمخلوقِ الكلمة**، وكلّ شيء مدعوّ إلى أن يخدم الكلمة. بالفعل، الخليقة هي المكان الذي فيه ينمو كلّ تاريخ الحبّ بين الله وخَلْقِهِ. بالتالي، خلاص الإنسان هو علّة كلّ شيء. عندما نتأمّل الكون، من منظور تاريخ الخلاص، نكتشف بذات الفعل المكانة الوحيدة والفريدة التي يحتلّها الإنسان في الخليقة: «خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرًا وأنثى خلقهما» (تك ١: ٢٧). يسمح لنا هذا الأمر بأن نُدرك بالتمام العطايا التي تلقّيناها من الخالق، ألا وهي: قيمة جسدنا بالذات، وعطيّة العقل والحرّيّة والضمير. في هذا نجد أيضًا كلّ ما يدعوه التقليد الفلسفيّ «الشريعة الطبيعيّة»[٢٦]. بالفعل، «كلّ كائن بشريّ يبلغ الوعي والمسؤوليّة يختبر دعوة داخليّة لعمل الخير»[٢٧]، وبالتالي، لتجنّب الشرّ. ذكَّرَ القدّيس توما الأكويني بأنَّ كلّ قواعد الشريعة الطبيعيّة هي مؤسّسة أيضًا على هذا المبدأ[٢٨]. يحملنا الإصغاء إلى كلمة الله قبل كلّ شيء على أن نثمّن ضرورة العيش وفق هذه الشريعة «المكتوبة في قلوبنا» (رج رو ٢: ١٥؛ ٧: ٢٣)[٢٩]. إضافة إلى ذلك، يُعطي يسوع المسيح الناسَ الشريعةَ الجديدة، شريعة الإنجيل، التي تأخذ على عاتقها الشريعة الطبيعيّة وتُحقّقها بطريقة رفيعة، إذ تحرّرنا من شريعة الخطيئة التي، كما يقول القدّيس بولس، تجعل «ما هو في متناول يدي، هو الرغبة في عمل الخير،

---

[٢٣] I, 8: Opera Cf. *In Hexaemeron,* XX, 5: Opera Omnia, V, Quaracchi 1891, pp. 425-426 ; *Breviloquium* Omnia, V, Quaracchi 1891, pp. 216-217.

[٢٤] Saint Bonaventure, *Itinerarium mentis in Deum,* II, 12 : Opera Omnia, V, Quaracchi, 1891, pp. 302-303 ; cf. *Commentarius in librum Ecclesiastes,* Chap. 1, vers. 11; *Quaestiones*, II, 3, Quaracchi 1891, p. 16.

[٢٥] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٣؛ رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الأوّل، الدستور العقائديّ حول الإيمان الكاثوليكيّ، **ابن الله**، فصل ٢، في الوحي: *DS* 3004.

[٢٦] رج المقترح ١٣.

[٢٧] اللجنة اللاهوتيّة الدوليّة، بحثًا عن أخلاقيّة كونيّة: نظرة جديدة على القانون الطبيعيّ، رقم ٣٩.

[٢٨] رج *Summa Theologiae,* Ia-IIae, q. 94, a. 2.

[٢٩] رج اللجنة البيبليّة الحبريّة ، **البيبليا والأخلاق، الجذور البيبليَّة للتصرُّف المسيحيّ** (١١ أيار ٢٠٠٨)، الأرقام ١٣، ٣٢ و١٠٩.

وليس إنجازُه» (رو ٧: ١٨)، وبالنعمة يتيح للناس أن يشاركوا في الحياة الإلهيّة ويهبهم القدرة على تخطّي أنانيَّتهم[٣٠].

واقعيّة الكلمة

١٠. مَن يعرف الكلمة الإلهيّة يعرف أيضًا بالتمام معنى كلّ مخلوق. في الواقع، إذا كانت الأَشياء كلّها تتماسك معًا بِالذي هو «قبل كلّ الأَشياء» (رؤج كول ١: ١٧)، عندها مَن يبني حياته الخاصّة على كلمة الله، يبني حقًّا بطريقة متينة ودائمة. تدفعنا كلمة الله إلى تغيير فكرتنا حَول الواقعية. الشخص الواقعيّ هو الذي يرى في كلمة الله أَساس كلّ شي[٣١]. نحن بحاجة ماسّة خاصّةً إلى هذه الواقعيّة في زماننا، حيث إنّ أَشياء كثيرة نثق بها في بناء حياتنا، ونتعرّضُ لتجربةِ وضعِ رجائنا فيها، تبدو أنّها سريعةَ الزوال. عاجلاً أَم آجلاً، يتكشّفُ عَجْزُ المِلْكِيّةُ واللّذةُ والسلطةُ عن تَحقيق أَعمق طموحات قلب الإنسان. في الواقع، لكي يبنيَ الإنسان حياته، هو بحاجة إلى أُسس متينة تبقى، حتّى عندما تتلاشى الثوابت البشريّة. بالفعل، "لأنّ كلمتك، يا ربّ، تقوم في السماء إلى الأبد"، وأَمانة الربّ تدوم "من جيل إلى جيل" (رج مز ١١٩: ٨٩-٩٠)، فَمن يبني على هذه الكلمة، يبني مسكن حياته على الصخر (رج مت ٧: ٢٤). عسى أن يقول قلبُنا كلَّ يومٍ لله: «أَنت مَلجأي ومِجنّي، وكلمتك رجائي» (مز ١١٩: ١١٤)، وكبطرس عسانا أن نتصرّف كلّ يوم مُسَلِّمين ذواتِنا للربّ يسوع: «لأجلِ كلمتِك، أُلقي الشباك» (لو ٥: ٥)!

كريستولوجيا الكلمة

١١. انطلاقًا من هذه النظرة إلى الواقع كعمل الثالوث الأَقدس، من خلال الكلمة الإلهيّة، نستطيع أَن نفهم كلام كاتب **الرسالة إلى العبرانيّين**: « في القديم، غالبًا ما كلّم اللهُ آباءَنا بالأَنبياء بأشكال مجتزأة ومتنوّعة، ولكن، في الأزمنة الأخيرة، في أَيّامنا هذه، كلّمنا بهذا الابن الذي جعله وارثًا لكلّ شيء، وبه خلق العالمين» (١: ١-٢). إنّه لَحَسَنٌ أن نلاحظ أنّ العهد القديم كلّه يبدو لنا اليوم كالتاريخ الذي فيه ينقل اللهُ كلمتَه: «في الواقع، بعد أَن قطع الله عهدًا مع إبراهيم (رج تك ١٥: ١٨)، ومع شعب إسرائيل بواسطة موسى (رج خر ٢٤: ٨)، كشف ذاته للشعب الذي اقتناه، بأقوال وأعمال، على أنّه الإله الوحيد، الحيّ، والحقيقيّ، بحيث أنّ إسرائيل اختبر طرق

---

[٣٠] رج اللجنة اللاهوتيّة العالميّة، بحثًا عن أخلاقيّة كونيّة: نظرة جديدة على القانون الطبيعيّ، رقم ١٠٢.

[٣١] رج بندكتوس السادس عشر، تأمّل **بمناسبة افتتاح سينودس الأساقفة** (٦ تشرين الأوّل ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٨)، ٧٥٨-٧٦١؛ *L'ORf,* 14 octobre 2008, p. 11.

الله مع البشر، حتّى اقتنى فهمًا أَعمق وأَوضح يومًا بعد يوم، بفضل الله الذي تكلّم بفم الأَنبياء، والذي أظهر ذلك بشكل أوسع بين الأُمم (رج مز ٢١: ٢٨-٢٩؛ ٩٥: ١-٣؛ أش ٢: ١-٤؛ إر ٣: ١٧)[٣٢].

تحقّق رضى الله هذا بنوع لا يُجارى عند تجسّد الكلمة. إنّ الكلمة الأزليّة التي تمّ التعبير عنها في الخليقة، والتي تُنقَل في تاريخ الخلاص، قد صارت في المسيح إنسانًا، «مولودًا من امرأة» (غل ٤: ٤). لم يعد هنا التعبير عن الكلمة يتمّ أوّلاً عبرَ خطاب مكوَّن من مفاهيم وقواعد. نحن موضوعون هنا أَمام شخص يسوع بالذات. تاريخه الوحيد والفريد هو الكلمة النهائيّة التي يقولها الله للبشريّة. نفهم إذّاك لماذا «ليس في أَصل الكيان المسيحيّ قرار أَخلاقيّ ولا فكرة هامّة، بل لقاء بحدث، بشخص يعطي لِلحياة أفقًا جديدًا وبالتالي، توجُّهًا قاطعًا»[٣٣]. يولّد تجديد هذا اللقاء وهذا الوعي في قلب المؤمنين الاندهاش أَمام المبادرة الإلهيّة التي لم يكن الإنسان ليتصوّرها بقواه العقليّة وحدها أَو بمخيّلته. نحن هنا أَمام أمرٍ جديد لا يُصدَّق ولا يُمكن تصوُّرُه بشريًّا: «الكلمة صار جسدًا، وسكن بيننا» (يو ١: ١٤). لا تُشير هذه العبارات إلى صورة بلاغيّة، بل إلى اختبار يُعاش! هو القدّيس يوحنّا، الشاهد العيان، الذي يخبر عنه: «رأينا مجده، مجدًا ناله من أَبيه، كابنٍ وحيد مملوء نعمةً وحقًّا» (يو ١: ١٤ب). يشهد الإيمان الرسوليّ أنّ الكلمة الأَزليّ أَصبح واحدًا منّا. يتمّ التعبيرُ حقًّا عن **الكلمة الإلهيّة** بكلامٍ بشريّ.

١٢. إنّ تقليدَ آباء العصر الوسيط، بتأمّله في "كريستولجيا الكلمة"، يستعمل كلمة معبّرة هي التالية: «**اختُزلَتِ الكلمةُ**»[٣٤]. وعندما نقل آباء الكنيسة العهدَ القديمَ إلى اليونانيّة، وجدوا كلمة للنبيّ أشعيا — يستشهد بها القدّيس بولس أَيضًا — لكي يبيّنوا أَنّ طرق الله الجديدة قد تمّ الإعلان عنها في العهد القديم؛ كان بالإمكان أَن يُقرَأَ فيها ما يلي: «لقد جعل اللهُ كلمتَه قصيرة، لقد اختصرها» (أش ١٠: ٢٣؛ رو ٩: ٢٨). الابن ذاته هو كلمة الله؛ إنّه «**الكلمة**: الكلمة الأَزليّة تصاغر إلى حدّ أن أصبح بإمكانه دخول مذود. صار ولدًا لكي تصبح الكلمة

---

[٣٢] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ١٤.

[٣٣] بندكتوس السادس عشر، الرسالة العامّة، **الله محبّة**، (٢٥ كانون الأوّل ٢٠٠٥)، رقم ١: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٨ (٢٠٠٦)، ص ٢١٧-٢١٨.

[٣٤] رج «Ho Logos pachynetai (ou brachynetai)». Origène, Péri Archon, I, 2, 8: Sources Chrétiennes 252, p. 127-129.

بالنسبة إلينا قابلة للاستيعاب»[٣٥]. حاليًّا، ليست الكلمة مسموعةً فقط؛ هي لا تملك فقط صوتًا؛ لقد أصبح الآن للكلمة **وجهٌ**، فصار بإمكاننا أَن نراها؛ إنّها يسوع الناصريّ[٣٦].

إذا اتَّبَعنا رواية الإنجيل، نلاحظ أنّ بشريّة يسوع ذاتها تظهر بكلّ فرادتها في علاقة بكلمة الله. في الواقع، يحقّق يسوع، ساعة بعد ساعة، في بشريّته الكاملة، إرادة الآب. هو يُصغي إلى صوته، ويطيعه من كلّ قلبه. إنّه يعرف الآب، ويحفظ كلمته (يو ٨: ٥٥). وهو يخبرنا عن أمور الآب (يو ١٢: ٥٠). «لقد أَعطيتهم الكلام الذي أَعطيتنيه» (يو ١٧: ٨). يكشف يسوع أنّه **الكلمة** الإلهيّ الذي يعطينا ذاته، وأنَّه أيضًا آدم الجديد، الإنسان الحقيقيّ، الذي يُتمِّم في كلِّ لحظة، لا إرادته بل إرادة الآب. «كان ينمو بالحكمة والقامة والنعمة تحت نظر الله والناس» (لو ٢: ٥٢). وبنوع كامل هو يُصغي إلى الكلمة الإلهيّة، ويحقّقها في ذاته، وَينقلها إلينا (رج لو ٥: ١).

أَخيرًا، تجد رسالة يسوع تمامَها في السرّ الفصحي: نحن هنا أَمام «**كلمة الصليب**» (١ كو ١: ١٨). يصمت يسوع الكلمة، ويصبح صَمْتُه صمتَ موتٍ، لأنّه «قال» ذاتَه حتّى صَمَت، غيرَ مُحتفظ بشيء ممّا كان عليه أن ينقله. بطريقة إيحائيّة، عندما تأمّل آباء الكنيسة في هذا السرّ، وضعوا على شفتَي أمّ الله هذه العبارة: «كلمة الآب هي من دون كلام، هي التي خلقت الطبيعةَ الناطقةَ كلَّها؛ من دون حركة هما العينان المنطفئتان، عينَا من بكلمته وَإشارته يتحرّك كلّ ما يتحرّك»[٣٧]. هنا ينكشف لنا حقًّا الحبّ «الأعظم»، الذي يعطي حياته في سبيل أحبَّائِه (رج يو ١٥: ١٣).

في هذا السرّ العظيم يتجلّى يسوع **ككلمة العهد الجديد والأَبديّ**: إلتَقت حرّيّة الله وحرّيّة الإنسان نهائيًّا في جسده المصلوب، في ميثاق غير قابل للانحلال، وقائم إلى الأَبد. خلال تأسيس الإفخارستيّا، كان يسوع ذاته – في العشاء الأَخير– قد تكلّم على «العهد الجديد والأبديّ» المختوم بِدمه المهراق (مت ٢٦: ٢٨؛ مر ١٤: ٢٤؛ لو ٢٢: ٢٠)، مُظهِرًا نَفسَه أنّه الحمل الحقيقيّ المذبوح الذي به يتمّ التحرير من العبوديّة نهائيًّا[٣٨].

---

[٣٥] بندكتوس السادس عشر، **عظة قداس ميلاد الربّ** (٢٤ كانون الأوّل ٢٠٠٦): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١٢، *L'ORf*, 2 janvier 2007, p. 2.

[٣٦] رج الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة، **الرسالة الختاميّة**، II، ٤–٦.

[٣٧] Saint Maxime le Confesseur, *La vie de Marie*, n. 89 : *CSCO* 479, p. 77.

[٣٨] رج بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **سرّ المحبّة** (٢٢ شباط ٢٠٠٧)، رقم ٩–١٠: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١١١–١١٢.

في سرّ القيامة المشِعّ، يظهر صمت الكلمة هذا في معناه الأصيل والنهائيّ. إنّ المسيح، كلمة الله المتجسّد، والمصلوب، والقائم من الموت، هو ربّ كلّ شيء؛ إنّه المنتصر، و**القادر على كلّ شيء**، وفيه كلّ شيء قد جُمِع إلى الأَبد (رج أف ١: ١٠). فالمسيح هو إذًا «نور العالم» (يو ٨: ١٢)، هذا النور الذي «يشرق في الظلمات» (**يو** ١: ٥)، والذي «لم تدركه الظلمات» (يو ١: ٥). هنا نفهم تمامًا معنى المزمور ١١٩: «كلامك مصباح لخطاي، ونور لسَبيلي» (آ ١٠٥)؛ الكلمة التي تقيم الموتى هي هذا النور النهائيّ على طريقنا. منذ البدء فهم المسيحيّون أنّ كلمة الله حاضرة كشخص في المسيح. وكلمة الله هي النور الحقيقيّ الذي يحتاج إليه الإنسان. نعم، لقد ظهر ابن الله، يوم قيامته، نورًا للعالم. والآن، إذ نعيش معه وبه، نستطيع أن نعيش في النور.

١٣. بَعدَ أَن بلغنا قلب «كريستولوجيا الكلمة»، إذا صحّ التعبير، من المهمّ أن ننوّه بوحدة القصد الإلهيّ في الكلمة المتجسّد: لأَجل ذلك يقدّم لنا العهد الجديد السرّ الفصحيّ على توافق مع الكتاب المقدّس كمُتمِّم كامل له. يؤكّد القدّيس بولس، في رسالته الأُولى إلى القورنثيّين، أنّ يسوع المسيح مات من أجل خطايانا، «كما جاء في الكتب» (١٥: ٣)، وأنّه قام في اليوم الثالث، «كما جاء في الكتب» (١٥: ٤). وهكذا يضع الرسول حدثَ موت الربّ وقيامته في علاقة مع تاريخ العهد القديم لله مع شعبه. أَكثر من ذلك، إنّه يُفهمنا أنّ هذا التاريخ يستمدّ منطقَه ومعناه الحقيقيّ من هذا الحدث. في السرّ الفصحيّ، تتحقّق «كلمات الكتاب المقدّس، أي أنّ هذا الموت الذي تمّ "كما في الكتب" هو حدث يحمل في ذاته **كلمةً**، أي منطقًا: يَشهدُ موت المسيح أنّ كلمة الله أصبحت حقًّا "جسدًا"، "تاريخًا" إنسانيًّا»[٣٩]. حدثت قيامة يسوع أيضًا «في اليوم الثالث كما في الكتب»: وبما أنّ انحلال الجسد يحدث، وفقًا للتفسير اليهوديّ، بعد ثلاثة أيّام، فكلمة الكتاب المقدَّس تتحقّق في يسوع الذي قام قبل بدء الانحلال. وهكذا، عندما نقل القدّيس بولس بأمانة تعليم الرسل (رج ١ كو ١٥: ٣) شدّد على أنّ انتصار المسيح على الموت يتمّ بقوّة كلمة الله الخلاّقة. تجلب هذه القدرة الإلهيّة الرجاءَ والفرحَ: في النهاية، هنا يكمن محتوى الوحي الفصحيّ المحرِّر. في الفصح يكشف الله عن ذاته وعن قوّة الحبّ الثالوثيّ الذي يضمحل قوّات الشرّ والموت الهدّامة.

وإذ نذكّر بعناصر إيماننا الأساسيّة هذه، يُمكِننا التأمّل في عمق الوحدة القائمة بين الخلق والخلق الجديد، ووحدة كلّ تاريخ الخلاص في المسيح. إذا استعملنا صورة، نستطيع أن نشبّه الكون بـ«كتاب» –كما كان يقول غاليليو أيضًا– معتبرينه «عمل كاتب يُعبِّر من خلال "سمفونيّة" الخليقة. نجد في هذه السمفونيّة، من وقت إلى آخر، ما

[٣٩] رج بندكتوس السادس عشر، **مقابلة عامّة** (١٥ نيسان ٢٠٠٩): *L'ORf*, 21 avril 2009, p. 2.

يسمّونه في اللغة الموسيقيّة "الأداء المنفرد"، موضوع يُسند إلى آلة منفردة أَو إلى صوت منفرد؛ وهذا هامٌّ جدًّا ما يجعل معنى كلّ العمل الموسيقيّ مرتبطًا به. هذا "الأداء المنفرد" هو يسوع... يختصر ابن الإنسان في ذاته الأرض والسماء، الخليقة والخالق، الجسد والروح. إنّه مركز الكون والتاريخ إذ فيه يتّحد من دون امتزاج المؤلِّف وعَمَله»[٤٠].

البُعْد الإسكاتولوجيّ لكلمة الله

١٤. من خلال هذا كلّه، تعرب الكنيسة عن إدراكها بأنَّها تجد ذاتها، مع يسوع المسيح، أمامَ كلمة الله النهائيّة؛ فهو «الأَوّل والآخر» (رؤ ١: ١٧). أَعطى الخليقة والتاريخ معناهما النهائيّ؛ لذا نحن مدعوُّون إلى أن نعيش الزمن، وأَن نسكن في خلق الله وسطَ الإيقاع الإسكاتولوجيّ للكلمة؛ «ولأنّ التدبير الخلاصيّ المسيحيّ هو العهد الجديد والنهائيّ، فلا زوال له، ولا ينبغي أن ننتظر كَشفًا جديدًا عامًّا قبل الظهور المجيد لربّنا يسوع المسيح (١ تم ٦: ١٤؛ تيط ٢: ١٣)»[٤١]. في الواقع، كما ذكّرنا الآباء في السينودس، «تظهر خصوصيّة المسيحيّة في حدث يسوع المسيح، ذروةِ الوحي، وتحقيق وعود الله، ووسيطِ اللقاء بين الإنسان والله. إنّ "الذي كشف لنا الله" (رج يو ١: ١٨) هو الكلمة الوحيدة والنهائيّة المعطاة للبشريّة»[٤٢]. وقد عبّر عن هذه الحقيقة القدّيس يوحنّا الصليب بطريقة رائعة: «وبما أنّه أَعطانا ابنَه، الذي هو كلمته – الوحيد والنهائيّ – قال لنا كلّ شيء دفعة واحدة ومرّة واحدة بهذه الكلمة الوحيدة، ولم يعد له ما يقوله [...]، لأنّ ما كان يقوله للأنبياء وبكلام متفرّق، قاله كاملاً بابنه، إذ أَعطانا هذا الكلّ الذي هو ابنه. فمن أراد الآن أن يستجوب الربّ، ويطلب منه رؤى أو إيحاءات، لا يرتكب حماقة فحسب، إنّما قد يهين الله، إذ لم يوجّه نظره نحو المسيح وحده، باحثًا عن شيء آخر أَو عن جديدٍ ما»[٤٣].

لذلك أوصى السينودس «بمساعدة المؤمنين على أن يميّزوا جيّدًا كلمة الله عن الإيحاءات الخاصّة»[٤٤]، التي «لا يقوم دورها (...) بـ"إكمال" وحي المسيح النهائيّ، بل بالمساعدة على العيش منه بملء أَكبر في وقت ما من التاريخ»[٤٥]. فقيمة الإيحاءات الخاصّة هي أساسًا مُختلفة عن الوحي العامّ الوحيد؛ فَهذا الأَخير يتطلّب منّا الإيمان،

---

[٤٠] رج بندكتوس السادس عشر، **عظة عيد دنح الربّ** (٦ كانون الثاني ٢٠٠٩): *L'ORf*, 13 janvier 2009, p. 6.

[٤١] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٤.

[٤٢] المقترح ٤.

[٤٣] رج Saint Jean de la Croix, *Montée du Carmel,* II, 22.

[٤٤] المقترح ٤٧.

[٤٥] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، رقم ٦٧.

إذ فيه وبواسطة كلام بشريّ وبتأمّل الجماعة الكنسيّة الحيّة، يكلّمنا الله ذاتُه. إنّ المعيار الذي يُثبت حقيقةَ وحيٍ خاصّ هو توجّهه نحو المسيح بالذات. فإذا أَبعَدَنا هذا الوحي عن المسيح، فهذا يعني بالتأكيد أنّه لا يأتي مطلقًا مِن الروح القدس الذي يقودنا إلى الإنجيل، لا خارجًا عنه. إنّ الوحي الخاصّ هو عونٌ للإيمان، ويظهر ذات مصداقيّة تحديدًا لأنّه يُحيل إلى الوحي العامّ الوحيد. لذلك، تدلّ الموافقة الكنسيّة على وحيٍ خاصّ على أنّ الرسالة المتعلّقة به لا تتضمّن شيئًا يناقض الإيمان والأخلاق الحميدة، لذا يُسمَح بتعميمه، ويُتاح للمؤمنين أَن ينضمّوا إليه بطريقة فطنة. بإمكان الوحي الخاصّ أَن يُدخِل تعابير جديدة، وإبراز طرق جديدة للتقوى أَو تعميق القديمة منها. يُمكنه أيضًا أَن يكون له طابع نبويّ (رج ١ تم ٥: ١٩-٢١)، وأَن يكون عونًا مقبولاً لفهم الإنجيل وعيشه بطريقة أَفضل في الساعة الحاضرة. فيجب إِذًا ألاّ يُهمَل. إنّه عونٌ يُقدَّم لنا، لكنّ استعماله ليس إلزاميًّا. في كلّ الأحوال، ينبغي أَن يتعلّق الأمر بتغذية الإيمان والرجاء والمحبّة، التي هي للجميع الطريقُ الدائمُ للخلاص[٤٦].

كلمة الله والروح القدس

١٥. بعد أَن توقّفنا عند كلمة الله الأَخيرة والنهائيّة للعالم، علينا الآن أن نتكلّم على رسالة الروح القدس التي هي على صلة بالكلمة الإلهيّة. في الواقع، لا يمكن بلوغ أيّ فهمٍ أصيلٍ للوحي المسيحيّ خارجًا عن عمل البارقليط، وذلك لأنّ الإعلان الذي يبلّغ فيه الله عن ذاته ينطوي دائمًا على العلاقة بين الابن والروح القدس، وهذا، في الواقع، ما يدعوه القدّيس ايريناوس أُسقف ليون «يدَي الآب الاثنتينَ»[٤٧]. أضف إلى ذلك أنّ الكتاب المقدّس هو الذي يدلّنا على حضور الروح القدس في تاريخ الخلاص، وبخاصّة في حياة يسوع الذي حبلت به العذراء مريم بفعل الروح القدس (رج مت ١: ١٨؛ لو ١: ٣٥)؛ في بدء رسالته العلنيّة، على ضفاف الأردن، رآه يسوع ينزل عليه بشكل حمامة (رج مت ٣: ١٦؛ مر ١: ١٠؛ لو ٣: ٢٢)؛ وبهذا الروح عينه يعمل يسوع ويتكلّم ويتهلّل (رج لو ١٠: ٢١)، وبه يستطيع أن يقرّب ذاته (رج عب ٩: ١٤). وبينما تكتمل مَهمّةُ يسوع، بحسب رواية الإنجيليّ يوحنّا، يضع يسوعُ ذاتُه بوضوح عطاءَ حياتِه بعلاقة مع إرسال الروح القدس (رج يو ١٦: ٧). بعد ذلك، وإذ قام يسوع من الموت، حاملاً في جَسده علامات آلامه، أفاض الروحَ القدس (رج يو ٢٠: ٢٢)، جاعلاً خاصَّتَه شركاء في رسالته الخاصَّة (رج يو ٢٠: ٢١). إذًّاك هو الروح الذي سيعلّم التلاميذ كلّ شيء، ويذكّرهم بكلّ ما قاله المسيح (رج يو ١٤: ٢٦)، إذ يعود إليه، كونه روحَ الحقّ (رج يو ١٥: ٢٦)، أَن يُدخل

---

[٤٦] رج مجمع عقيدة الإيمان، **رسالة فاطيما** (٢٦ حزيران ٢٠٠٠):
Ench. Vat 19 , n. 974-1021..

[٤٧] *Adversus haereses,* IV, 7, 4; *SC* 100, p. 465; V, 1, 3: *SC* 153, p. 73; V, 28,4: *SC* 153, p. 361.

التلاميذ في الحقّ كلّه (رج يو ١٦: ١٣). أَخيرًا، وكما نقرأ في **سفر أعمال الرسل**، حلّ الروح يوم العنصرة على الإثني عشر المجتمعين في صلاة مع مريم (رج أع ٢: ١-٤)، وملأهم قوّة من أَجل القيام برسالتهم التي تقضي بإعلان البشرى السارّة لكلّ الشعوب[٤٨].

تعبَّر كلمة الله إذًا بكلام بشريّ بفضل عمل الروح القدس. إنّ رسالة الابن ورسالة الروح القدس لا تنفصلان، وتشكِّلان تدبيرًا خلاصيًّا واحدًا. إنّ الروح الذي يعمل في تجسّد الكلمة في أحشاء مريم العذراء هو الروح عينه الذي يقود يسوع أثناء رسالته، والذي وُعِد به التلاميذ. والروح ذاته، الذي تكلّم بواسطة الأنبياء، يعضد الكنيسة ويلهمها في مهمّتها بإعلان كلمة الله، وفي تبشير الرسل. أَخيرًا، هذا الروح هو الذي يُلهم واضعيّ الكُتُب المقدَّسة.

١٦. إنّ آباء السينودس، وقد تنبّهوا إلى مجال الروح هذا، أَرادوا أن يذكّروا بأهمّيّة عمل الروح القدس في حياة الكنيسة وفي قلب المؤمنين، بعلاقة مع الكتاب المقدّس[٤٩]. في الواقع، من دون عمل «روح الحقّ» الفعّال (يو ١٤: ١٦)، لا يمكن فهم أقوال الربّ. كما يذكّرنا القدّيس إيريناوس: «الذين لا يشتركون في حياة الروح، لا يستقون من ثدي أمّهم (الكنيسة) غذاءَ الحياة؛ لا يتلقّون شيئًا من الينبوع الكامل الطهارة المتدفِّق من جسد المسيح»[٥٠]. مثلما تأتي إلينا كلمة الله في جسد المسيح، وفي الجسد الإفخارستيّ، وفي جسد الكتاب المقدّس بفعل الروح القدس، كذلك لا يمكن تلقّيها وفهمها بالتمام إلاّ بفضلِ هذا الروح عَينه فقط.

إنّ كُتَّاب التقليد المسيحيّ العظام يأخذون بالإجماع بعين الاعتبار دور الروح القدس في العلاقة التي يجب أن يقيمها المؤمنون مع الكتب المقدّسة. يؤكّد القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم أنّ الكتاب المقدّس هو «بحاجة إلى وحي الروح، لكيما، باكتشاف المعنى الحقيقيّ للأشياء الموجودة فيه، نكتسب فائدة وافرة»[٥١]. والقدّيس إيرونيموس أَيضًا هو مقتنع بحزمٍ بأنّنا «لا نستطيع فهم الكتاب المقدّس من دون مساعدة الروح القدس الذي ألهمه»[٥٢]. ثمّ إنّ القدّيس غريغوريوس الكبير يشدّد منوّهًا، وبطريقة إيحائيّة، بعمل الروح ذاته في تأليف الكتاب المقدّس وشرحه: «

---

[٤٨] رج بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **سرّ المحبّة** (٢٢ شباط ٢٠٠٧)، رقم ١٢: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١١٣-١١٤.

[٤٩] رج المقترح ٥.

[٥٠] *Adversus haereses*, III 24, 1: *SC* 34, p. 401.

[٥١] *Homeliae in Genesim*, XXI, n. 1; PG 53, 175.

[٥٢] *Epistula* 120, 10: *CSEL* 55, pp. 500-506.

هو ذاته الذي خلق كلمات العهدَين المقدّسَين، وهو ذاته الذي يفتحها»[٥٣]. ريشار دي سان فكتور يذكّر بأنَّه يلزم «عينَا حمامة» يضيئهما ويعلّمهما الروح، من أجل فهم النصّ المقدّس[٥٤].

أَودّ أَن أشدّد أيضًا، بشأن العلاقة القائمة بين الروح القدس والكتاب المقدّس، على أهمّيّة الشهادة التي نجدها في النصوص الليتورجيّة حيث تُعلن كلمة الله، وتُسمَع، وتُشرح للمؤمنين. هذا ما يحدث في الصلوات القديمة التي، بصيغة استدعاء الروح القدس، تدعو الروح قبل تلاوة القراءات: «أَرسِل روحك القدّوس البارقليط إلى نفوسنا، واجعلنا نفهم الكتب المقدّسة التي أَلهمها، وامنحني أن أفسّرها بطريقة وافية لكي يجد فيها المؤمنون المجتمعون هنا فائدةً». ونجد أيضًا صلوات تدعو اللهَ من جديد، في نهاية العظة، لكي يفيض الروح القدس على المؤمنين: «أَيّها الإله المخلّص (...)، نتوسّل إليك من أجل هذا الشعب: أَرسِلْ عليه الروح القدس؛ ليأتِ الربّ يسوع ويفتقده، ويكلّم ضمائر الجميع، ويُعِدَّ القلوب للإيمان، ويَقُدْ نفوسنا إِليك، يا إله الرحمة»[٥٥]. كلّ هذا يجعلنا نفهم لماذا لا نستطيع البلوغ إلى فهم معنى الكلمة إن لم يتمّ تلقّي عمل البارقليط في الكنيسة وفي قلب المؤمنين.

التقليد والكتاب

١٧. عندما كَرَّرنا التأكيد على العلاقة العميقة بين الروح القدس وكلمة الله، وَضَعْنا بذات الفعل الأُسس لفهم معنى التقليد الحيّ والكتب المقدّسة في الكنيسة وقيمتِها الحاسمة. في الواقع، بما أنّ «الله أحبّ العالم حتّى أَعطى ابنه الوحيد» (**يو** ٣: ١٦)، فَالكلمة الإلهيّة التي قيلت في الزمن أعطت و"سلّمت" ذاتها إِلى الكنيسة بشكل نهائيّ، كي يكون نقلُ إعلان بشرى الخلاص ممكنًا بطريقة فعّالة في كلّ زمان وفي كلّ مكان. كما يذكّرنا الدستور العقائديّ **كلمة الله** بأن يسوع المسيح، «بعد أَن أَتمّ هو نفسه الإنجيلَ الذي وعدَ به الأَنبياء أوّلاً وأعلنه بفمه بالذات، أَمر رسله بأن يبشّروا به الجميع كينبوع لكلّ حقيقة خلاصيّة ولكلّ قاعدة أخلاقيّة، واهبًا إيّاهم العطايا الإلهيّة. إنّ ما تحقّق بأَمانة أحيانًا على يد الرسل الذين، في التبشير الشفهيّ، في الأمثلة وفي المؤسّسات، نقلوا، إمّا ما كانوا قد تعلّموه من فم المسيح إذ عاشوا معه ورأوه يعمل، وإمّا ما أخذوه من إيحاءات الروح القدس،

---

[٥٣] *Homiliae Ezechielem* I. VII. 17: *CC* 142, p. 94.

[٥٤] «Oculi ergo devotae animae sunt columbarum quia sensus eius per Spiritum sanctum sunt illuminati et edocti, spiritualia sapientes... Nunc quidem aperitur animae talis sensus, ut intellegat Scripturas»: Richard de Saint-Victor, *Explicatio in Cantica canticorum*, 15: *PL* 196, 450 B et D.

[٥٥] Sacramentum Serapionis, II (XX), *Didascalia et Constitutiones apostolorum*, ed. F. X. Funk II, Paderborn 1906, p. 161.

وأحيانًا أخرى على يد هؤلاء الرسل ورجال من محيطهم الذين، بإلهام الروح القدس عينه، دوّنوا رسالة الخلاص»[٥٦].

يذكّر المجمع الفاتيكانيّ الثاني، من ناحية أخرى، بأنّ هذا التقليد ذا الأَصل الرسوليّ هو حقيقةٌ حيّة وديناميكيّة: هو يتطوّر في الكنيسة بمساعدة الروح القدس، ليس بمعنى أنّها تتغيّر في حقيقتها الأَزليّة، بل بالأحرى بمعنى أنّ «إدراك الحقائق والكلمات المنقولة يزداد»، بالتأمّل والدرس، مع الفهم الذي يعطيه اختبار روحيّ أَكثر عمقًا، «وبكرازة الذين نالوا، مع الخلافة الأسقفيّة، موهبةً أكيدةً وحقيقيّة»[٥٧].

إنّ التقليد الحيّ أَساسيٌّ كي تتمكّن الكنيسة من أن تنمو على مدى الزمن في فهم الحقيقة الموحاة في الكتب المقدّسة؛ في الواقع، «بهذا التقليد بالذات يصبح قانون الأَسفار المقدّسة بكامله معروفًا للكنيسة، وبه أَيضًا تُفهم الكتب المقدّسة ذاتها بعمق أَكبر، وتصبح فاعلة باستمرار»[٥٨]. وفي نهاية المطاف، هو تقليد الكنيسة الحيّ ما يجعلنا نفهم بطريقة ملائمة الكتاب المقدّس باعتباره كلمة الله. حتّى وإن كانت كلمة الله تسبق الكتاب المقدّس وتسمو عليه، مع ذلك، بقدر ما هي ملهَمَة من الله، هي تحوي الكلمة الإلهيّة (رج ٢ تم ٣: ١٦) "بطريقة خاصّة جدًّا"[٥٩].

١٨. من هنا أهمّيّة تربية شعب الله وتنشئته بطريقة واضحة على التقرّب من الكتب المقدّسة التي هي على ارتباط بتقليد الكنيسة الحيّ، متبيّنين فيه كلمة الله بالذات. من حيث الحياة الروحيّة، من المهمّ جدًّا تنمية هذا الموقف عند المؤمنين. قد يكون مفيدًا، في هذا الصدد، التذكير بتشبيه وسّعه آباء الكنيسة، بين كلمة الله الذي صار «جسدًا» وبين الكلمة التي صارت «كتابًا»[٦٠]. إنّ الدستور العقائديّ **كلمة الله** الذي التقط هذا التقليد القديم القائل بأنّ «جسده (جسد الابن) هو تعاليم الكتب المقدّسة» —كما كان يقول القدّيس أمبروسيوس[٦١] – يؤكّد «أنّ أقوال الله، المعبّر عنها بلغات الناس، أَصبحت شبيهةً بالكلام البشريّ، تمامًا كما في القديم، أصبح كلمة

---

[٥٦] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٧.

[٥٧] المرجع ذاته، رقم ٨.

[٥٨] المرجع ذاته.

[٥٩] رج المقترح ٣.

[٦٠] رج الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة، **الرسالة الختاميّة**، رقم ٥.

[٦١] *Expositio Evangelii secundum Lucam* 6, 33: SC45, p. 240.

الله الأَزليّ، بعد أَن اتّخذ الجسد البشريّ، شبيهًا بالبشر»[٦٢]. عندما يُفهم الكتاب المقدّس هكذا، يبدو لنا، وإن تعدّدت أَشكاله ومحتوياته، كحقيقة مُوحَّدة. في الواقع، «من خلال كلّ أقوال الكتاب المقدّس، لا يقول الله سوى كلمة واحدة، هي ابنه الوحيد الذي فيه يقول ذاته بالكلّيّة (رج عب ١: ١-٣)»[٦٣]، كما كان يؤكّد القدّيس أغسطينوس بوضوح: «أذكروا أنّ خطاب الله، الموسَّع في الكتاب المقدّس كلّه، هو واحد، وأنّ الابن الكلمة هو واحد ويتردَّد صداه في فم جميع الكتّاب القدّيسين»[٦٤].

وفي نهاية المطاف، من خلال عمل الروح القدس وبقيادة السلطة الكنسيّة، تنقل الكنيسة إلى جميع الأَجيال كلّ ما أوحي بالمسيح. إنّ الكنيسة تعيش في اليقين أنّ ربّها، الذي تكلّم في الماضي، لا يزال اليوم يوصل كلمته في تقليد الكنيسة الحيّ وفي الكتاب المقدّس. بالفِعل، إنّ كلمة الله تُعطي ذاتها لنا في الكتاب المقدّس كشهادة ملهمة للوحي، الذي مع التقليد الحيّ في الكنيسة، يكوّن القاعدة السميا للإيمان[٦٥].

الكتاب المقدّس، الإلهام، والحقيقة

١٩. إنّ المفهوم الأساس لتلقّي النصّ المقدّس باعتباره كلمة الله التي صارت كلامًا بشريًّا، هو بدون شك مفهوم **الإلهام**. هنا أَيضًا نستطيع أن نقترح المماثلة التالية: كما أنّ كلمة الله صار جسدًا بفعل الروح القدس في حشا العذراء مريم، كذلك يولد الكتاب المقدّس من حشا الكنيسة بفعل الروح عينه. إنّ الكتاب المقدّس هو «كلمة الله التي، بنعمة الروح القدس، تمّ توثيقها خطيًّا»[٦٦]. بهذه الطريقة يتمّ الاعتراف بكلّ أهمّيّة الكاتب البشريّ الذي حَرَّرَ النصوص الملهمة، وفي الوقت عينه، بالله كونه مؤلّفَه الحقيقيّ.

كما أَكدّ آباء السينوس، يبدو بوضوح كم أنّ موضوع الإلهام هو حاسم في مجال التقرّب بطريقة صحيحة من الكتب المقدّسة ولتحقيق تأويل صحيح له[٦٧]، الذي، بدوره، ينبغي أن يتمّ بالروح عينه الذي كُتِبت فيه[٦٨]. عندما

---

[٦٢] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ١٣.

[٦٣] **التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة** رقم ١٠٢. رج أيضًا Rupert de Deutz, *De operibus Spiritus Sancti,* I, 6: *SC* 131, pp. 72-74.

[٦٤] *Enarrationes in Psalmos,* 103, IV, 1: *PL* 37, 1378. Affirmations analogues chez Origène, *In Ioannem* V, 5-6: *SC* 120, pp. 380-384.

[٦٥] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٢١.

[٦٦] المرجع ذاته، رقم ٩.

[٦٧] رج المقترحين ٥ و١٢.

[٦٨] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ١٢.

يضعف فينا إدراك إلهامه، فإنّنا نتعرّض لخطر قراءة الكتاب المقدّس كموضوع فضوليّ تاريخيّ لا كعمل الروح القدس، الذي بِه نستطيع أن نسمع صوت الربّ بالذات ونَعرف حضوره في التاريخ.

بالإضافة إلى ذلك، شَدَّدَ آباء السينودس وبحقٍّ على أنّ موضوع الإلهام مرتبط أيضًا بموضوع **حقيقة الكتب المقدّسة**[٦٩]. لذلك، فالتعمّق في فهم الإلهام يحملنا أيضًا من دون شك على فهم أكبر للحقيقة التي تحويها الكتب المقدّسة. وكما كانت العقيدة المجمعيّة تؤكّد في هذا الموضوع، تعلّمُ الكتبُ المُلهَمةُ الحقيقةَ: «لذا، بما أنّ كلّ ما يؤكدّه الكتّاب الملهمون ينبغي أن يُعتبر مؤكَّدًا بالروح القدس، يجب بالتالي أن نُجاهر بأنّ الكتب المقدّسة تعلّم، بحزم وأمانة، وبدون خطأ، الحقيقة التي أراد اللهُ أن يراها مسجّلة في الكتب المقدّسة لأجل خلاصنا. لأجل ذلك، "كلّ كتاب ملهم من الله يفيد في التعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب في البرّ ليكون رجل الله كاملاً ومستعدًّا لكلّ عمل صالح" (٢ تم ٣: ١٦-١٧)»[٧٠].

بالتأكيد، لقد اعتبر التفكير اللاهوتيّ دائمًا الإلهامَ والحقيقةَ كمفهومَين أساسيَّين لتفسير كنسيّ للكتاب المقدّس. مع ذلك، علينا أَن نُقِرَّ بالضرورة الحاليّة لتعميق هذه الحقائق بطريقة ملائمة، لكي نتمكّن من أَن نعطي جوابًا أَفضل على المتطلّبات المتعلّقة بتأويل النصوص المقدسّة بحسب طبيعتها. من هذا المنظار، أَتمنّى بشدَّة أَن يتمكّن البحث في هذا المجال من التطوّر، ومن أن يحمل ثمارًا للعلم البيبليّ ولحياة المؤمنين الروحيّة.

الله الآب، ينبوع الكلمة وأصلها

٢٠. إنّ بدءَ تدبير الوحي وأَصلَه هما إذًا في الله الآب. بِكلمته «صنع السماء، والكونَ بنَفَسِ فمه» (مز ٣٣: ٦). هو الذي جعل «معرفةَ مجد الله تسطع على وجه المسيح» (رج ٢ كو ٤: ٦؛ رج مت ١٦: ١٧؛ لو ٩: ٢٩).

في الابن، **الكلمة** الذي صار جسدًا (رج يو ١: ١٤)، والذي جاء يتمّم إرادة من أَرسله (رج يو ٤: ٣٤)، يتجلّى اللهُ، ينبوعُ الوحي، كأبٍ، ويكملّ تربيّة الإنسان الإلهيّة، وقد أنعشتها قبلاً أقوالُ الأَنبياء، والعجائبُ التي صنعها في الخليقة وفي تاريخ شعبِه وتاريخ جميع الناس. إنّ ذروة وحي الله الآب تُوهب بالابن من خلال إعطاء البارقليط (رج يو ١٤: ١٦)، روحِ الآب والابن الذي «يقودنا في الحقّ كلّه» (رج يو ١٦: ١٣).

---

[٦٩] رج المقترح ١٢.

[٧٠] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ١١.

هكذا أَصبحت مواعيد الله كلّها «نعم» في يسوع المسيح (رج ٢ كو ١: ٢٠). وهكذا تنفتح أَمام الإنسان إِمكانيّة اجتياز الطريق الذي يقوده إِلى الآب (رج يو ١٤: ٦)، لكيما، في النهاية، «يكونَ اللهُ كلاًّ في الكلّ» (١ قو ١٥: ٢٨).

٢١. كما يتبيّن من صليب المسيح، يتكلَّمُ اللهُ أَيضًا من خلال صمته. فصمت الله، أي اختبارُ بُعْدِ مَن هو الكلّيّ القدرة والآب، مرحلةٌ حاسمةٌ لمسيرة ابن الله على الأَرض، وهو الكلمةِ المتجسّد. فحين كان معلّقًا على الصليب، اشتكى من الألم الذي سبّبه له ذاك الصمت: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟» (مر ١٥: ٣٤؛ مت ٢٧: ٤٦). وفيما كان يسوع، في ظلمة الموت، مثابرًا على الطاعةِ حتّى النفَسِ الأَخير، نادى أَباه. إِليه سلّم ذاته عند عبوره، عبرَ الموت، إِلى الحياة الأَبديّة: «يا أَبتِ، في يديك أَستودع روحيّ» (لو ٢٣: ٤٦).

يشبه اختبارُ يسوعَ هذا حالةَ الإنسانِ الذي، بعد أَن يسمع كلمة الله ويتعرّف إِليها، يجب عليه أن يقيس ذاتَه مع صمته. ذاك اختبارعاشه العديد من القدّيسين والمتصوّفين، وهو لا يزال، اليوم أَيضًا، يُشكّل جزءًا من مسيرة العديد من المسيحيّين. إِنَّ صمتَ اللهِ يواصل كلماتِه المعلَنَةَ سابقًا. في هذه اللحظاتِ المظلمة، هو يتكلّم في سرّ صَمتِه. لذلك، في ديناميّة الوحي المسيحيّ، يبدو الصمت تعبيرًا هامًّا عن كلمة الله.

جواب الإنسان على الله الذي يتكلّم

مدعوّون للدخول في العهد مع الله

٢٢. عندما أَبرَزْنا تعدُّديَّةَ أَشكالِ الكلمة، استطعنا أن نتأمّل، من خلال كلّ هذه الأَنماط، في الله الذي يتكلّم والذي يأتي إِلى لقاء الإِنسان، معرّفًا عن ذاتِه من خلال حوار. بالطبع، كما أَكدّ آباء السينودس، «عندما يدور الكلام على الوحي، يتضمّن الحوارُ **أَولويّةَ** كلمةِ اللهِ الموجَّهَةِ إِلى الإنسان»[٧١]. يعبّر سرّ العهد عن هذه العلاقة بين الله الذي يدعو بكلمته والإِنسان الذي يجيب، مع الإدراك الواضح أنّ اللقاء ليس بين فريقَين متعاقِدَين قائمَين على قدم المساواة؛ ليس ما ندعوه العهدَ القديمَ والعهدَ الجديدَ فِعْلَ تفاهم بين فريقين متساويَين، بل هو مجرَّد عطيَّة من الله. واللهُ، بعطيَّةِ محبَّتِه هذه التي تتخطّى كلّ الأبعاد، يجعلنا «شركاء» له، محقّقًا بذلك سرّ الحبّ بين المسيحِ وعروسه الكنيسة. من هذا المنظار، يبدو كلّ إِنسان وكأنّ الكلمة مرسلة إِليه، كأنَّه منادًى ومدعوٌّ للدخول في حوار الحبّ هذا بجواب حرّ. بهذه الطريقة يجعل الله كلّ واحد منّا جديرًا **بأَن يسمع الكلمة الإلهيّة وأن يجيب عليها**. إِنّ الإِنسان مخلوق في الكلمة وفيها يعيش؛ هو لا يستطيع أَن يفهم ذاته إِذا لم ينفتح على هذا الحوار.

[٧١] المقترح ٤.

تكشف كلمة الله طبيعة حياتنا البنويّة والعلائقيّة. نحن مدعوّون حقًّا بالنعمة لأن نتمثّل بالمسيح، ابن الآب، ونَتحوّل إليه.

الله يسمع الإنسان ويستجيب طلباته

٢٣. في هذا الحوار مع الله، نفهم ذواتنا ونجد الجواب على تساؤلاتنا العميقة الساكنة في قلبنا، لأَنّ كلمة الله لا تناقض الإنسان، ولا تقتل رغباتِه الأصيلة، بل، على عكس ذلك، هي تنيرها وتطهّرها وتقودها إلى تمامها. كم هو هامٌّ بالنسبة إلى زمننا أَن نكتشف **أَنّ الله وحده يجيب على العطش الساكن قلب كلّ إنسان!** في عصرنا، وبخاصّة في الغرب، انتشرت، مع الأَسف، فكرة أنّ الله غريب عن حياة الإنسان وعن مشاكله، وأكثر من ذلك، أَنّ وجوده قد يكون تهديدًا لاستقلاليّة الإنسان. في الواقع، كلّ التدبير الخلاصيّ يُرينا أنّ الله يتكلّم ويتدخّل في التاريخ لمصلحة الإنسان ولخلاصه التامّ. فمن المقرّر إذًا، من الناحيّة الرعويّة، أن نعرض كلمة الله في قدرتها على الحوار مع المشاكل التي تقضي على الإنسان أَن يواجهها في حياته اليوميّة. يقدّم يسوع ذاته لنا كشخص جاء لكي تكون لنا الحياة بِوَفرة (رج يو ١٠: ١٠). لأَجل ذلك، علينا أَن نبذل كلّ جهد لكي تظهر كلمة الله كانفتاحٍ على المشاكل الخاصَّة، وجوابٍ على التساؤلات الشخصيّة، وتوسيعٍ للقيم الخاصَّة، وفي الوقت عينه كإرضاء للتطلّعات الخاصَّة. يجب على رعويّة الكنيسة أَن تكون متنبّهةً إلى أن تبيّن بعناية كيف أنّ الله يصغي إلى احتياجات الإنسان وصراخه. يؤكّد القدّيس بونافنتورا في كتابه **مختصر الكلام** ما يلي: «ليست ثمرة الكتاب المقدَّس أمرًا تافهًا؛ إنّها **ملء السعادة الأَبديّة**؛ فهي الكتاب المقدّس الذي فيه كلمات الحياة الأَبديّة. إنَّها إذًا مكتوبة لا لكي نؤمن فحسب، بل أَيضًا لنحصل على الحياة الأَبديّة حيث نرى، ونحبّ، وحيث تتحقّق رغباتنا كلّها»[٧٢].

التحاور مع الله من خلال أقواله

٢٤. تُدخل كلمة الله كلاًّ منّا في حوار مع الربّ. يعلّمنا الله الذي يتكلّم كيف نستطيع أن نتكلّم معه. نفكّر تِلقائيًّا **بكتاب المزامير** الذي فيه يعطينا الله الكلام الذي به نستطيع أن نخاطبه، أنْ نقدّم له حياتنا في محادثة معه، محوّلين بذلك الحياة نَفسَها إلى حركةٍ نحو الله[٧٣]. فَفي المزامير، نجد تعبيرًا عن كلّ شعورٍ بشريٍّ ممكنٍ، والكلُّ موضوع بشكل متقَن تحت نظر الله، أي: الفرح والأَلم، القلق والرجاء، الخوف والاضطراب تجد هنا التعبير عنها.

---

[٧٢] *Prol.* Opera omnia V, Quaracchi 1891, pp. 201-202.

[٧٣] رجع بندكتوس السادس عشر، خطاب في عالم الثقافة في جامعة برناردين في باريس (١٢ أيلول ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٨)، ص ٧٢١-٧٣٠.

مع المزامير، نفكّر أيضًا بالنصوص الأُخرى العديدة من الكتاب المقدّس التي تعبّر عن الطريقة التي بها يتوجَّه الإنسان إلى الله بشكل صلاة شفاعة (رج أش ٣٣: ١٢-١٦)، أَو نشيد فرح لأجل النصر (رج أش ١٥)، أَو رثاء لأَجل الرسالة المطلوب تتميمها (رج **إر** ٢٠: ٧-١٨). بهذه الطريقة يُصبح الكلام الذي يوجّهه الإنسان إلى الله، بدوره، «كلمة الله»، مؤكِّدًا على الطابع الحواريّ للوحي المسيحيّ كلّه[٧٤]. من هذا المنظار، يصبح كلُّ وجودنا حوارًا مع الله الذي يتكلّم ويصغي، الذي يدعونا ويعطي وجهةً لحياتنا. وهنا تكشف كلمة الله أنّ كلَّ وجود الإنسان يقع ضمن نطاق الدعوة الإلهيَّة[٧٥].

كلمة الله والإيمان

٢٥. «إلى الله الذي يوحي بنفسه، يجب تقديم "طاعة الإيمان" (رو ١٦: ٢٦؛ رج رو ١: ٥؛ ٢كو ١٠: ٥-٦)، التي بها يسلِّم الإنسان لله ذاته بكاملها وبحرّيّة، مُقدِّمًا "لله الذي يوحي خضوع عقله وإرادته بالتمام"، ومُعطيًا موافقتَه طوعًا لِلوحي الذي عمله»[٧٦]. بهذه الأقوال، عبّر الدستور العقائديّ «كلمة الله» بطريقة دقيقة عن موقف الإنسان أمامَ الله. **إنّ الجواب الخاصّ الذي يعطيه الإنسان لله الذي يتكلّم، هو الإيمان**. بهذا يتضح أنّ على الإنسان، لكي يتلقَّى الوحي، أَن يفتح ضميره وقلبه لعمل الروح القدس الذي يُفهمه كلمة الله الموجودة في الكتاب المقدّس»[٧٧]. وبالفعل، إنّ التبشير خاصّةً بالكلمة الإلهيّة هو الذي يولّد الإيمان الذي به ننضمّ من كلّ قلبنا إلى الحقيقة الموحاة، ونَكِلُ ذواتنا بكلّيتها للمسيح: « فالإيمان يولد من السماع، والسماع هو إعلانٌ لكلمة المسيح» (رو ١٠: ١٧). هو كلّ تاريخ الخلاص، الذي يدلّنا، وبطريقة تدريجيّة، على هذا الرباط الحميم بين كلمة الله والإيمان الذي يكتمل في اللقاء مع المسيح؛ معه يأَخذ الإيمان شكل لقاء مع شخص نَكِلُ إليه حياتنا الخاصّة. يقيم المسيحُ يسوعُ اليومَ في التاريخ، في جسده الذي هو الكنيسة؛ هكذا يكونُ فعل إيماننا في الوقت عينه فعلاً شخصيًّا وكنَسيًّا.

الخطيئة بكونها عدم إصغاء إلى كلمة الله

٢٦. تكشف كلمة الله أَيضًا، بنوع محتَّم، الإمكانيّةَ المأساويّةَ من قِبَل حرّيّة الإنسان، بأن تنسحب من هذا الحوار في العهد مع الله الذي خُلقنا لأَجله. في الواقع، إنّ كلمة الله أَيضًا تكشف الخطيئة الساكنة في قلب

---

[٧٤] رج المقترح ٤.

[٧٥] رج الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة، **تقرير ما بعد المناقشة**، رقم ١٢.

[٧٦] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٥.

[٧٧] المقترح ٤.

الإنسان. غالبًا ما نجد، في العهد القديم كما في العهد الجديد، وصفًا للخطيئة **كعدم إصغاء إلى الكلمة، وكَنَقض للعهد**، وبذات الفعل كانغلاق تجاه الله الذي يدعو إلى الشركة معه[٧٨]. في الواقع، يرينا الكتاب المقدّس كيف أنَّ خطيئة الإنسان هي في جوهرها عصيانٌ و"عدمُ إصغاء". حقًّا إنّ طاعةَ يسوع الجذريّة حتّى الموت على الصليب (رج فل ٢: ٨) هي التي سَتنزع تمامًا قناعَ هذه الخطيئة. في طاعته يتمّ العهد الجديد بين الله والإنسان، وتُعطى لنا إمكانيّة المصالحة. بالفعل، لقد أَرسَلَ الآبُ يسوعَ كضحيّةِ تكفير عن خطايانا وعن خطايا العالم كلّه (رج ١ يو ٢: ٢؛ ٤: ١٠؛ عب ٧: ٢٧). هكذا، إنّ إمكانيّة الرحمة بالفداء مُعطاةٌ لنا، كما أيضًا بدء حياة جديدة في المسيح. لذلك، من الأهمّيّة بمكان أَن يُنشَّأَ المؤمنون على أن يتبيّنوا أنّ أَصل الخطيئة هو في عدم الإصغاء إلى كلمة الربّ، وعلى أن يتلقّوا في يسوع كلمة الله الغفران الذي يجعلنا ننفتح على الخلاص.

مريم، «أمّ كلمة الله» و«أمّ الإيمان»

٢٧. أَعلن آباء السينودس أنّ الهدف الأَساسيّ للجمعيّة العامَّة الثانيّة عشرة كان، قبل كلّ شيء، «تجديد إيمان الكنيسة في كلمة الله»؛ لذلك من الضروريّ أن ننظر إلى حيث تمَّ التبادل بين كلمة الله والإيمان بشكل كامل، أَي في العذراء مريم «التي، بقولها "نَعم" لكلمة العهد ولرسالتها، أَتمّت بالكمال دعوة الإنسان الإلهيّة»[٧٩]. إنّ الواقع البشريّ الذي خُلِقَ بالكلمة يَجِدُ صورتَه الأكمل في إيمان مريم المطيع؛ فهي، منذ البشارة وحتّى العنصرة، تبدو لنا امرأةً منفتحةً بكلّيّتها على مشيئة الله. إنّها هي التي حُبل بِها بلا دنس، «المملوءَة نعمة» من الله (رج لو ١: ٢٨)، المطواعة لكلمة الله دون قيد أو شرط (رج لو ١: ٣٨). إنّ إيمانَها المطيعَ يضع جوهرَ وجودِها، في كلّ لحظة، قدَّام مبادرة الله. هي عذراء مصغية، تعيش في تناغم تامٍّ مع الكلمة الإلهيّة، وتحفظ في قلبها أحداث حياة ابنها، مرتّبةً إيّاها في فسيفساء واحدة (رج لو ٢: ١٩، ٥١)[٨٠].

من الضروريّ أنْ يكون المؤمنون، في عصرنا، مُنشَّأين لاكتشاف العلاقة بين مريم الناصرة، وسماع كلمة الله بإيمان. أَحثّ أيضًا الباحثين على أن يعمّقوا أكثر العلاقة بين **اللاهوت المريميّ ولاهوت الكلمة**. سيكون بالإمكان الحصول على مكسب كبير لصالح الحياة الروحيّة كما أيضًا للدراسات اللاهوتيَّة والكتابيَّة. في الواقع، إنَّ

---

[٧٨] مثلاً تث ٢٨: ١-٢، ١٥، ٤٥؛ ٣٢: ١؛ عند الأنبياء، رج إر ٧: ٢٢-٢٨؛ أش ٢: ٨؛ ٣: ١٠؛ ٦: ٣؛ ١٣: ٢؛ حتّى الأخيرين منهم: رج زك ٣: ٨. عند القدّيس بولس، رج رو ١٠: ١٤-١٨؛ ١ تس ٢: ١٣.

[٧٩] المقترح ٥٥.

[٨٠] رج بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **سرّ المحبّة** (٢٢ شباط ٢٠٠٧)، رقم ٣٣: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١٣٢-١٣٣.

ما أدركه فَهْم الإيمان بشأن مريم هو في صميم الحقيقة المسيحيّة. في الواقع، لا يمكن التفكير بِتجسّد الكلمة دون التطرُّق إلى حرّيّة هذه الصبيّة التي، برضاها، شاركت، بطريقة حازمة، في عمليّة دخول الكائن الأَزليّ في الزمن. إنّها صورة الكنيسة المصغية إلى كلمة الله الذي فيها صار بشرًا. مريم هي أيضًا رمز إلى الانفتاح على الله وعلى الآخرين، هو إصغاء فعَّال يُدخل في الصميم ويستوعب، وفيه تصبح كلمة الله صورة للحياة.

٢٨. عند هذه النقطة أُودّ أَن أَلفتَ الانتباه إِلى إلفة مريم مع كلمة الله،؛ هذا ما يسطع بقوّةٍ خاصّة في نشيد **تعظّم نفسي الربّ**. هنا، نوعًا ما، نرى كيف هي تتماهى مع الكلمة، وكيف تدخل فيها؛ في هذا النشيد الإيمانيّ الرائع تعظّم العذراءُ الربَّ بكلامه هو: إنّ «نشيد **تعظّم نفسي الربَّ**، الذي هو رَسْمٌ عن نفسها، إذا صحّ التعبير، هو منسوج بكامِله بخيوط مستلَّة مِنَ الكتاب المقدّس، خيوط مستلَّة من كلمة الله. يتّضح لنا هكذا أنّ مريمَ، في كلمة الله، هي حقًّا في بيتها، تخرج منه، وتَدْخُلُهُ بشكل طبيعيّ جدًّا؛ فهي تتكلّم وتفكّر بواسطة كلمة الله، فتصبح كلمة الله كلمتَها، وكلمتُها تولد من كلمة الله. أَضِفْ إلى ذلك أنّ أفكارها تظهر هكذا منسجمة مع أَفكار الله، وأنّ إرادتها تقوم على أن تريد مع الله. وبما أنّها مُشبعة في العمق من كلمة الله، فبإمكانها أَن تصبح أُمَّ الكلمة المتجسّد»[٨١].

بالإضافة إلى ذلك، تُبيّن لنا الإشارةُ إِلى أمّ الله كيف أنّ عمل الله في العالم يُشركُ دائمًا حرّيتَنا، لأنَّ الكلمة الإلهيّ بالإيمان يحوّلنا. كذلك، لن يكون عملُنا الرسوليُّ والرعويّ فعّالاً إن لم نتعلّم من مريم أن ندع عمل الله يكيّفنا: «إنّ الانتباهَ المملوءَ حبًّا وورعًا إلى وجهِ مريم كمثال وأنموذج لإيمان الكنيسة، هو فائق الأهمّيّة للقيام اليوم أيضًا بتغيير ملموس لنموذج علاقة الكنيسة بِالكلمة، سواء في موقف الإصغاء المصلّي، كما أيضًا عبرَ سخاءِ الإلتزام لصالح الرسالة والتبشير»[٨٢].

عندما نتأمّل في وجودٍ مكيّف كلّيًّا بالكلمة لدى مريم، نكتشف أنّنا نحن أَيضًا مدعوّون إلى الدخول في سرّ الإيمان الذي به يأتي المسيح ليقيم في حياتنا. يذكّرنا القدّيس أمبروسيوس بأنّ كلّ مسيحيّ يؤمن، يحبل ويلد بمعنى ما كلمة الله في ذاته: إن لم يكن هناك سوى أمٍّ واحدةٍ للمسيح بحسب الجسد، بَيْدَ أنّه، بحسب الإيمان، المسيح هو ثمرة الجميع[٨٣]. ما حصل لمريم إذًا قد يحصل في كلّ واحدٍ منّا، كلّ يوم، في الإصغاء إلى الكلمة وفي الاحتفال بالأَسرار.

---

[٨١] المرجع ذاته، **الله محبّة** (٢٥ كانون الأوّل)، ٤١: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٨ (٢٠٠٦)، ص ٢٥١.

[٨٢] المقترح ٥٥.

[٨٣] Cf. *Expositio Evangelii secundum Lucam* 2, 19: PL 15, pp. 1559-1560.

الكنيسة هي المكان الأصليّ لتفسير الكتاب المقدّس

٢٩. هناك موضوعٌ آخر هامٌّ فرض نَفسَه في السينودس، أُودّ الآن أَن أَلفتَ الانتباه إليه، ألا وهو **تفسير الكتاب المقدّس في الكنيسة**. تُبيّن العلاقةُ العضويّةُ بين الكلمة والإيمان بوضوحٍ أنّ التفسيرَ الأصيل للكتاب المقدّس لا يمكن إلاّ أن يكون في الإيمان الكنسيّ الذي يجد مثاله في «نعم» مريم. في هذا الصدد، يؤكّد القدّيس بونافنتورا أنّه، من دون الإيمان، لا نملك مفتاح الوصول إلى النصّ المقدّس: «هذه هي معرفة يسوع المسيح التي منها يتدفّق، كما من ينبوع، اليقينُ وفَهْمُ الكتاب المقدّس كلِّه. لذلك يَستحيل ولوج معرفة الكتاب المقدّس من دون هذا الإيمان الآتي من المسيح، الإيمان الذي هو نورُ كلِّ الكتاب المقدّس، وبابُه، وأَساسُه»[٨٤]. والقدّيس توما الأَكوينيّ، حين يذكر القدّيس أغسطينوس، يشدّد بقوّة على ما يلي: «إنّ حرف الإنجيل أيضًا يقتل إذا نقصت، في داخل الإنسان، نعمةُ الإيمانِ التي تشفي»[٨٥].

يسمح لنا هذا أن نذكّرَ بمقياس أَساسيٍّ للتفسير البيبليّ: **المكان الأَصليّ للتفسير الكتابيّ هو حياة الكنيسة**. لا يُشير هذا التأكيد إلى المرجعيّة الكنسيّة كمقياس خارجيّ يجب أَن يخضع له الشارحون، لكنّ واقعَ الكتب المقدَّسة بالذات يَقتضي ذلك، كما أيضًا الطريقة التي تكوّنت فيها عبر الزمن. في الواقع، «كانت تقاليد الإيمان تكوّن الوسط الحيويّ الذي فيه أُدخِلَ النشاط الأدبيّ لِواضعي الكتب المقدّسة. كان هذا الإدخال يتضمّن أَيضًا المشاركة في الحياة الليتورجيّة، وفي نشاط الجماعات الخارجيّ، وفي عالمهم الروحيّ، وفي ثقافتهم، وفي أحداث مصيرهم التاريخيّ. يتطلّب تفسير الكتاب المقدّس إذًا، بطريقة مماثلة، مشاركة الشارحين في كلّ حياة الجماعة المؤمنة وكلّ إيمانها في أَيّامهم»[٨٦]. لذا، «بما أنّ الكتاب المقدّس يجب أَن يُقرأ ويُفَسَّر في ضوء الروح ذاته الذي دفع إلى تحريره»[٨٧]، ينبغي أَن يعتبره الشارحون واللاهوتيّون وكلُّ شعب الله، كما هو حقًّا، كلمةَ الله التي تُبَلَّغ إلينا عبر كلمة بشريّة (رج ١ تس ٢: ١٣). إنّ هذا أمرٌ ثابتٌ موجودٌ ضمنًا في الكتاب المقدّس نفسه: «ما أتت قطُّ نبوءةٌ في الكتاب المقدّس من حدْسٍ شخصيّ. في الواقع، ما أتت قطُّ نبوءةٌ بإرادة إنسان، بل بالروح القدس دُفِعَ أناسٌ،

---

[٨٤] *Breviloquium, Prol.* Opera Omnia, V, Quaracchi 1891, pp. 201-202.

[٨٥] *Somme Théologique*, Ia-IIae, q.106, art.2.

[٨٦] اللجنة البيبليّة الحبريّة ، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥ نيسان ١٩٩٣)، III، A، ٣: *Ench. Vat.* 13, n. 3035. Dans l'édition du Cerf, Paris, 2010, p. 83.

[٨٧] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ١٢.

فتكلّموا من قِبَل الله" (٢ بط ١: ٢٠-٢١). وبالتالي، إنّ إيمان الكنيسة يتبيّن بنوع خاصّ كلمةَ الله في الكتاب المقدَّس، كما يقول بطريقة رائعة القدّيس أغسطينوس: «قد لا أؤمن بالإنجيل إن لم تقُدْني سلطةُ الكنيسة إليه»[٨٨]. إنّ الروح القدس هو الذي ينعش حياة الكنيسة، والذي يجعلها قادرة على تفسير الكتب المقدّسة تفسيرًا أصيلاً. الكتاب المقدّس هو كتاب الكنيسة، ومن ملازمته لحياة الكنيسة ينبثق أيضًا تفسيره الحقيقيّ.

٣٠. يذكِّر القدّيس إيرونيموس أنّنا لا نستطيع أبدًا قراءة الكتاب المقدّس وحدنا. نجد الكثير من الأبواب المغلقة، فننزلق بسهولة إلى الضلال. لقد دُوِّنَ الكتاب المقدَّس على يدِ شعبِ الله ولأجلِ شعب الله، بإلهام الروح القدس. فقط في هذا الشركة مع شعب الله، في هذا الـ«نحن»، نستطيع حقًّا الدخول في صميم الحقيقة التي يريد الله ذاته أن يقولها لنا[٨٩]. يؤكّد العالِمُ الكبيرُ، الذي يرى أنّ «جهل الكتاب المقدّس هو جهلٌ لِلمسيح»[٩٠]، أنّ دور الكنيسة في التفسير البيبليّ ليس مطلبًا مفروضًا من الخارج؛ فالكتاب المقدّس هو حقًّا صوت شعب الله، السائر في دروب الحجّ، وضمن إيمان هذا الشعب فقط نقدر أن نكون، إن صحّ القول، على الموجة الصحيحة لكي نفهم الكتاب المقدّس. يجب أن يكون التفسير الأصيل للكتاب المقدّس على انسجام متناغم مع إيمان الكنيسة الكاثوليكيّة. وجّه القدّيس إيرونيموس كلامه إلى أحد الكهنة كما يلي: «إبقَ مُتعلِّقًا بحزم بالعقيدة التقليديّة التي تلقّنتها لكي تستطيع أن تحثّ بحسب العقيدة السليمة، وأن تدحض الذين يخالفونها»[٩١].

هناك مقاربات للنصّ المقدّس تتجاهل الإيمان، وبإمكانها أن تَعرض عناصر مثيرة للاهتمام، عبر التشديد على بنية النصّ وعلى أشكاله؛ ولكنْ لا يُمكن لهذه المحاولة إلاّ أن تكونَ تمهيدًا، ناقصًا بنيويًّا. في الواقع، وكما أكّدت اللجنة البيبليّة الحبريّة، مردِّدةً مبدءًا مقبولاً في التفسير الحديث: «**يستطيعُ البلوغ إلى فَهْمٍ صحيحٍ للنصوص البيبليّة فقط مَن كان مُلِمًّا بما يقوله النصُّ على أساس الخبرة الحياتيّة**»[٩٢]. كلّ هذا يُبرِز العلاقةَ بين الحياة الروحيّة وتفسير الكتاب المقدّس. في الواقع، «مع نموّ الحياة بالروح، يكبر، لدى القارئ، فهم الحقائق التي يتكلّم عليها النصّ البيبليّ»[٩٣]. لا يمكن لكثافة خبرة كنسيّة أصيلة إلاّ أن تُنمّي فهمًا للإيمان الأصيل تُجاه كلمة الله؛

---

[٨٨] *Contra epistulam Manichaei quam vocant fundamenti*, V, 6: *PL* 42,176.

[٨٩] رج بندكتوس السادس عشر، **مقابلة عامّة** (١٤ تشرين الثاني ٢٠٠٧): *L'ORf*, 20 novembre 2007, p. 12.

[٩٠] *Commentariorum in Isaiam libri*, Prol. : *PL* 24,17.

[٩١] *Epistula* 52, 7 : *CSEL* 54, p. 426.

[٩٢] اللجنة البيبليّة الحبريّة ، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥ نيسان ١٩٩٣)، II، A، ٢: *Ench. Vat.* 13, n. 2988.

[٩٣] المرجع ذاته، II، A، ٢: *Ench. Vat.* 13, n. 2991.

وبالمقابل يجب أن نقول إنَّ قراءة الكتب المقدّسة بإيمان تُنمّي الحياة الكنسيّة بالذات. من هنا نستطيع أَن نفهم، بطريقة جديدة، التأكيد المعروف للقدّيس غريغوريوس الكبير القائل: «تنمو الكلمات الإلهيّة مع الذي يقرأُها»[٩٤]. وهكذا، فالإصغاء إلى كلمة الله يقود إلى الوحدة الكنسيّة بين جميع الذين يسيرون في الإيمان ويُنمّيها.

«روح اللاهوت المقدّس»

٣١. «فَليكُنْ درس الكتب المقدّسة بمثابة روح علم اللاهوت المقدّس»[٩٥]: مع مرور السنين أصبحت هذه العبارة من الدستور العقائديّ **كلمة الله** أَكثرَ إِلفة. بالإمكان القول بأنّ مرحلة ما بعد المجمع الفاتيكانيّ الثاني، في ما يتعلّق بالعلوم اللاهوتيّة والتفسيريّة، غالبًا ما عرفت رجوعًا إِلى هذا التعبير كعلامة اهتمام متجدّد بالكتاب المقدّس. غالبًا ما رجعت الجمعيّة العامّة الثانية عشرة لسينودس الأَساقفة إِلى هذا التأكيد للدلالة على العلاقة بين البحث التاريخيّ وتفسير الإِيمان عبر العودة إِلى النصّ المقدّس. من هذا المنظار، تبيّن الآباء بفرح واقعَ ازدياد درس كلمة الله في الكنيسة طوال العقود الأَخيرة، وعبّروا باقتناع **عن عرفان جميل عميق تجاه المفسّرين واللاهوتيّين العديدين** الذين، بتفانٍ والتزام وكفاءة، قدّموا ولا يزالون يقدّمون مساهمة جوهريّة في تعميق معنى الكتاب المقدّس، مُجابِهين المشاكل المعقّدة التي يفرضها عصرنا على البحث البيبليّ[٩٦]. وقد أَظهروا أَيضًا عواطف **عرفان جميل صادق تجاه أَعضاء اللجنة البيبليّة الحبريّة** الذين تناوبوا على مدى هذه السنوات والذين، **باتّحاد وثيق مع مجمع عقيدة الإيمان، لا يزالون يقدّمون إسهامهم الكفوء لأجل مقاربة القضايا الخاصّة الملازمة لِدراسة الكتاب المقدّس.** وقد أَراد السينودس أَيضًا أَن يتساءل حول الحالة الراهنة للدراسات البيبليّة، وحول أَهمّيّتها في المجال اللاهوتيّ. في الواقع، على العلاقة الخصبة بين التفسير واللاهوت تعتمد، إِلى حدّ بعيد، فاعليّةُ عمل الكنيسة الرعويّ وحياة المؤمنين الروحيّة. لذلك، أَظنّ أَنّه من الأَهمّيّة بمكان استعادة بعض الأفكار التي ظهرت في تبادل الآراء حول هذا الموضوع خلال أَعمال السينودس.

نموّ البحث البيبليّ والسلطة الكنسيّة

---

[٩٤] *Homiliae in Ezechielem*, I, VII, 8: *CCL* 142, 87 (*PL* 76, 843 D).

[٩٥] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٢٤؛ رج لاوون الثالث عشر، الرسالة العامّة، **الله الكلّيّ العناية**، (١٨ تشرين الثاني ١٨٩٣)، الجزء الثاني، في النهاية : **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٢٦ (١٨٩٣-٩٤) ٢٦٩-٢٩٢؛ بنديكتوس الخامس عشر، الرسالة العامّة، **الروح البارقليط** (١٥ أيلول ١٩٢٠)، الجزء الثالث: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٢ (١٩٢٠) ٣٨٥-٤٢٢.

[٩٦] رج المقترح ٢٦.

٣٢. من الضروريّ، قبل كلّ شيء، الإقرار، في حياة الكنيسة، بالفائدة الناتجة عن التأويل التاريخيّ—النقديّ وعن سواه من منهجيّات تحليل النصوص التي تطورت حديثًا[٩٧]. في المقاربة الكاثوليكيّة للكتاب المقدّس، لا غنى عن الاهتمام بهذه الطرق، اهتمامًا مرتبطًا بواقعيّة التجسّد: «إنّ هذه الضرورة هي نتيجة المبدأ المسيحيّ الذي عبَّر عنه الإنجيل بحسب يوحنّا (١: ١٤): **الكلمة صار جسدًا**. الحقيقة التاريخيّة هي بعْدٌ مكوِّن للإيمان المسيحيّ. ليس تاريخ الخلاص ميتولوجيا، بل تاريخ حقيقيّ، لذا ينبغي أن يُدرَس بمنهجيّات البحث التاريخيّ الجدّيّ»[٩٨]. مع ذلك، تتطلّب دراسة الكتاب المقدَّس معرفة منهجيّات البحث هذه واستعمالها الملائم. إن كان صحيحًا أنّ الحسّ في الدراسات قد تطوّر بكثافة أكبر في العصر الحديث، وإن بنسبة غير متساوية بحسبِ الأمكنة، فقد كان هناك دومًا حبٌّ لدراسة «الحرف» في التقليد الكنسيّ السليم. يكفي هنا أن نذكّر بالثقافة الرهبانيّة التي ندين لها، في نهاية الأمر، بأساس الثقافة الأُوروبيّة التي تتجذّر في الاهتمام بالكلمة. تتضمّن الرغبة في الله محبّةَ الكلمة في كلّ أبعادها: «بما أنّه في الكلمة البيبليّة، يسير الله نحونا ونحن نحوه، فعلينا أن نتعلّم كيف نلج إلى سرّ اللغة، وكيف نفهمها في بنيتها وفي استعمالاتها. وهكذا، وبسبب البحث عن الله، فإنّ العلوم الدنيويّة، التي ترشدنا إلى الطرق نحو اللغة، تصبح هامَّة»[٩٩].

٣٣. إنّ السلطة التعليميّة الحيّة في الكنيسة، التي إليها يعود أمر «تفسير كلمة الله تفسيرًا أصيلاً، أكانت مكتوبة أم منقولة»[١٠٠]، قد تدخّلت بتوازن حكيم في ما يتعلّق بالموقف السليم الذي يجب اتّخاذه تجاه إدخال منهجيّات جديدة للتحليل التاريخيّ. أُشير خاصّة إلى الرسالتَين البابويَّتَين **الله الكلّي العناية** للبابا لاون الثالث عشر، و**بفيض الروح الإلهيّ** للبابا بيّوس الثاني عشر. ولقد ذكّر سلفي المكرَّم يوحنّا بولس الثاني بأهمّيّة هذين المستندَين بالنسبة إلى التفسير وإلى اللاهوت، وذلك لمناسبة احتفالات السنة المئة، ثمّ السنة الخمسين لإعلان كلٍّ منهما[١٠١]. كان لِتدخُّل البابا لاون الثالث عشر الفضل في حماية التفسير الكاثوليكيّ للكتاب المقدّس من

---

[٩٧] رج اللجنة البيبليّة الحبريّة، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥ نيسان ١٩٩٣) A–B، *Ench. Vat.* 13, nn. 2846-3150.

[٩٨] بندكتوس السادس عشر، **مداخلة شفهيّة عند الجمعيّة العامّة الرابعة عشرة لسينودس الأساقفة** (١٤ تشرين الأوّل ٢٠٠٨)؛ *La DC* n. 2412, p. 1015؛ رج المقترح ٢٥.

[٩٩] المرجع ذاته، بندكتوس السادس عشر، **خطاب إلى عالم الثقافة في كليّة البرناردينن في باريس** (١٢ أيلول ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٨)، ص ٧٢١–٧٣٠.

[١٠٠] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ١٠.

[١٠١] رج يوحنّا بولس الثاني، **خطاب بمناسبة مرور ١٠٠ سنة على الرسالة العامّة، الله الكلّيّ العناية، و٥٠ سنة على** الرسالة العامّة، **بِفَيضِ الروح الإلهيّ** (٢٣ نيسان ١٩٩٣): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٦ (١٩٩٤)، ص ٢٣٢–٢٤٣.

تهجّمات التيّار العقلانيّ، لكن بدون اللجوء إلى معنى روحيّ منفصل عن التاريخ. لم يتراجع أَمام الانتقاد العلميّ، لكنّه كان يحترس فقط من «الأَفكار المعلّبة التي تدّعي أنّها مؤسّسة على العلم، لكنّها، في الحقيقة، كانت تُخرج العلمَ خلسةً من حقله»[١٠٢]. بالمقابل، وجدَ البابا بيّوس الثاني عشر نَفسَه أَمام تهجّمات مؤيّدي تفسيرٍ يدّعي أنّه تصوّفيّ، ويرفض كلّ مقاربة علميّة. لقد تجنّبت الرسالة البابويّة **بفيض الروح الإلهيّ**، وبحسٍّ مرهف، خَلْقَ فكرة ازدواجيّة بين «التفسير العلميّ» بهدفٍ دفاعيٍّ، «والتفسير الروحيّ المخصَّص للاستخدام الداخليّ»، مؤكدّة، على العكس من ذلك، وفي الوقت عينِه، على «المضمون اللاهوتيّ للمعنى الحرفيّ المحدَّد منهجيًّا»، كما على انتماء "تحديد المعنى الروحيّ... إلى ميدان عِلمِ التفسير"[١٠٣]. بهذه الطريقة، رَفضَت الوثيقتان «القطع بين الإنسانيّ والإلهيّ، بين البحث العلميّ ونظرة الإيمان، بين المعنى الحرفيّ والمعنى الروحيّ»[١٠٤]. استُعيد هذا التوازن في ما بعد في وثيقة اللجنة البيبليّة الحَبريّة سنة ١٩٩٣: «على المفسّرين الكاثوليك ألاّ ينسوا أَبدًا، في عملهم التفسيريّ، أنّ ما يفسّرونه هو كلمة الله. لا تنتهي مهمّتهم المشتركة بعد أَن يكونوا قد ميّزوا المصادر، وحدَّدوا الأَشكال، أَو شرحوا الأَساليب الأَدبيّة. لا يتمّ بلوغ هدف عملهم إلاّ عندما يوضحون معنى النصّ البيبليّ على أنّه كلمة الله الراهنة»[١٠٥].

التفسير البيبليّ المجمعيّ: إشارة ينبغي تلقّيها

٣٤. في هذا الأُفق، بالإمكان تقدير مبادئ التأويل الكبرى العائدة إلى التفسير الكاثوليكيّ المعبّر عنها في المجمع الفاتيكانيّ الثاني، خاصّة في الدستور العقائديّ **كلمة الله**: «ولما كان الله قد تكلَّمَ في الكتاب المقدّس بواسطة البشر وعلى طريقتهم، وجب على مفسِّر الكتاب المقدّس، وبهدف أن يتفهّم ما أَراد الله إبلاغه إلينا، وجب عليه أَن يبحث بانتباه عمّا كان حقًّا في نيّة الكتّاب الملهَمين أَن يعبّروا عنه، وإلى ما حَسُنَ لله أَن يُظهره بأقوالهم»[١٠٦]. من جهة أولى، يشير المجمع إلى درس الأنواع الأَدبيّة وسياق النصّ كعناصر أَساسيّة لفهم المعنى الذي يريده الكاتب المُلْهَم. من جهة ثانية، بما أنّ الكتاب المقدّس يجب أَن يُفسَّر بِالروح عَينه الذي فيه كُتب، يشير

---

[١٠٢] المرجع ذاته رقم ٤: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٦ (١٩٩٤)، ص ٢٣٥؛ *La DC* n. 2073, p. 504.

[١٠٣] المرجع ذاته رقم ٥: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٦ (١٩٩٤)، ص ٢٣٥؛ *La DC* n. 2073, p. 505.

[١٠٤] المرجع ذاته رقم ٥: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٦ (١٩٩٤)، ص ٢٣٦؛ *La DC* n. 2073, p. 505.

[١٠٥] اللجنة البيبليّة الحبريّة ، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥ نيسان ١٩٩٣)، III، C، ١: ١٣ *Ench. Vat.* 13, n. 3065.

[١٠٦] الرقم ١٢.

الدستور العقائديّ إلى معايير ثلاثة أساسيّة في اعتبار البُعْد الإلهيّ للكتاب المقدّس: ١) تفسير النصّ مع الأخذ بالاعتبار **لوحدة الكتاب المقدّس بجملته** – وهذا ما يُدعي اليوم تأويلاً قانونيًّا؛ ٢) استحضار **التقليد الحيّ للكنيسة جمعاء**؛ ٣) **احترام مماثلة الإيمان**. «فقط في الحالة التي فيها تتمّ المحافظة على المستوَيَين المنهجيَّين، المستوى ذي الطبيعة التاريخيّة والنقديّة، والمستوى ذي الطبيعة اللاهوتيّة، بالإمكان عند ذاك الكلام على تأويل لاهوتيّ، تأويل مطابق لهذا الكتاب»[١٠٧].

لقد أَكّد آباء السينودس، وبحقّ، أنّ الثمرة الإيجابيّة الناتجة عَن استخدام البحث التاريخيّ–النقديّ الحديث لا يمكن إنكارها. مع ذلك، في حين أنّ التفسير الأكاديميّ الحاليّ، بما فيه الكاثوليكيّ، يعمل بمستوى رفيع على صعيد المنهجيّة التاريخيّة–النقديّة، من خلال أحدَث إسهاماتها، تجب المطالبة بدراسة مماثلة للبعد اللاهوتيّ للنصوص البيبليّة، لكي يتقدّم التعمّق وفقَ العناصر الثلاثة التي يشير إليها الدستور العقائديّ **كلمة الله**[١٠٨].

خطر الثنائيّة والتفسير المُعَلْمَن

٣٥. تجدر الإشارة، في هذا الموضوع، إلى خطر الثنائيّة الجسيم، الذي يظهر اليوم في مقاربة الكتب المقدّسة. في الواقع، عندما نميّز مستويَين في المقاربة، ليس المقصودُ فصلَ الواحد عن الآخر، ولا تعارض الواحد مع الآخر، ولا وضع الواحد إلى جانب الآخَر ببساطة. إنّهما مرتبطان الواحد بالآخر. مع الأَسف، ليس أَمرًا نادرًا أَن يولّد انفصالٌ غيرُ مُجْدٍ بين الاثنين تباينًا بين التأويل واللاهوت، والذي «يُطاول أيضًا المستويات الأكاديميّة الأكثر رِفعة»[١٠٩]. أُودّ هنا أن أذكّر بالعواقب التي تشغل البال أكثر ما يكون، والتي ينبغي تجنّبها.

أ– قبل كلّ شيء، إذا اقتصر النشاط التأويليّ على المستوى الأَوّل فقط، سيؤدّي ذلك إلى جعل الكتاب المقدّس بالذات **نصًّا من الماضي**: «بالإمكان استخلاص نتائج أَخلاقيّة، وبالإمكان تعلّم التاريخ منه، أَمّا الكتاب في حدّ ذاته فيتكلّم فقط عن الماضي، ولا يعود التفسير لاهوتيًّا حقًّا، بل يصبح عملَ تأريخ ليس إلاّ، يصبح تاريخَ

---

[١٠٧] بندكتوس السادس عشر، **مداخلة في الجلسة العامّة الرابعة عشرة لسينودس الأساقفة** (١٤ تشرين الأوّل ٢٠٠٨)؛ **تعاليم** ٤، ٢ (٢٠٠٨)، ٤٩٣؛ (*La DC*, n. 2412, p. 1015)؛ رج المقترح ٢٥.

[١٠٨] رج المقترح ٢٦.

[١٠٩] رج المقترح ٢٧.

الأَدب»[١١٠]. من الواضح أنّه باختزالٍ كهذا لا يمكن بأيّ طريقة فَهْمُ حدث وحي الله بِكلمته التي تنتقل إلينا في التقليد الحيّ وفي الكتاب المقدّس.

ب- إنّ عدم وجود تفسيرٍ إيمانيّ للكتاب المقدّس لا يُعبَّر عنه في صورة عدم الوجود هذا فقط، فلا بُدَّ أن ينسلَّ مكانه حتمًا تفسيرٌ آخر، **تفسيرٌ مُعلمَن**، ذو توجُّهٍ وضعيّ، مفتاحه الأَساسيّ القناعة بأنّ ما هو إلهيّ لا يظهر في التاريخ البشريّ. بحسب هذا التفسير، عندما يبدو أنّ هناك عنصرًا إلهيًا، يجب شرحه بطريقة أُخرى، والعودة بكلّ شيء إلى العنصر البشريّ. بالنتيجة، يتمّ عرض تفاسير تنكر تاريخيّة العناصر الإلهيّة[١١١].

ج- لا يمكن لِموقف كهذا إلاّ أَن يسبّب أَضرارًا في حياة الكنيسة، إذ ينشر شكًّا في أَسرارٍ مسيحيّةٍ أَساسيّةٍ وفي قيمتها التاريخيّة، كتأسيس الإفخارستيّا وقيامة المسيح، مثلاً. يتمُّ عندئذ فرض تفسير فلسفيّ ينكر إمكانيّة دخول ما هو إلهيّ في التاريخ وحضوره فيه. إنّ القبول بتفسيرٍ كهذا يُدخل حتمًا في الدراسات اللاهوتيّة ثنائيّة ثقيلة بين التأويل الذي يرتكز فقط على المستوى الأَوّل، وبين اللاهوت الذي ينفتح على انحراف رَوحنةِ معنى الكتب المقدّسة، لا يحترم الطابع التاريخيّ للوحي.

لا يمكن أن يكونَ لهذا الموقف سوى نتيجة سلبيّة، إن على الحياة الروحيّة، وإن على النشاط الرعويّ؛ «إنّ نتيجة غياب المستوى المنهجيّ الثاني هو أوجد لذاته هوّة عميقة بين التفسير العلميّ و**القراءة الربّيّة**؛ يؤدّي ذلك أحيانًا إلى نوع من الارتباك أَيضًا في إعداد العظات»[١١٢]. تجب أَيضًا الإشارة إلى أنّ ثنائيّةً كهذه تُنتج أحيانًا ارتيابًا ونقصًا في الرسوخ في طريق التنشئة الفكريّة لبعض المرشَّحين للخِدَمِ الكهنوتيّة[١١٣]. في النهاية، «حيث لا يكون التفسيرُ لاهوتًا، لا يمكن أن يكون الكتاب المقدَّس روحَ اللاهوت، والعكس صحيح، حيث لا يكون اللاهوت جوهريًّا تفسيرًا للكتاب المقدّس في الكنيسة، لا يعود لهذا اللاهوت من أَساس»[١١٤]. من الضروريّ إِذًا أن يُقَرَّر بِحَزمٍ النظر باعتناء أكبر إلى التعليمات الواردة في الدستور العقائديّ **كلمة الله** في هذا الشأن.

الإيمان والعقل في مقاربة الكتاب المقدّس

---

[١١٠] بندكتوس السادس عشر، **مداخلة في الجلسة العامّة الرابعة عشرة لسينودس الأساقفة** (١٤ تشرين الأوّل ٢٠٠٨)؛ **تعاليم** ٤، ٢ (٢٠٠٨)، ٤٩٣؛ *La DC*, n. 2412, pp. 1015-1016؛ رج المقترح ٢٦.

[١١١] رج المرجع ذاته.

[١١٢] المرجع ذاته.

[١١٣] رج المقترح ٢٧.

[١١٤] بندكتوس السادس عشر، **مداخلة في الجلسة العامّة الرابعة عشرة لسينودس الأساقفة** (١٤ تشرين الأوّل ٢٠٠٨))؛ **تعاليم** ٤، ٢ (٢٠٠٨)، ٤٩٣-٤٩٤؛ *La DC*, n. 2412, pp. 1015-1016 .

٣٦. أَظنّ أنّ كلَّ ما كتبه البابا يوحنّا بولس الثاني في هذا الموضوع، في رسالته **الإيمان والعقل**، يمكن أن يسهم في فهْمٍ أكمل للتفسير، ولعلاقته أيضًا باللاهوت كلّه. لقد أكّد أنّه لا ينبغي أن نقلّل من أهمّيّة «الخطر الكامن في استخراج حقيقة الكتاب المقدّس عن طريق تطبيق منهجيّة واحدة، وتناسي ضرورة تفسير أوسع يمكّن من الوصول، مع الكنيسة كلّها، إلى معنى النصوص الكامل. يجب على الذين يتكرّسون لدَراسة الكتب المقدّسة ألاّ يغيب عن ذهنهم أبدًا أنّ المنهجيّات التفسيريّة المختلفة ترتكز هي أيضًا على فكرة فلسفيّة: يحسن فحصها بِتَمييز قبل تطبيقها على النصوص المقدّسة»[١١٥].

يسمح لنا هذا التفكيرُ المتبصّرُ أن نلاحظ كيف أنّه، في المقاربة التفسيريّة للكتاب المقدّس، تدور العلاقة الصحيحة بين الإيمان والعقل. في الواقع، إنّ التفسير المعلمَن للكتاب المقدّس يظهر كفعلِ عقلٍ يستبعد بنيويًّا إمكانيّة دخول الله في حياة الناس، والتكلّم إليهم بكلمات بشريّة. في هذه الحالة، تصبح ضروريّةً الدعوةُ إلى **توسيع مدى العقلانيّة ذاتها**[١١٦]. لذلك، عند استعمال منهجيّات التحليل التاريخيّ، يجب تجنّب القيام من تلقاء النفس بأخذ معايير –حيث وُجدت– تنغلق مسبقًا على وحي الله في حياة الناس. إنّ وحدة المستويَين في عمل تفسير الكتاب المقدّس تفترض سلفًا، في نهاية المطاف، **انسجامًا بين الإيمان والعقل**. من جهة أولى، ينبغي أن يكون هناك إيمان يحافظ على علاقة ملائمة مع العقل المستقيم، لا يتحوّل أبدًا إلى نزعة إيمانيّة عاطفيّة مروّجةٍ لقراءَات أُصوليّة للكتاب المقدّس. من جهة ثانية، ينبغي أن يكون هناك عقلٌ، لدى بحثه عن العناصر التاريخيّة الموجودة في الكتاب المقدّس، يبدو منفتحًا، ولا يرفض مُسبَقًا كلّ ما يتخطّى حدَّه الخاصّ. علاوة على ذلك، لن يكون بمقدور ديانة **الكلمة** المتجسّد إلاّ أن تبدو عقلانيّة في العُمق للإنسان الذي يبحث بصدق عن الحقيقة وعن المعنى الأخير لحياته وللتاريخ.

المعنى الحرفيّ والمعنى الروحيّ

٣٧. بشكل ملحوظ، يسهم الإصغاء المتجدّد إلى آباء الكنيسة وإلى مقاربتهم التأويليّة، في إعادةِ تقويمِ تفسيرٍ ملائمٍ للكتاب المقدّس، كما أكّدت على ذلك جمعيّة السينودس[١١٧]. في الواقع، يقدّم لنا آباء الكنيسة اليوم أيضًا عِلْمَ لاهوتٍ ذا قيمة كبيرة، لأنّه مركَّز على دراسة الكتاب المقدّس بكلّيّته؛ فهم، أوّلاً وقبل كلّ شيء، «شرّاح

---

[١١٥] يوحنّا بولس الثاني، الرسالة العامّة، **الإيمان والعقل** (١٤ أيلول ١٩٩٨)، رقم ٥٥: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩١ (١٩٩٩) ٤٩–٥٠.

[١١٦] رج بندكتوس السادس عشر، **خطاب في المؤتمر الوطنيّ الكنسيّ الرابع لإيطاليا** (١٩ تشرين الأوّل ٢٠٠٦): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٨ (٢٠٠٦)، ص ٨٠٤–٨١٥؛ *L'ORf*, 24 octobre 2006, p. 3-4.

[١١٧] رج المقترح ٦.

للكتاب المقدّس»[118]. بإمكان مَثَلهم أن "يعلّم المفسّرين الحديثين مقاربة دينيّة فعلاً للكتاب المقدّس، كما أيضًا تفسيرًا يرتكز دومًا على معيار الشركة مع اختبار الكنيسة التي «تسير في التاريخ بقيادة الروح القدس»[119].

كان تقليدُ آباءِ الكنيسة والقرونِ الوسطى يجهل، طبعًا، مواردَ فقهِ اللغة والمواردَ التاريخيّة التي يمتناول علم التفسير الحديث، لكنّه كان يعرف أن يميّز معاني الكتاب المقدّس المختلفة، مبتدئًا بالمعنى الحرفيّ الذي «تدلّ عليه كلمات الكتاب المقدّس، ويكتشفه التفسير الذي يتبع قواعد التأويل الصحيح»[120]. يؤكّد القدّيس توما الأَكوينيّ، مثلاً، ما يلي: «كلّ معاني الكتاب المقدّس ترتكز على المعنى الحرفيّ»[121]. مع هذا، من الضروريّ التذكير بأنّه في زمن آباء الكنيسة والقرون الوسطى، كانت كلّ أَشكال التفسير، بما فيها الحرفيّة، كانت تجري على أساس الإِيمان، ولم تكن بالضرورة تميّز بين **المعنى الحرفيّ والمعنى الروحيّ**. نذكّر هنا الآن بالتمييز الكلاسيكيّ الذي يُظهر العلاقة بين مختلف معاني الكتاب المقدّس: «المعنى الحرفيّ يفيد عن الأَحداث، والألّيغوريّا على ما يجب الإِيمان به، والمعنى الخُلُقيّ على ما يجب عمله، واستخراج المعنى الروحيّ الذي يجب أَن نتوق إِليه»[122].

نذكر هنا الوحدة والترابط بين **المعنى الحرفيّ والمعنى الروحيّ**، الذي يُقسم بدوره إِلى معانٍ ثلاثة، بها توصف محتويات الإِيمان والأَخلاق والانشداد النهيويّ.

في نهاية المطاف، وإِذ نقرّ بقيمة المنهجيّة التاريخيّة—النقديّة وضرورتها، بالرغم من محدوديّتها، نتعلّم من التأويل: التفسير الآبائيّ أنّنا «لن نكون أُمناء على ما تنوي النصوص البيبليّة أن تقوله لنا إلاّ بقدر ما نحاول أن نجد، في صميم صياغتها، حقيقة الإِيمان التي تُعبّرُ عنها، وحيث نربط هذه الواقع بخبرة عالمنا الإيمانيّة»[123]. فقط من هذا المنظار، نستطيع أَن نتبيّن أنّ كلمة الله حيّة، وتتوجّه إِلى كلّ إِنسان في واقع حياته. بهذا المعنى، يبقى تأَكيد اللجنة البيبليّة الحَبريّة صالحًا بالتمام، وهو يحدّد المعنى الروحيّ بحسب الإِيمان المسيحيّ على أنّه «المعنى الذي تعبّر عنه النصوص الكتابيّة عندما نقرأها تحت تأثير إِلهام الروح القدس في سياق سرّ المسيح الفصحيّ والحياة الجديدة التي

---

[118] Cf. Saint Augustin, *De libero arbitrio,* III, XXI, 59: *PL* 32, 1300; *De Trinitate*, II, I, 2: *PL* 42, 845.

[119] *Instr. Inspectis dierum* 10 novembre 1989, n. 26, : **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٢ (١٩٩٠)، ص ٦١٨.

[120] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، رقم ١١٦.

[121] *Summa Theologiae,* I, q.1, a.10, ad 1.

[122] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، رقم ١١٨.

[123] اللجنة البيبليّة الحبريّة، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥ نيسان ١٩٩٣)، II، A، ٢: *Ench. Vat.* 13, n. 2987.

تنتج عنه. إنّ هذا السياق موجود فعلاً. والعهد الجديد يرى فيه كمال الكتب المقدّسة. فمن الطبيعيّ إذًا أن نعيد قراءة الكتب المقدّسة على ضوء هذا السياق الجديد، الذي هو سياق الحياة في الروح[١٢٤].

التخطّي الضروريّ للحرف

٣٨. عندما ندرك الترابط بين مختلف معاني الكتاب المقدّس، يصبح أمرًا محتّمًا فَهْمُ **العبور من الحرف إلى الروح**. ليس المقصودُ عبورًا آليًّا وعفويًّا؛ يجب بالأحرى أن يكونَ تخطِّيًا للحرف: «في الواقع، ليست كلمة الله أبدًا حاضرة ببساطة في حرفيّة النصّ وحدها. يتطلّب الوصول إليها تخطّيًا وتطوّرًا في الإدراك تقوده الحركة الداخليّة لمجمل النصوص، وعليه بالتالي أن يصبح تطوّرًا حيويًّا»[١٢٥]. هكذا نكتشف لماذا لا تكون عمليّة التفسير الحقيقيّ عقليّةً بحتةً، إنّما أيضًا حياتيّةً، تتطلّب اشتراكًا كاملاً في الحياة الكنسيّة لكونها حياة «يقودها روح الله» (**غل** ٥: ١٦). بهذه الطريقة، تزداد وضوحًا المقاييس التي يبرزها العدد ١٢ من الدستور العقائديّ **كلمة الله**: لا يمكن لهذا التخطّي أن يتحقّق انطلاقًا من مقطع أدبيّ واحد، إنّما بالارتباط بالكتاب المقدّس كلّه. في الواقع، نحن مدعوّون إلى القيام بهذا التخطّي باتّجاه كلمة فريدة. يتضمّن عملٌ كهذا طابعًا دراماتيكيًّا حميمًا، إذ، في عمليّة التخطّي، ذلك العبورُ الذي يتمّ بقوّة الروح يصطدم حتمًا بحرّيّةَ كلّ واحد. لقد عاش القدّيس بولس بالتمام هذا العبورَ في حياته الخاصّة، وعَبَّرَ بطريقة جذريّة عن معنى تخطّي الحرف وفهمه انطلاقًا فَقَط من الكلّ في هذه الجملة: «الحرف يقتل والروح يحيي» (٢ كو ٣: ٦). اكتشف القدّيس بولس أنّ «للروح الذي يحرّر اسمًا، وأنّ للحرّيّة بالتالي قياسًا داخليًّا: "الربّ هو الروح، وحيث روح الربّ هناك الحرّيّة" (٢ كو ٣: ٦)؛ فالروحُ الذي يحرّر ليس هو الفكرة الخاصّة لدى مَن يُفسِّر أو رؤيتِه الشخصيَّة. الروح هو المسيح، والمسيح هو الربّ الذي يدلّنا على الطريق»[١٢٦]. نحن نعلم أيضًا كم كان هذا المقطع، في نظر القدّيس أغسطينوس، مأساويًّا ومحرِّرًا في آنٍ معًا؛ لقد آمن بالكتب المقدّسة التي بدت له أوّلاً مختلفةً بعضها مع بعض، وأحيانًا ملأى بأمور غريبه، ولكنّه تَحَرَّرَ بفضل هذا التخطّي الذي تعلّمه من القدّيس أمبروسيوس من خلال الشرح النموذجيّ القائل بأنّ العهد القديم كلّه هو

---

[١٢٤] اللجنة البيبليّة الحبريّة، **تفسير البيبليا في الكنيسة**، II، B، ٢: ١٣ *Ench. Vat.* 13 n. 3003.

[١٢٥] رج بندكتوس السادس عشر، لقاء مع رجال الثقافة في جامعة برناردين باريس (١٢ أيلول ٢٠٠٨): أعمال الكرسيّ الرسوليّ ١٠٠ (٢٠٠٨)، ص ٧٢٦.

[١٢٦] المرجع ذاته.

طريق إلى يسوع المسيح. في نظر القدّيس أغسطينوس، إنّ تخطّي الحرفِ جعل الحرفَ نفسه قابلاً للتصديق، وسَمَح له أَن يجد أَخيرًا الجوابَ على تساؤلات نفسِه العطشى إِلى الحقيقة [١٢٧].

وحدة الكتاب المقدّس الداخليّة

٣٩. في مدرسة تقليد الكنيسة الكبير، نتعلّم أن نفهم أيضًا، بعبورنا من الحرف إِلى الروح، وحدةَ الكتابِ المقدّسِ كلِّه، لأنّ كلمة الله التي تخاطب حياتَنا فريدة هي، إذ تدعوها باستمرار إِلى التوبة[١٢٨]. تبقى عبارات هوغ دو سان فيكتور دليلاً أكيدًا لنا: « تؤلّف مُجمل الكتب الإلهيّة كتابًا فريدًا، وهذا الكتاب الفريد هو المسيح، هو يتكلّم عن المسيح ويجد في المسيح تَتميمه»[١٢٩]. إذا نظرنا إِلى الكتاب المقدّس من الناحيّة التاريخيّة أَو الأَدبيّة فحسب، نرى بالتأكيد أنّه ليس ببساطة كتابًا، بل مجموعة نصوص أَدبيّة يمتدُّ تأليفها على أَكثر من أَلف سنة ، ولا يمكن التعرّف إِلَى كلّ كتاب منها بسهولة على أنّه جزء من كلّ، بل، على العكس، يوجد بين هذه النصوص تجاذبات مرئيّة. يصحُّ هذا الأمر في بيبليا إسرائيل الذي ندعوه، نحن المسيحيّين، العهدَ القديم. وهذا يصحُّ أَكثر، عندما نضمّ، نحن المسيحيّين، العهد الجديد وكتبه، كمفتاح تَفسيريّ تقريبًا، إِلى كتاب شعب إسرائيل، وهكذا نفسّره كأنَّه طريق إِلى المسيح. في العهد الجديد عامّة، لا تُستَعمل كلمة «**الكتاب**» (رو ٤: ٣؛ ١ بط ٢: ٦) ، بل بالأحرى كلمة «**الكتب**» (رج مت ٢١: ٤٣؛ يو ٥: ٣٩؛ رو ١: ٢؛ ٢ بط ٣: ١٦)، التي أصبحت تُعتبَرُ بمجملها أنّها كلمة الله الفريدة الموجَّهة إِلينا[١٣٠]. بهذه الطريقة يظهر بوضوح كيف أنّ شخص المسيح يعطي "الكتب" وحدتَها في إشارةٍ إِلى «الكلمة» الفريدة. نفهم هكذا ما يؤكّد عليه عدد ١٢ من الدستور العقائديّ **كلمة الله**، إِذ يُشير إِلى الوحدة الداخليّة للبيبليا على أنَّها المقياس القاطع من أجل تفسير صحيح للإيمان.

العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد

٤٠. في إطار وحدة الكتب المقدسّة في المسيح، من الضروريّ للاّهوتيّين كما أيضًا للرعاة أن يعوا الروابط القائمة بين العهدَين القديم والجديد. قبل كلّ شيء، من الواضح أنّ **العهد الجديد نفسه يعترف بالقديم أنّه كلمة**

---

[١٢٧] رج بندكتوس السادس عشر، **مقابلة عامّة** (٩ كانون الثاني ٢٠٠٨): *L'ORf*, 15 janvier 2008, p. 12.

[١٢٨] رج المقترح ٢٩.

[١٢٩] *De arca Noe*, 2, 8: *PL* 176, 642 C-D.

[١٣٠] رج بندكتوس السادس عشر، لقاء مع رجال الثقافة في جامعة برناردين باريس (١٢ أيلول ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٨)، ص ٧٢٥.

الله، ولذلك يقرّ بسلطة الكتب المقدسّة التي للشعب اليهوديّ[١٣١]. إنّه يعترف به ضمنيًّا من خلال لجوئه إلى اللغة ذاتها، والتلميح تكرارًا إلى مقاطع من هذه الكُتب. ويعترف به صراحةً لأنَّه يستشهد بأقسام عديدة منه ويستخدمها للبرهان. هكذا يكتسب البرهان المرتكزُ على نصوص من العهد القديم في العهد الجديد قيمةً حاسمةً تفوق قيمةً التفكير البشريّ البحت. في الإنجيل الرابع، يعلن يسوع بهذا الصدد أنّ «الكتاب المقدّس لا يُنقَض» (يو ١٠: ٣٥). ويوضح القدّيس بولس تحديدًا أنّ قيمة وحي العهد القديم تبقى قائمة بالنسبة إلينا نحن المسيحيّين (رج رو ١٥: ٤؛ ١ كو ١٠: ١١)[١٣٢]. من جهة أُخرى، نؤكّد أنّ «يسوع الناصريّ كان يهوديًّا وأنّ الأَراضي المقدّسة هي الأَرض—الأُمّ للكنيسة»[١٣٣]. إنّ جذور المسيحيّة موجودة في العهد القديم، والمسيحيّة تتغذّى دائمًا من هذه الجذور. ولقد رفضت العقيدة المسيحيّة السليمة دومًا كلّ شكل تراجعيّ للمرقيونيّة الساعية، بأَشكال شتَّى، إلى وضع العهد القديم في مواجهة مع العهد الجديد[١٣٤].

فضلاً عن ذلك، يشدّد العهد الجديد على أنّه يطابق العهد القديم، ويُعلن أنَّه، في سرّ حياة المسيح وموته وقيامته، وجَدَت كتب الشعب اليهوديّ تتميمها الكامل. لكن تجدر الملاحظة إلى أنّ مفهوم «تتميم الكتب» مفهوم مُتَشَعِّب، لأنّه يشمل بُعْدًا ثلاثيًّا: جانبَ **تواصُلٍ** أساسيًّا مع وحي العهد القديم، وجانبَ **قطيعةٍ**، وجانبَ **تَتميمٍ وتَخَطٍّ**. إنّ سرّ المسيح هو في خطِّ متواصلٍ في النيّة مع الطقس الذبائحيّ في العهد القديم؛ لكنّه تحقّق بطريقة مختلفة جدًّا تتناسب وعدّة أقوال نبويّة، وهكذا بلغ كمالاً لم يسبق إليه أحد من قبل. في الواقع، إنّ العهد القديم مليء بالمشادَّات بين مظاهره المؤسّساتيّة ومظاهره النبويّة. وسرّ المسيح الفصحيّ مطابق تمامًا، وبطريقة لم تكن دائمًا متوَقَّعَة، مع النبوءات والرموز السابقة في الكتب المقدّسة، لكنه يعطي علامات قطع واضحة مع مؤسّسات العهد القديم.

٤١. هكذا تُظهر هذه الاعتباراتُ أهمّيّةَ العهدِ القديم ولا بديل لها بالنسبة إلى المسيحيّين، إنّما، في الوقت عينه، توضح **فرادة القراءة الكريستولوجيّة**. منذ زمن الرسل، ولاحقًا في التقليد الحيّ، سلّطت الكنيسة الضوء على

---

[١٣١] رج المقترح ١٠؛ اللجنة البيبليّة الحبريّة ، **الشعب اليهوديّ وكتبه المقدّسة في البيبليا المسيحيّة** (٢٤ أيار ٢٠٠١)، رقم ٣-٥: *Ench. Vat.* 20, nos. 748-755.

[١٣٢] رج التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، رقم ١٢١-١٢٢.

[١٣٣] المقترح ٥٢.

[١٣٤] رج إفتتاحية اللجنة البيبليّة الحبريّة، **الشعب اليهوديّ وكتبه المقدّسة في البيبليا المسيحيّة** (٢٤ أيار ٢٠٠١)، ١٩: *Ench. Vat.* 20, nn. 799-801; cf. Origène, *Homélies sur les Nombres* 9, 4: *SC* 415, p. 238-242.

وحدة التصميم الإلهيّ في العهدَين بفضل النموذجيّة، التي لا طابعَ اعتباطيَّ لها، بل هي متأصّلةٌ في الأَحداث التي يسردها النصّ المقدّس، وَتَختصّ، بالتالي، بِكلّ الكتاب. فالنموذجيّة «تميّز في أَعمال الله، في العهد القديم، صُوَرًا مُسبَقة لِما حقّقه الله في ملء الأزمنة في شخص ابنه المتجسّد»[١٣٥]. يقرأ المسيحيّون إذًا العهد القديم في ضوء المسيح الذي مات وقام من الموت. إذا كانت القراءة النموذجيّة تكشف مضمون العهد القديم الذي لا ينضب، في علاقة بالجديد، ينبغي ألاّ تقود إلى نسيان أنّ العهد الجديد يحافظ على قيمته كوحيٍ، وقد أثبته رَبُّنا نَفسُه (رج مر ١٢: ٢٩-٣١). بالتالي، «ينبغي أنْ يُقرأ العهد الجديد في ضوء القديم. والكرازة المسيحيّة الأُولى ترجع دائمًا إليه (١ قو ٥: ٦-٨؛ ١ قو ١٠: ١-١١)»[١٣٦]. لأجل هذا، أكّد آباء السينودس أنّ «الفَهْمَ اليهوديَّ للكتاب المقدّس قد يساعد المسيحيّين على فهم الكتب المقدّسة ودراستها»[١٣٧].

«العهد الجديد مخبوءٌ في القديم، والقديم مكشوفٌ في الجديد»[١٣٨]؛ هكذا، وبحكمة عميقة، يتكلّم القدّيس أغسطينوس في هذا الموضوع. من المهمّ إذًا إبراز هذه العلاقة الحميمة بين العهدين، في العمل الرعويّ كما في الوسط الأَكاديميّ، والتذكير، مع القدّيس غريغوريوس الكبير، بأنّ «ما وعد به العهد القديم، أَظهره العهد الجديد، وما قالَه ذاك بطريقة خفيّة أَعلنه هذا بوضوح كشيء حاضر. لذلك، فالعهد القديم هو نبوءة عن الجديد؛ وأَفضل شرح للعهد القديم هو العهد الجديد»[١٣٩].

صفحات الكتاب المقدّس "الغامضة"

٤٢. في صدد العلاقة بين العهدَين القديم والجديد، عالج السينودس أَيضًا موضوع صفحات الكتاب المقدّس التي تبدو غامضة وصعبة بسبب ما فيها من عنف ولاأَخلاقيّة أحيانًا. في هذا الصدد، يجب قبل كلّ شيء الأَخذ بعين الاعتبار لواقعَ أنّ **الوحي البيبليّ مُتجذّرٌ إلى العمق في التاريخ**. فيه يظهر قصد الله **تدريجيًّا**، ويتحقّق بِبُطء عبر **مراحل متلاحقة**، بالرغم من مقاومة البشر. يختار الله شعبًا ويربيّه بطول أناة. يتكيّف الوحي مع المستوى الثقافيّ والأَخلاقيّ لأزمنةٍ بعيدة، وينقل بالتالي أحداثًا وعادات، كأَعمال احتيال، وتدخّلات عنيفة، وإبادة شعوب، من دون التنديد صراحةً بلاأخلاقيّتها، وهذا يُفسَّر بالإطار التاريخيّ، ولكنّه قد يفاجئ القارئ العصريّ،

---

[١٣٥] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٢٨.

[١٣٦] المرجع ذاته، ١٢٩.

[١٣٧] المقترح ٥٢.

[١٣٨] *Questiones in Heptateuchum*, 2, 73: *PL* 34, 623.

[١٣٩] *Homiliae in Ezechielem*, I, VI, 15: *PL*, 76, 836 B.

بخاصّة عندما ننسى التصرّفات العديدة «الغامضة» التي قام بها الناس على مرّ العصور حتّى يومنا هذا. في العهد القديم، يعلو وعظُ الأَنبياء بقوّة ضدّ كلّ أَنواع الظلم والعنف، الجماعيّ أَو الفرديّ، ويصبح بذلك الوسيلة التربويّة التي يقدّمها الله لشعبه بهدف إعداده للإِنجيل. قد يكون من الخطأ إِذًا ألاّ نأخذ بالاعتبار هذه المقاطع من الكتاب المقدّس التي تبدو لنا مريبة. يجب بالحري أن نَعي أنّ قراءة هذه الصفحات تتطلّب اكتساب كفاءة خاصّة من خلال تنشئة تقرأ النصوص في سياقها التاريخيّ—النقديّ، وفي المنظار المسيحيّ الذي مفتاحه التفسيريّ النهائيّ هو «الإِنجيل ووصيّة يسوع المسيح الجديدة المتمّمة في السرّ الفصحيّ»[١٤٠]. أُحثّ إِذًا البحّاثة والرعاة على أن يُساعدوا جميع المؤمنين لكي يتقرّبوا من هذه الصفحات من خلال قراءة تساعد على كشف معناها في ضوء سرّ المسيح.

مسيحيّون ويهود أمام الكتاب المقدّس

٤٣. إذا أخذنا بعين الاعتبار العلاقات الوثيقة التي تربط العهد الجديد بالقديم، يتوجّه انتباهنا تلقائيًّا إِلى الرباط الخاصّ الذي ينتج عن ذلك بين المسيحيّين واليهود، رباط ينبغي ألاّ يُنسَى أَبدًا. لقد أَعلن البابا يوحنّا بولس الثاني لليهود: «أَنتم "إخوتنا المفضَّلون" في إِيمان إبراهيم أبينا»[١٤١]. بالتأكيد، لا يعني هذا الإعلان تجاهلاً للانفصالات المؤَكَّد عليها في العهد الجديد تجاه بعض مؤسّسات العهد القديم، ناهيك عن تتميم الكُتُب في سرّ يسوع المسيح المعتَرَف به مسيحًا وابنًا لله. غير أنَّ هذا الفرق العميق والأَساسيّ لا يُؤدِّي مطلقًا إلى عداوة متبادلة. على العكس من ذلك، يُبرهن مَثَلُ القدّيس بولس (رج رو ٩-١٢) أنّ «موقف احترام وتقدير ومحبّة نحو الشعب اليهوديّ هو الموقف الوحيد المسيحيّ حقًّا في هذا الوضع الذي هو جزءٌ سرّيٌّ من مخطّط الله الكلّيّ الإيجابيّة»[١٤٢]. في الواقع، يؤَكّد القدّيس بولس بخصوص اليهود أنّ «اختيار الله جعل منهم أحبّاء، بسبب آبائهم. إنّ مواهب الله ودعوته هما بلا رجعة» (رج رو ١١: ٢٨-٢٩).

فَضلاً عن ذلك، يستعمل القدّيس بولس الصورة الجميلة لشجرة الزيتون لكي يصف العلاقات الوثيقة جدًّا بين المسيحيّين واليهود: تشبه كنيسة الأمم غصنَ زيتونة برّيّة طُعِّمت في زيتونة جَيِّدَة، وهي شعب العهد (رج **رو** ١١: ١٧-٢٤). نحن نأخذ إِذًا غذاءنا من الجذور الروحيّة ذاتها. نلتقي كإِخوة، إخوة مرّوا في بعض مراحل من تاريخهم بِعلاقات متوتّرة، لكنّهم اليوم ملتزمون بقوّة ببناء جسور على أَساس صداقة ثابتة[١٤٣]. وكان البابا يوحنّا بولس

---

[١٤٠] المقترح ٢٩.

[١٤١] يوحنّا بولس الثاني، **رسالة إلى الحاخام الأكبر في روما** (٢٢ أيار ٢٠٠٤)، *La DC* n. 2316, p. 553.

[١٤٢] اللجنة البيبليّة الحبريّة، **الشعب اليهوديّ وكتبه المقدّسة في البيبليا المسيحيّة** (٢٤ أيار ٢٠٠١)، رقم ٨٧: *Ench. Vat.* 20, n. 1150.

[١٤٣] رج بندكتوس السادس عشر، **الخطاب الوداعيّ في مطار بن غوريون في تل أبيب** (١٥ أيار ٢٠٠٩): *L'ORf*, 26 mai 2009, p. 13.

الثاني أيضًا يقول: «لدينا أُمور عديدة مشتركة. يُمكِننا أَن نعمل مَعًا الكثير لأجل السلام والعدالة، ولأجل عالم أكثر أخوّة وأكثر إنسانيّة»[١٤٤].

أَودّ أَن أُؤَكّد مرّة جديدة كَم أنَّ **الحوار مع اليهود** ثمين بالنسبة إلى الكنيسة. فحيث نرى فرصة مناسبة، من المستَحسَن خلق مناسبات للتلاقي وللتبادل، حتّى علنيًّا، تعزّز تعميق المعرفة المتبادلة، والتقدير المتبادل، والتعاون أيضًا في دراسة الكتاب المقدّس.

الشرح الأُصوليّ للكتاب المقدّس

٤٤. إنّ الانتباه الذي شئنا أَن نوليه، حتّى الآن، لِموضوع التفسير البيبليّ بجوانبه المختلفة، يسمح لنا بمعالجة موضوع التفسير الأُصوليّ للكتاب المقدّس، الذي ورد مرّات عدّة خلال النقاش السينودسيّ[١٤٥]. صاغت اللجنة البيبليّة الحَبريَّة تعليمات هامّة بشأن هذا الموضوع، في الوثيقة حول **تفسير الكتاب المقدَّس في الكنيسة**. في هذا السياق، أودّ أن أَلفِتَ الانتباه خاصّة إِلى هذه القراءات التي لا تحترم طبيعة النصّ المقدّس الأصيلة، مُفضِّلةً تفاسير غير موضوعيّة واعتباطيّة. في الواقع، تُمثِّل «الحَرْفيّة» التي تُروّج لها القراءةُ الأُصوليّة خيانةً إنْ للمعنى الحرفيّ وإنْ للمعنى الروحيّ، فاتحةً بذلك طرقًا أمام استغلالات مختلفة الأنواع، ناشرةً، مَثلاً، تفاسير للكتب المقدّسة ذاتها مناهضة للكنيسة. الجانب المريب «للقراءة الأُصوليّة هو أنّه، إِذا ما رفضنا الطابع التاريخيّ لِلوحي البيبليّ، نصبح غير قادرين على أن نقبل بالتمام حقيقة التجسّد بالذات. تتهرّب الأصوليّة من العلاقة الوثيقة بين ما هو إلهيّ وما هو إنسانيّ في الصِّلات مع الله (...). لهذا السبب هي تحاول أَن تعالج النصّ البيبليّ كما لو كان قد أُمليَ كلمة بِكلمة من قِبَلِ الروح، ولا تتمكّن من أن تعترف بأن كلمة الله قد صيغت بِلغة وتركيب جُمَل مشروطَين بهذا العصر أَو ذاك»[١٤٦]. على العكس من ذلك، تستشف المسيحيّة **في** الكلمات **الكلمةَ**، «**اللوغوس**» نَفسَه الذي يُشرق سرَّه من خلال هذه التعدّديّة، ومن خلال حقيقةِ تاريخٍ بشريّ[١٤٧]. إنّ الجواب الحقيقيّ على قراءة أُصوليّة هو «القراءة المؤمنة للكتاب المقدّس المِمارَسَة منذ القِدَم في تقليد الكنيسة؛ (فهذه الأخيرة) تبحثُ عن الحقيقة التي تخلّص من أجل حياة كلّ مؤمن ومن أجلِ الكنيسة. تعترف هذه القراءة بقيمة التقليد البيبليّ التاريخيّة. وبسببِ

---

[١٤٤] يوحنّا بولس الثاني، **خطاب موجَّه إلى عظماء حاخاميّ إسرائيل** (٢٣ أذار ٢٠٠٠)، *La DC* n. 2224, p. 372.

[١٤٥] رج المقترحين ٤٦ و٤٧.

[١٤٦] اللجنة البيبليّة الحبريّة، **التفسير البيبليّ في الكنيسة** (١٥ نيسان ١٩٩٣)، I، F؛ ص ٦٢-٦٣: *Ench. Vat.* 13, n. 2974.

[١٤٧] رج بندكتوس السادس عشر، لقاء مع رجال الثقافة في جامعة برناردين باريس (١٢ أيلول ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٨)، ص ٧٢٦.

قيمة الشهادة التاريخيّة هذه تحديدًا، هي تريد إعادة اكتشاف معنى الكتب المقدّسة الحيّ الموجّهة إلى حياة المؤمن اليوم»[١٤٨]، من دون إنكار الوساطة البشريّة للنَّصِ الملهم وأنواعِه الأَدبيّة.

الحوار بين الرعاة واللاهوتيّين والمفسّرين

٤٥. يحمل التفسير الأصيل للإيمان في طيّاته بعض النتائج الهامّة في مجال نشاط الكنيسة الرعويّ. في هذا الصدد تحديدًا، أوصى آباء المجمع، مثلاً، بإقامة رباط أَمتن بين الرعاة والمفسّرين واللاهوتيّين. من المستحسَن أن تشجّع مجالس الأَساقفة هذا النوع من اللقاءات «لأَجل تحفيز شركة أَكبر في خدمة كلمة الله»[١٤٩]. إنّ هذا النوع من التعاون يساعد كلَّ واحد على تتميم مهمّته الخاصّة لمصلحة الكنيسة كلّها. في الواقع، الانضواءُ في إطار العمل الرعويّ يعني للباحثين أَنفسهم الوقوفَ أَمام النصّ المقدّس بكونه بلاغًا يُعلنه الربّ للناس لأَجل خلاصهم. لذلك، كما أعلن الدستور العقائديّ **كلمة الله**، يُطلَب مِن «المفسّرين الكاثوليك والذين يتكرّسون لعلم اللاهوت المقدّس أن يوحِّدُوا بغَيرةٍ قواهُم، وأن يجهدوا في تَفحُّص الكتب الإلهيّة وتقديمها، تحتَ سَهَر السلطة التعليميّة المقدّسة، وبالعودة إلى الوسائل الملائمة، بحيث يستطيع أكبر عدد مُمكن من خدّام الكلمة الإلهيّة أَن يقدّموا لشعب الله، بطريقة مثمرة، غذاء الكتب المقدّسة الذي ينير العقول، ويثبّت الإرادات، ويلهب قلب الناس لمحبّة الله»[١٥٠].

الكتاب المقدّس والحركة المسكونيّة

٤٦. في وعي الكنيسة أنّها مبنيّة على المسيح، كلمة الله المتجسّد، أَراد السينودس أن يشدّد على الطابع المركزيّ للدراسات البيبليّة في الحوار المسكونيّ بهدف التعبير التامّ عن وحدة كلّ المؤمنين بالمسيح [١٥١]. في الواقع، نجد في الكتاب المقدّس نَفسِه الصلاةَ النابضة، صلاةَ يسوع إلى أبيه كي يكون تلاميذه واحدًا لكي يؤمن العالم (رج **يو** ١٧: ٢١). كلُّ هذا يثبّتنا في القناعة أنَّ الإصغاء إلى الكتب المقدَّسة والتأمُّل فيها معًا يجعلنا نعيش شركة واقعيّة، وإن لم تكن بعد تامّة[١٥٢]؛ «إنَّ الإصغاء المشترك للكتب المقدّسة يدفعنا هكذا إلى حوار المحبّة، ويُنمي حوارَ

---

[١٤٨] المقترح ٤٦.

[١٤٩] المقترح ٢٨.

[١٥٠] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٢٣.

[١٥١] بشأن الكتُب المسمَّاة "قانونيّة ثانية" في العهد القديم، وبشأن طابعها الملهَم، نُذكِّر بالمقابل أنَّ قانون الكتاب المقدَّس عند الكاثوليك والأرثوذكس يختلف عمَّا عليه عند الأنغليكان والبروتستانت.

[١٥٢] رج الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة، **تقرير ما بعد المناقشة**، رقم ٣٦.

الحقيقة»[١٥٣] . في الواقع، إنّ الإصغاء معًا إلى كلمة الله، ومُمارسة **القراءة الربّيّة** للكتاب المقدَّس، والانذهال أمام جِدَّةِ كلمة الله التي لا تشيخ ولا تنضب، وتخطِّي حدودنا عن الكلمات التي لا تتطابق مع آرائنا وأَحكامنا المسبقة، ثمّ الإصغاء والدرس في شركة مع مؤمنيّ كلّ العصور: كلُّ هذا يكوّن طريقًا للسير فيه بلوغًا إلى وحدة الإيمان كجوابٍ للإصغاء إلى الكلمة[١٥٤]. كان كلام المجمع الفاتيكانيّ الثاني في الحقيقة مُنوِّرًا: «الكتب المقدّسة هي، في [الحوار المسكونيّ] نَفسِه، أدوات ثمينة بين يَدَي الله القديرتَين للحصول على هذه الوحدة التي يقدّمها المخلّص لجميع الناس»[١٥٥]. لذا فمن المستحبّ تطوير درس كلمة الله، ومناقشتها، والاحتفالات المسكونيّة بها، مع احترام القواعد المرعيّة الإجراء والتقاليد المختلفة[١٥٦]. تفيد هذه الاحتفالات قضيّةَ الحركة المسكونيّة؛ وعندما تُعاشُ بمعناها الحقيقيّ، فإنَّها تشكّل أوقاتًا مكثّفة لصلاة أصيلة تطلب من الله أن يقرّب اليوم المرغوب الذي فيه نستطيع كلّنا أَن نتقدّم من المائدة ذاتها وأَن نشرب من الكأس الواحدة. بالرغم من ذلك، ومع التعزيز السليم والجدير بالثناء لهذه الأوقات، يجب أن نضمن عدم عرضها على المؤمنين كبديلٍ عن القدّاس الإلهيّ الذي يُحتَفَل به في الأيّام المأمورة.

وفي عمل الدَرس والصلاة هذا، نعترف بصفاء أَيضًا بالجوانب التي لا تزال بحاجة إلى بحثٍ أكثر عمقًا، والتي لا نزال نختلف حولها، مثل فهم موضوع مرجعيّة التفسير في الكنيسة، ودور السلطة التعليميّة الكنسيّة الحاسم.[١٥٧]

أخيرًا، أَودّ أَن أُنوّه، في هذا الجهد المسكونيّ، بما قاله آباء السينوس بشأن أهمّيّة **ترجمة الكتاب المقدّس إلى اللغات المختلفة**. في الواقع، نحن نعلم أنّ نَقْلَ نصٍّ من لغةٍ إلى أخرى ليس عملاً آليًّا بَحتًا، بل هو، بمعنى ما، جزءٌ من عمل التفسير. في هذا الصدد، أكّد المكرَّم يوحنّا بولس الثاني ما يلي: «الذين يتذكّرون ما كان للجدالات حول الكتاب المقدّس من تأثير على الانقسامات، خاصّة في الغرب، يستطيعون أَن يفهموا هذا التقدّم الملحوظ الذي تمثّله الترجمات المشتركة»[١٥٨]. بهذا المعنى، تعزيز العمليّاتُ المشتركةُ لترجمة الكتاب المقدّس هو جزء

---

[١٥٣] المقترح ٣٦.

[١٥٤] رج بندكتوس السادس عشر، **خطاب في المجلس العاديّ للأمانة العامّة لسينودس الأساقفة التاسع** (٢٥ كانون الثاني ٢٠٠٧): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ٨٥-٨٦.

[١٥٥] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، قرار في الحركة المسكونيّة **استعادة الوحدة**، رقم ٢١.

[١٥٦] رج المقترح ٣٦.

[١٥٧] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ١٠.

[١٥٨] الرسالة العامّة، **ليكونوا واحدًا** (٢٥ أيار ١٩٩٥)، رقم ٤٤: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٧ (١٩٩٥)، ص ٩٤٧.

من المشروع المسكونيّ. أودّ أن أشكر هنا كلّ الذين يحملون هذه المسؤوليّة الكبيرة، وأن أُشجعّهم على متابعة مهمّتهم.

النتائج على تنظيم الدراسات اللاهوتيّة

٤٧. وثمّةَ نتيجة أُخرى لتفسير ملائم للإيمان، هي ضرورة تبيان ملزماتها بالنسبة إلى التنشئة التفسيريّة واللاهوتيّة، وخصوصًا تنشئة المرشّحين إلى الكهنوت. يجب العمل على أن تكون دراسة الكتاب المقدّس حقًّا روحَ علم اللاهوت، بقدر ما تُعرَف فيها كلمةَ الله التي تتوجّه اليوم إلى العالم، والكنيسة، وكلِّ واحدٍ شخصيًّا. من المهمّ أن تؤخذ بعين الاعتبار فعليًّا المعايير المشار إليها في العدد ١٢ من الدستور العقائديّ **كلمة الله**، وأن تخضع لعمليّة تعميق. يجب تجنّب مفهوم علميّ بحت، يُريد أن يبقى محايدًا إزاءَ الكتاب المقدّس. لذا، فَمَع دراسة اللغات التي حُرِّر فيها الكتاب المقدّس، ومنهجيّات التفسير الملائمة، من الضروريّ أَن يتمتّع الطلاّب بحياة روحيّة عميقة تُمكّنهم من أن يدركوا أنَّه لا يمكن فهم الكتاب المقدَّس إلاّ من خلال عيشه.

من هذا المنظار، أُوصي بأن يتمّ درس كلمة الله، المنقولة والمكتوبة، بروح كنسيّ عميق. لتحقيق هذا الهدف، في التنشئة الأكاديميّة، يجب تحديدًا الأخذ بعين الاعتبار مُداخلات السلطة التعليميّة الكنسيّة في ما يخصّ هذا الموضوع، وهي «ليست فَوقَ كلمة الله، بل هي في خدمتها، فلا تُعلّم سوى ما نُقل إليها، ما دامت، وبتفويض إلهيّ وبمساعدة الروح القدس، تصغي إلى هذه الكلمة بتقوى، وتحفظها بقداسة، وتعرضها بأَمانة»[١٥٩] من الملائم إذًا السهر على أن تجري الدروس بقناعة أنّه، «بحسب تصميم الله الحكيم جدًّا، هناك ترابط وتشارك بين التقليد المقدّس، والكتاب المقدّس، والسلطة التعليميّة الكنسيّة، إلى حدّ أَن لا قيام للواحد من دون الآخرين»[١٦٠]. أَتمنّى إذًا، وبحسب تعليم المجمع الفاتيكانيّ الثاني، أَن يصبح درس الكتاب المقدّس، الذي يُقرَأُ ضمن شركة مع الكنيسة الجامعة، روحَ الدروس اللاهوتيّة حقًّا[١٦١].

القدّيسون وتفسير الكتاب المقدّس

[١٥٩] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ١٠.

[١٦٠] المرجع ذاته.

[١٦١] رج المرجع ذاته، رقم ٢٤.

٤٨. قد يبقى تفسير الكتاب المقدّس ناقصًا إن لم يكن هناك إصغاء إلى مَن عاشوا حقًّا كلمة اللهِ، أي القدّيسين[١٦٢]. في الواقع، «القراءة الحيّة هي حياة الصالحين»[١٦٣]. في الواقع، إنّ التفسير الأعمق للكتاب المقدّس يأتي من الذين قولبتهم كلمة الله من خلال الإصغاء، والقراءة، والتأمّل الدَؤوب.

بالتأكيد ليس صدفة أن تكون الروحانيّات الكبرى، التي طبعت تاريخ الكنيسة، قد نتجت عن عودة صريحة إلى الكتاب المقدّس. أُفكّر، مثلاً، بالقدّيس أَنطونيوس أَبي الرهبان الذي حرّكه الإصغاء إلى كلام المسيح: «إن شئت أَن تكون كاملاً، فاذهب وبع مقتناك، وهَبْه للمساكين، يكُنْ لك كنزٌ في السماء، ثمّ تعال واتبعني» (مت ١٩: ٢١)[١٦٤]. ليس حالةُ باسيليوس الكبير أقلّ إيحاءً، هو الذي في مؤلّفه **الأَعمال الأَخلاقيّة**، يتساءل قائلاً: «ما هي خاصّة الإيمان؟ إنّه التأكّد التامّ والذي لا ريب فيه من حقيقة الكلام الذي أَلهمه الله [...] ما هي خاصّة المؤمن؟ هي التطابق بيقين تامّ مع ما تعبّر عنه كلمات الكتاب المقدّس، وعدم التجاسر على حذف أَو زيادة كلمة واحدة[١٦٥]. ويحيلنا القدّيس مبارك، في **قوانينه**، إلى الكتاب المقدّس باعتباره «قاعدة قويمة تمامًا للحياة الإنسانيّة»[١٦٦]. والقدّيس فرنسيس الأَسيزيّ، كما كتب توما سالانو، «عندما سمع أنّه، على تلاميذ المسيح أن لا يملكوا ذهبًا ولا فضّةً ولا مالاً، وأَن لا يحملوا كيسًا، ولا خبزًا، ولا عصًا للطريق، ولا حذاء، ولا رداءَين...، في الحال تهلّل بالروح القدس وهتف: هذا ما أُريد، وهذا ما أَطلب، وهذا ما أَشتهي أَن أَفعل من كلّ قلبي!»[١٦٧]. والقدّيسة كلارا الأَسيزيّة تبنّت تمامًا اختبار القدّيس فرنسيس: «شكل حياة رهبانيّة الأَخوات الفقيرات (...) هو هذا: التقيّد بإنجيل ربّنا يسوع المسيح المقدّس»[١٦٨]. القدّيس دومنيك دي غوزمان أَيضًا، كان « يظهر في كلّ مكان بمظهر رجل إنجيليّ في كلامه كما في أعماله»[١٦٩]، وكان يريد أَن يكون إخوته الواعظون كذلك، أي «رجالاً

---

[١٦٢] رج المقترح ٢٢.

[١٦٣] S. Grégoire le Grand, *Moralia in Job* XXIV, VIII, 16: *PL* 76, 295.

[١٦٤] Cf. Saint Athanase, *Vita Antonii*, 2, 4: *PL* 73, 127.

[١٦٥] *Moralia, Regula* : LXXX, XXII, *PG* 31, 867.

[١٦٦] *Règle*, n. 73, 3: *SC* 182, p. 673.

[١٦٧] Tommaso de Celano, *La vita prima di S. Francesco*, 22, 2-3: *FF* 670.672.

[١٦٨] *Règle*, I, 1-2: *FF* 2292.

[١٦٩] B. Giordano da Sassonia, *Libellus de principiis Ordinis Praedicatorum*, 104 : *Monumenta Fratrum Praedicatorum Historica*, Roma 1935, 16, p. 75.

إنجيليّين»[١٧٠]. القدّيسة تريزيا الطفل يسوع الكرمليّة، التي كانت في كتاباتها تعود دائمًا إلى صور بيبليّة لشرح اختبارها الصوفيّ، تذكّر أنّ يسوع ذاته كشف لها «أنّ كلّ شرِّ العالم ينتج عن غياب معرفة واضحة لحقائق الكتاب المقدّس»[١٧١]. اكتشفت القدّيسة تريزيا الطفل يسوع أنّ الحبّ هو دعوتها الشخصيّة من خلال تفحّصها للكتب المقدّسة وبخاصّة الفصلين ١٢ و١٣ من **الرسالة الأُولى إلى أَهل كورنتس**[١٧٢]؛ وهي القدّيسة نفسها تصف الافتتان الذي يهبه الكتاب المقدّس قائلةً: «يكفي أَن أَنظر إلى الإنجيل المقدّس حتّى أتنشّق عبير حياة يسوع، فأعرف في أَيّ جهة أَركض»[١٧٣]. يمثّل كلّ قدّيس نوعًا من شعاع نور منبثق من كلمة الله: نفكّر كذلك في القدّيس إغناطيوس دي لويولا في بحثه عن الحقيقة، وفي التمييز الروحيّ، والقدّيس يوحنّا بوسكو في شغفه بتربية الشباب، والقدّيس جان ماري فيانّاي في إدراكه لعظمة الكهنوت كهبة وواجب، والقدّيس بيو دي بياترلشينا كوسيلة الرحمة الإلهيّة، والقدّيس خوسه ماريّا إسكريفا في وعظه في موضوع الدعوة الشاملة إلى القداسة، والطوباويّة تريزيا دي كالكوتا، رسولة محبّة الله نحو الأَكثر فقرًا، وحتّى بشهداء النازيّة والشيوعيّة الذين تمثّلهم، من جهة، القدّيسة بنديكت للصليب (إديت شتاين)، الراهبة الكرمليّة، ومن جهة ثانية، الطوباويّ ألويس ستابيناك، كاردينال ورئيس أَساقفة زغرب.

٤٩. إذًا فالقداسة في علاقتها بكلمة الله، بطريقة ما، تندرج في التقليد النبويّ حيث كلمةُ الله تَستخدِم حياةَ النبيّ ذاتَها. بهذا المعنى، تشكّل القداسة في الكنيسة تفسيرًا للكتاب المقدَّس لا يمكن لأحد أن يتجاهله. والروح القدس، الذي أَلهم الكتّاب القدّيسين، هو ذاته يقود القدّيسين كي يهبوا حياتهم للإنجيل؛ ويمثّل الانضمام إلى مدرستهم طريقًا أَكيدًا للقيام بتفسير حيٍّ وفعّالٍ لكلمة الله.

لقد نلنا شهادة مباشرة على هذه العلاقة بين كلمة الله والقداسة، أَثناء الجمعيّة الثانيّة عشرة للسينودس، عندما تمّ إعلان قداسة أَربع قدّيسين جدد، في الثاني عشر من تشرين الأوّل، في ساحة القدّيس بطرس، وهم: الكاهن غايتانو إِرّيكو، مؤسّس جمعيّة رسل قلبَي يسوع ومريم الأَقدسين؛ الأم ماريّا برنارد بوتلير، المولودة في سويسرا، ورسولة الأكواتور وكولومبيا؛ الأخت أَلفونسين للحبل بلا دنس، وهي أوّل قدّيسة مولودة في الهند تُعلَن قداستها؛ الصبيّة العلمانيّة الإكواتوريّة نرسيسا ليسوع مرتيو موران. لقد شهدوا بحياتهم للعالم وللكنيسة، وللخصب الأَزليّ

---

[١٧٠] Ordre des Frères Prêcheurs, *Premières Constitutions* ou *Consuetudines*, II, XXXI.

[١٧١] *Vie* 40, 1.

[١٧٢] Cf. *Histoire d'une âme*, Ms B, foglio 3 recto.

[١٧٣] *Ibidem*, Ms C, foglio 35 verso.

لإنجيل المسيح؛ فلنطلب من الربِّ، بشفاعة هؤلاء القدّيسين، الذين أُعلِنت قداستُهم بالتحديد خلال جمعيّة السينودس حول كلمة الله، أَن تكون حياتنا هذه «الأَرض الطيّبة» حيث يستطيع الزارع السماويّ أَن يزرع الكلمة لكي تحمل فينا ثمار القداسة «ثلاثين وستّين ومئة» (مر ٤: ٢٠).

القسم الثاني

كلمة الله في الكنيسة

«ولكلّ الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أَن يصيروا أبناء الله» (يو ١: ١٢)

كلمة الله والكنيسة

الكنيسة تتلقّى كلام الله

٥٠ يلفظ الربّ كلمَته لكي يقبلها الذين خُلقوا "بـ"الكلمة عينها. «جاء إِلى خاصّته» (يو ١: ١١): لم تكن كلمة الله في الأصل غريبةً عنّا، وكان مُصَمَّمًا للخليقة أن تكون في علاقة حميمة بالحياة الإلهيّة. يضعنا مطلعُ الإِنجيل الرابع أَيضًا أمام رفض «خاصّته» الذين «لم يقبلوه» (يو١: ١١). عدم قبوله يعني عدم الإصغاء إلى صوته، وعدم الامتثال **للكلمة**. بالمقابل، حيثما انفتح الإنسان بصدق على اللقاء بالمسيح، حتّى وإِن كان سريع العطب وخاطئًا، هناك يبدأ تحوُّلٌ جذريّ: «أَمّا الذين قبلوه، فقد أَعطاهم سلطانًا أَن يصيروا أَبناء الله» (يو١: ١٢). يعني قبول الكلمة أن ندعه يُقولبنا لنصبح مُتطابقين مع المسيح، مع «الابن الوحيد الآتي من الآب» (يو ١: ١٣) بقدرة الروح القدس. يُشكّل هذا الأمر بداية خلق جديد. حينئذٍ تُولَد خليقة جديدة، كما أيضًا شعب جديد. إنّ الذين يؤمنون، أَو بالأَحرى الذين يعيشون في طاعة الإِيمان، قد «وُلدوا من الله» (يو ١: ١٣)، وجُعلوا مشاركين في الحياة الإلهيّة: إنّهم أَبناء في الابن (رج غل ٤: ٥-٦؛ رو ٨: ١٤-١٧). حين شرح القدّيس أَوغسطينوس بطريقة إِيحائيّة هذا المقطع من إِنجيل يوحنّا، قال: «بالكلمة خُلِقتَ، إِنّما من الضروريّ أَن تُخلَق من جديد بالكلمة»[١٧٤]. نرى هنا شكل وجه الكنيسة كحقيقة يُحدّدها قبول كلمة الله الذي، حين صار جسدًا، جاء

[١٧٤] *In Iohannis Evangelium Tractatus,* 1,12: *CCL* 36,7.

ينصب **خيمته في وسَطنا** (يو ١: ١٤). إنّ سُكنى الله بين البشر، هذه **الشكينه** (رج خر ٢٦: ١) التي يُصوّرها مُسبَقاً العهد القديم، تتحقّق الآن في حضور الله النهائيّ مع الناس في المسيح.

حضور المسيح الراهن في حياة الكنيسة

٥١ . لا يمكن فهم العلاقة بين المسيح، كلمة الآب، وبين الكنيسة وكأنّها حدث بسيط من الماضي؛ إنّها بالأحرى علاقة حياتيّة، وكلّ مؤمن هو مدعوّ شخصيًّا إلى الدخول فيها. في الواقع، نحن نتكلّم على حضور كلام الله الذي يقيم معنا اليوم: «أنا معكم كلّ الأيّام حتّى منتهى الدهر» (مت ٢٨: ٢٠). وكما أكّد البابا يوحنّا بولس الثاني: «يتحقّق حضورُ المسيح مع البشر في كلّ الأزمنة في جسده الذي هو الكنيسة. لذلك وعد الربُّ تلاميذَه بالروح القدس الذي "يُذكّرهم" بوصاياه، ويجعلهم يفهمونها (رج يو ١٤: ٢٦)، والذي سيُضحي مبدأً وينبوعَ حياة جديدة في العالم (رج يو ٣: ٥-٨؛ رو ٨: ١-١٣)» [١٧٥]. يُحدّد الدستور العقائديّ **كلمة الله** هذا السرَّ مُستعيناً بمصطلحات بيبليّة نجدها في حوار العروسين: "الله، الذي تكلّم قديمًا، لا يبرح يحادث عروسة ابنه الحبيب؛ والروح القدس، الذي به يدوّي صوتُ الإنجيلِ الحيُّ في الكنيسة، وبالكنيسة في العالم ، يُدخل المؤمنين في الحقّ كلّه، ويُحلّ فيهم كلمة المسيح بغزارة" (كول ٣: ١٦)[١٧٦].

تقول عروسُ المسيح، مُعلّمةُ الإصغاء، اليوم أيضًا بإيمان: «تكلّم، يا ربّ، ولتُصغِ لكَ كنيستكَ»[١٧٧]. لهذا السبب يبدأ الدستور العقائديّ **كلمة الله** هكذا: «إنّ المجمع المقدّس، إذ يصغي بورع إلى كلمة الله ويعلنها بثقة...»[١٧٨]. نحن هنا أمام تحديد ديناميّ لحياة الكنيسة: «إنّها كلمات يحدّد بها المجمعُ مظهرًا يُميّز الكنيسة: إنّها جماعة تُصغي إلى كلمة الله وتُعلنها. لا تعيش الكنيسة من ذاتها، بل من الإنجيل، ومن هذا الإنجيل تستمدّ دائمًا ومجدَّدًا توجُّهًا لطريقها. إنّها ملاحظة ينبغي أن يتلقّاها كلُّ مسيحيّ ويُطبّقها على ذاته: وحده الذي يصغي إلى الكلمة يستطيع لاحقًا أن يصير مُبشّرًا بها»[١٧٩]. في كلمة الله المعلَنة والمصغَى إليها في الأسرار، يقول يسوع اليوم، هنا والآن، لكلّ واحد: «أنا خاصّتُك، أهَبُ ذاتي لكَ»، لكي يستطيع الإنسان أن يُجيب بدوره ويقول: «أنا

---

[١٧٥] الرسالة العامّة، **تألّق الحقيقة** (٦ آب ١٩٩٣)، رقم ٢٥: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٥ (١٩٩٣)، ص ١١٥٣.

[١٧٦] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٨.

[١٧٧] **تقرير ما بعد المناقشة**، رقم ١١: *L'ORf,* 11 novembre 2008, p. 11.

[١٧٨] رقم ١.

[١٧٩] بندكتوس السادس عشر، **خطاب في المؤتمر العالميّ حول "الكتاب المقدّس في حياة الكنيسة"** (١٦أيلول ٢٠٠٥): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٧ (٢٠٠٥)، ص ٩٥٦؛ *La DC* n. 2344, p. 948.

خاصّتُك»[١٨٠]. هكذا تظهر الكنيسة المكانَ الذي، بالنعمة، نستطيع أن نختبر فيه ما يرويه مطلع إنجيل يوحنّا: «لكن كلّ الذين قبلوه أَعطاهم سلطانًا بأن يصيروا أَبناء الله» (يو ١: ١٢).

الليتورجيّا مكان مميَّز لكلام الله

كلام الله في الليتورجيّا المقدّسة

٥٢ . إذا اعتبرنا الكنيسة «وكأنّها بيت الكلمة»[١٨١]، علينا قبل كلّ شيء أَن نولي الليتورجيّا المقدّسة اهتمامنا. إنّها حقًّا المكان المميَّز حيث يكلّمنا الله في حياتنا الحاضرة، وحيث يتكلّم اليوم إلى شعبه الذي يسمع ويُجيب. يتغذّى كلّ عمل ليتورجيّ بطبيعته من الكتب المقدّسة؛ كما يؤكّد الدستور **المجمع المقدّس**، «في الاحتفال بالليتورجيا يحتلّ الكتاب المقدّس أهمّيّةً فائقة؛ فمنه تُؤخَذ النصوص التي تُقرأ والتي تُشرَح في العظة، كما أيضًا المزامير التي تنشَد؛ وتحت إلهامه وبدفعٍ منه نشأت الصلوات والابتهالات والتراتيل الطقسيّة، ومنه تأخذ الأَعمال والرموز معناها»[١٨٢]. أَكثر من ذلك، يجب أَن نقول إنّ المسيح ذاته هو «الحاضر هناك في كلمته، لأنّه هو ذاتُه يتكلّم عندما تُقرَأ الكتب المقدّسة في الكنيسة»[١٨٣]. وبالفعل، «يُصبح الاحتفال الليتورجيّ إعلانًا مستمرًّا لكلمة الله، مليئًا وفعّالاً. لذلك فإنّ كلمة الله المعلَنة باستمرار في الليتورجيّا هي دائمًا حيّة وفعّالة بقوّة الروح القدس، وتُظهر محبّة الآب الفعّالة، الذي لا يني يعمل لجميع الناس»[١٨٤]. لقد وَعَتِ الكنيسةُ دومًا أَنّ كلمة الله تترافق، أثناء العمل الليتورجيّ، مع عمل الروح القدس الحميم الذي يجعلها فعّالة في قلوب المؤمنين. وبالفعل، بفضل البارقليط «تُصبح كلمة الله أساس العمل الليتورجيّ، والقاعدة والسند للحياة كلّها. يُشير عملُ الروحِ القدس (...) على قلب كلِّ واحدٍ بكلّ ما يُتلَى، في إعلان كلمة الله، على جماعة المؤمنين ككلّ؛ وبينما يُعزّز وحدة الجميع، هو يُنعش أَيضًا تنوّع المواهب، ويحثّ على العمل تحت أَشكال عدّة»[١٨٥].

---

[١٨٠] رج **تقرير ما بعد المناقشة**، رقم ١٠: *L'ORf,* 11 novembre 2008, p. 14.

[١٨١] الرسالة الختاميّة، III، ٦.

[١٨٢] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور **في الليتورجيّا المقدّسة، المجمع المقدّس**، رقم ٢٤.

[١٨٣] المرجع ذاته، رقم ٧.

[١٨٤] Missel romain, *Présentation générale du Lectionnaire de la Messe*, n. 4.

[١٨٥] المرجع ذاته، رقم ٩.

بالنتيجة يجب فهم وعيش القيمة الجوهريّة للعمل الليتورجيّ من خلال فهم كلمة الله. بمعنى ما، ينبغي أن تكون الليتورجيّا مرجعَ تفسير الإيمان على أساس الكتب المقدّسة، لأنّ فيها يُحتفَل بكلمة الله على أنّها كلمة حاضرة وحيّة: «**هكذا، في الليتورجيّا تتبع الكنيسة بأَمانة طريقة قراءة وتفسير الكتاب المقدّس الذي أشار إليه المسيح**، الذي ينطلق من "يوم" مجيئه ليحثّ على تفحّص كلّ الكتب المقدّسة بانتباه»[١٨٦].

هنا تظهر التربية الحكيمة التي تقوم بها الكنيسة، وهي تُعلن الكتاب المقدّس وتُنصت إليه مُتّبعةً إيقاع السنة الطقسيّة. هذا الامتداد لكلمة الله في الزمن يحصل خاصّة في الاحتفال الإفخارستيّ وفي ليتورجيّا الساعات. وفي وسط الكلّ يسطع السرُّ الفصحيُّ الذي ترتبط به كلّ أَسرار المسيح وأسرار تاريخ الخلاص التي تتأوّن بطريقة أسراريّة: «هكذا، إذ تحتفل [الكنيسة] بأَسرار الفداء، فإنّها تفتح للمؤمنين كنوز قدرة ربّها واستحقاقاته بحيث إنّ هذه الأسرار تصبح، بطريقة ما، حاضرة دائمًا، كما يصبح المؤمنون على صلة بها، ومملوئين من نعمة الخلاص»[١٨٧]. إنّي أَحثّ رعاة الكنيسة والمساعدين الرعويّين على أن يعملوا ليتربّى المؤمنون كلُّهم على تذوّق المعنى العميق لكلمة الله التي تُعلَن على مدار السنة في الليتورجيّا، مُظهرةً أَسرار إِيماننا الأَساسيّة. عليها أيضًا تعتمد المقاربة الصحيحة للكتاب المقدّس.

الكتاب المقدّس والأَسرار

٥٣ . حين تطرّق سينودس الأَساقفة إلى موضوع قيمة الليتورجيّا لفهم كلمة الله، أَراد أيضًا التشديد على العلاقة بين الكتاب المقدّس والعمل الأَسراريّ. إنّه لمن المناسب جدًّا تعميق الرباط بين الكلمة والسرّ، إنْ في عمل الكنيسة الرعويّ، وإنْ في البحث اللاهوتيّ[١٨٨]. من المؤكّد أنّ «ليتورجيّا الكلمة هي عنصر حاسم في الاحتفال بكلّ سرّ من أَسرار الكنيسة»[١٨٩]. غير أَنّه في العمل الرعويّ، لا يعي المؤمنون دائمًا هذه العلاقة، ولا يُدركون دائمًا الوحدة بين الحركة والكلمة. «ويعود **إلى الكهنة والشمامسة**، بخاصّة عندما يوزّعون الأَسرار، أن يُظهروا الوحدة التي تؤلّفها الكلمة والسرّ في الخدمة الكهنوتيّة في الكنيسة»[١٩٠]. بالفعل، في العلاقة بين الكلمة والحركة

---

[١٨٦] المرجع ذاته، رقم ٣؛ رج لو ٤: ١٦-٢١؛ ٢٤: ٢٤-٣٥، ٤٤-٤٩.

[١٨٧] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور **في الليتورجيّا المقدّسة، المجمع المقدّس**، رقم ١٠٢.

[١٨٨] رج بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **سرّ المحبّة** (٢٢ شباط ٢٠٠٧)، رقم ٤٤-٤٥: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١٣٩-١٤١.

[١٨٩] اللجنة البيبليّة الحبريّة، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥ نيسان ١٩٩٣)،IV، ١؛ ص ١١٠؛ *Ench. Vat.* 13, n. 3123.

[١٩٠] المرجع ذاته، ، ، ٣؛ ص ٨٩؛ *Ench. Vat.* 13, n. 3056.

الأسراريّة، يظهَر عمل الله في التاريخ في **الشكل الليتورجيّ** من خلال الطابع الأدائيّ للكلمة. في الواقع، لا يُوجد في تاريخ الخلاص فصل بين ما **يقوله الله وبين ما يفعله**؛ فكلمته بالذات هي حيّة وفعّالة (رج عب ٤: ١٢)، كما ينقلها بشكل جيّد التعبير العبريّ "دَبَرْ". كذلك أيضًا في العمل الليتورجيّ نحن نوضَع في حضرة كلمته التي تحقّق ما تقول. بتربية شعب الله على اكتشاف الطابع الأدائيّ لكلمة الله في الليتورجيّا، تتمّ مساعدته أَيضًا على إدراك عمل الله في تاريخ الخلاص، كما في التاريخ الشخصيّ لكلّ واحد من هذا الشعب.

كلمة الله والإفخارستيّا

٥٤ . يتعمّق ما أَكّدناه بشكل عامّ بشأن العلاقة بين الكلمة والأَسرار عندما نرجع إلى الاحتفال الإفخارستيّ. زد على ذلك أنّ الوحدة الحميمة بين الكلمة والإفخارستيّا ترتكز على شهادة الكتب المقدّسة (رج يو ٦؛ لو ٢٤)، التي استشهد بها آباء الكنيسة وأثبتها المجمع الفاتيكانيّ الثاني من جديد[١٩١]. في هذا الصدد، يحضر إلى البال الخطاب العظيم الذي ألقاه يسوع حول خبز الحياة في مجمع كفرناحوم (رج يو ٦: ٢٢-٦٩)، والذي يقوم على المقارنة بين موسى ويسوع، بين مَن تحدّث إلى الله وجهًا لوجه (رج خر ٣٣: ١١) ،وبين الذي كشف الله (رج يو ١: ١٨).في الواقع، يُوجّهنا الخطاب عن الخبز إلى عطيّة الله التي تلقّاها موسى وأعطاها لشعبه، مع المنّ في الصحراء، والذي هو في الحقيقة **التوراة**، كلمة الله التي تحيي (رج مز ١١٩؛ أم ٩: ٥). يُحقّق يسوع في شخصه الصورة القديمة: "إنّ خبز الله هو الذي ينزل من السماء، ويُعطي العالمَ الحياةَ... أَنا خبز الحياة" (يو ٦: ٣٣، ٣٥). هنا "أَصبحت الشريعة شخصًا. حين نلتقي مع يسوع نتغذّى، إذا صحّ التعبير، من الله الحيّ بالذات، نأكل في الحقيقةً الخبزَ الآتي من السماء»[١٩٢]. يجد مطلع إنجيل يوحنّا تعميقًا له في خطاب كفرناحوم: إن كان كلمة الله هناك في مطلع الإنجيل يصير جسدًا، فإنّ هذا الجسد يصبح هنا "خبزًا" يُعطَى لحياة العالم (يو ٦: ٥١)، ملمِحًا هكذا إلى عطيّة ذاته التي حقّقها يسوع في سرّ الصليب، المثبَتَة بالتأكيد المتعلّق بدمه المعطى "ليُشرب" (يو

---

[١٩١] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور **في الليتورجيّا المقدّسة**، **المجمع المقدّس**، رقم ٤٨، ٥١، ٥٦؛ المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ**، **كلمة الله**، رقم ٢١، ٢٦؛ قرار في نشاط الكنيسة الإرساليّ **إلى الأمم**، رقم ٦.، ١٥؛ قرار في حياة الكهنة ورسالتهم، **الدرجة الكهنوتيّة**، رقم ١٨؛ قرار في تجديد الحياة الرهبانيّة، **المحبّة الكاملة**، رقم ٦.

في تقليد الكنيسة الكبير، نجد كلمات ذات مغزى، مثلاً: "يُعتَبَر كلام الله أيضًا جسد المسيح" (Waltramus, *De unitate Ecclesiae conservanda,* 13, éd. W. Schwenkenbecher, Hannoverae 1883, p. 33;).جسد الربّ هو غذاء حقيقيّ، ودمه هو مشرب حقيقيّ؛ هذا الخير الحقيقيّ المحفوظ لنا في الحياة الحاضرة يقضي بأكل جسده وشرب دمه، ليس فقط في الإفخارستيّا، بل أيضًا في قراءة الكتاب المقدّس. وبالفعل، إنّ كلمة الله، التي تُستمَد من معرفة الكتب المقدّسة، هي غذاء حقيقيّ ومشرب حقيقيّ".

Saint Jérôme, *Commentarius in Ecclesiasten,* n. 313: *CCL*72,278.

[١٩٢] J. Ratzinger (Benoît XVI), *Jésus de Nazareth*, Flammarion, Paris 2007, p. 295.

٦: ٥٣). بهذه الطريقة، يظهر في سرّ الإفخارستيّا ما هو المنّ الحقيقيّ، خبز السماء الحقيقيّ: إنّه **الكلمة** الإلهيّ الذي صار جسدًا وقرّب ذاته لنا في السرّ الفصحيّ.

تسمح لنا قصّة تلميذَي عمّاوس، في إنجيل لوقا، أن نتقدّم بالتفكير حول الرباط بين الكلمة وبين كسر الخبز (لو ٢٤: ١٣-٣٥). ذهب يسوع إلى لقائهما في اليوم الذي يلي السبت، وأصغى إلى تعبيرهما عن رجائهما الخائب، وإذ أصبح رفيقهما في الطريق، "شرح لهما، في كلّ الكتاب، ما كان يخصّه" (٢٤: ٢٧). لقد بدأ التلميذان بتفحّص الكتب المقدّسة بطريقة جديدة في حضور هذا المسافر الذي، بطريقة غير مُتوَقَّعَة، بدا قريبًا جدًّا من حياتهما. لم يعد ما جرى في تلك الأَيّام يبدو وكأنّه فشل، بل كتتميم وكانطلاقة جديدة، مع ذلك لا يبدو أنّ هذه الكلمات قد شفت غليل التلميذَين. يقول لنا إنجيل لوقا إنّ "عيونهما انفتحت فعرفاه" (٢٤: ٣١)، فقط عندما أَخذ الخبز، وبارك، وكسر، وأعطاهما، في حين أنّه سابقًا "كانت أَعينهما قد أُعميتا فلم يعرفاه" (٢٤: ١٦). لقد سمح حضور يسوع للتلميذَين بمعرفته، أوّلاً بكلماته، ثمّ بكسر الخبز، فتمكّنا أن يختبرا بطريقة جديدة ما كانَا قد عاشاه معه قبلاً: "أَمَا كان قلبنا يضطرم حين كان يحدّثنا في الطريق، ويفسّر لنا الكتب؟" (٢٤: ٣٢).

٥٥. تبيّن هذه الروايات كيف أنّ الكتاب المقدّس نفسَهُ يوجّه إلى اقتطاف رباطه الوطيد مع الإفخارستيّا. «لذلك يجب دائمًا أَن يكون حاضرًا في الذهن أنّ كلمة الله، التي تقرأها الكنيسةُ وتُعلنها في الليتورجيّا، تقود إلى ذبيحة العهد وإلى وليمة **النعمة**، أَي الإفخارستيّا»[١٩٣]. إنّ الكلمة والإفخارستيّا متلازمتان بشكل حميم إلى حدّ أنّ الواحدة لا تُفهَم بدون الأخرى: صارت كلمة الله جسدًا أسراريًّا في الحدث الإفخارستيّ. تفتح لنا الإفخارستيّا المجالَ لفهم الكتاب المقدّس، كما أنّ الكتاب المقدّس بدوره يُنير السرّ الإفخارستيّ ويشرحه. في الواقع، يبقى فهْم الكتاب ناقصًا إذا لم يكن هناك اعتراف بحضور الربّ الحقيقيّ في الإفخارستيّا. لذلك، «لم تَلْقَ كلمة الله والسرّ الإفخارستيّ، دائمًا وفي كلّ مكان، من الكنيسة العبادة نفسها، بل الإكرام نفسه. هذا ما أَقرّته الكنيسة، مدفوعة بمَثَل مؤسّسها، من ولم تتوقّف البتّة عن الاحتفال بسرّه الفصحيّ، عندما تجتمع "لتقرأ كلَّ ما له صلة بهذا السرّ في الكتاب المقدّس كلّه" (لو ٢٤: ٢٧)، ولمواصلة عمل الخلاص عبر الاحتفال بذكرى الربّ وعبر الأَسرار»[١٩٤].

الطابع الأَسراريّ لكلام الله

---

[١٩٣] Missel romain, *Présentation générale du Lectionnaire de la Messe*, n. 10.

[١٩٤] المرجع ذاته.

٥٦ . عندما نذكّر بالطابع الأدائيّ لكلمة الله في العمل الأَسراريّ وفي تعميق العلاقة بين الكلمة والإفخارستيّا، نكون مُنقادين إلى متابعة موضوع هامّ برز في جمعيّة السينودس، يتعلّق بالطابع **الأسراريّ لكلمة الله**[١٩٥]. في هذا الصدد، من المفيد التذكير بأنّ البابا يوحنّا بولس الثاني كان قد أشار إلى «الجوّ **الأَسراريّ للوحي**، وبخاصّة إلى العلامة الإفخارستيّة حيث الوحدة غير المنقسمة بين الواقع ومعناه تسمح بفهم عمق السرّ»[١٩٦]. من هنا نفهم أنّ سرّ التجسّد هو حقًّا في أَصل «أَسراريّة كلمة الله»: "الكلمة صار جسدًا" (يو ١: ١٤)، إنّ حقيقة السرّ الموحى توهَب لنا في "جسد" الإبن. تُصبح كلمةُ الله قابلةً للإدراك بالإيمان من خلال "علامة" أقوالٍ وأفعالٍ بشريّة. إذًا فالإيمان يتعرّف إلى كلمة الله حين يتقبّل الأفعال والأقوال التي بواسطتها هو نفسه يُقدّم ذاته لنا. بالنتيجة، يدلّ الجوّ الأسراريّ للوحي على النمط التاريخيّ—الخلاصيّ الذي به يدخل كلمة الله في الزمان والمكان، فيصير مُحاورًا للإنسان المدعوّ إلى أَن يتلقّى عطيّته بالإيمان.

هكذا تُفهَم أَسراريّة كلمة الله على مثال الحضور الحقيقيّ للمسيح تحت شكلَي الخبز والخمر المكرَّسين[١٩٧]. حين نقترب من المذبح ونشارك في الوليمة الإفخارستيّة، نتناول فعلاً جسد المسيح ودمه؛ فإعلانُ كلمة الله في الاحتفال يتضمّن الاعترافَ بأنّ المسيح ذاته حاضر، وهو يخاطبنا[١٩٨] لكي نقبله. أمّا بشأن الموقف الذي ينبغي أن نتّخذه إن تجاه الإفخارستيّا أو تجاه كلمة الله، فيؤكدّ القدّيس إيرونيموس ما يلي: "نحن نقرأ الكتب المقدّسة. أنا أعتقد أنّ الإنجيل هو جسد المسيح؛ أنا أعتقد أنّ الكتب المقدّسة هي تعليمه. وعندما يقول: **إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه** (يو ٦: ٥٣)، فبرغم أنّ كلماته هذه تعني السرّ [الإفخارستيّ]، غير أنّ جسد المسيح ودمه هما حقًّا كلمة الكتاب، وهما تعليم الله. حين نقترب من السرّ [الإفخارستيّ]، فإذا سقط منه فتات، نشعر بأنّنا مضطربون. وعندما نصغي إلى كلمة الله، وتُسكَبُ في آذاننا الكلمة وجسد المسيح ودمه، ونحن نفكّر في شيء آخر، فهل يمكننا أَن نتصوّر الخطر الكبير الذي نتعرّض له؟»[١٩٩]. إنّ المسيح الحاضر حقًّا في شكلَي الخبز والخمر، هو حاضر بشكل مماثل في الكلمة المعلنة في الليتورجيّا؛ فإنّ تعميقُ معنى أسراريّةِ كلمةِ الله يمكنه أن يُؤدّي

---

[١٩٥] رج المقترح ٧.

[١٩٦] الرسالة العامّة، **الإيمان والعقل** (١٤ أيلول ١٩٩٨)، رقم ١٣: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩١ (١٩٩٩) ١٦.

[١٩٧] التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، رقم ١٣٧٣-١٣٧٤.

[١٩٨] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، **دستور في الليتورجيّا المقدّسة، المجمع المقدّس**، رقم ٧.

[١٩٩] *In Psalmum.* 147: *CCL* 78, 337-338.

إلى فهمٍ يوحّد أكثر فأكثر سرَّ الوحي "من خلال أَفعال وأقوال مترابطة في ما بينها ترابطًا وثيقًا"[٢٠٠]، وهذا الأمر يُفيد حياةَ المؤمنين الروحيّةَ والعملَ الرعويَّ في الكنيسة.

الكتاب المقدّس وكتاب القراءات

٥٧. عندما شدّد السينودس على العلاقة بين الكلمة والإفخارستيّا، أَراد بالتحديد التذكير ببعض جوانب الاحتفال التي تلازم خدمة الكلمة. أودّ أَن أُشير خاصّةً إلى أهمّيّة كتاب القراءات. لقد أثمر الإصلاح الذي أراده المجمع الفاتيكانيّ الثاني[٢٠١] عبر توسيع مجال الوصول إلى الكتاب المقدّس الذي يُعلَن بوفرة، خاصّةً في ليتورجيّا الأَحد؛ فالبنية الحاليّة، بالإضافة إلى أنّها تقدّم غالبًا نصوص الكتاب المقدّس الأَكثر أهمّيّة، هي تساعد على فهم وحدة التصميم الإلهيّ، من خلال العلاقة المتبادلة بين قراءات العهدَين القديم والجديد، "تلك العلاقة التي مركزها المسيح المحتفَل به في السرّ الفصحيّ»[٢٠٢]. «يجب النظر في بعض الصعوبات المتبقّية في فهم العلاقات بين قراءات العهدَين، على ضوء القراءة القانونيّة، أي على ضوء وحدة كلّ الكتاب المقدّس الضمنيّة. وحيثما تدعو الحاجة، تستطيع الأجهزة الكفوءة أن توفّر طباعة موادّ تعليميّة تُسهّل فهم الرباط بين القراءات المقترحة في كتاب القراءات، والتي يجب أن تُعلن كلّها للجماعة الليتورجيّة، كما رتّبت ذلك ليتورجيّا اليوم. يجب إعلام مجمع العبادة الإلهيّة ونظام الأَسرار بالمسائل الأُخرى وبالصعوبات التي يُمكن أن تطرأ.

بالإضافة الى ذلك، يجب ألاّ ننسى أنّ لكتاب القراءات الحاليّ للطقس اللاتينيّ أَيضًا معنىً مسكونيّ، لأَنّ هناك طوائف، لم تتّحد بعد تمامًا مع الكنيسة الكاثوليكيّة، تستخدمه وتقدّره أَيضًا. إنّ مسألة كتاب القراءات في طقوس الكنائس الكاثوليكيّة الشرقيّة مطروحة بطريقة مختلفة، ويطلب السينودس "أن تُعالَج وفق طريقة مسموح بها»[٢٠٣] بحسب التقاليد الخاصّة وكفاءات الكنائس ذات الشرع الخاصّ، مع الأخذ بعين الاعتبار الإطار المسكونيّ هنا أَيضًا.

إعلان الكلمة وخدمة القارئ

---

[٢٠٠] المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٢.

[٢٠١] دستور في الليتورجيّا المقدّسة، **المجمع المقدّس**، الرقمان ١٠٧ و١٠٨.

[٢٠٢] Missel romain, *Présentation générale du Lectionnaire de la Messe*, n. 66.

[٢٠٣] المقترح ١٦.

٥٨. أثناء جمعيّة السينودس حول الإفخارستيّا، كان قد طُلب أن يكون هناك اعتناء أكبر بإعلان كلام الله[٢٠٤]. كما هو معلوم، في حين أنّ الإنجيل يُنادَى به من قِبَل الكاهن أَو الشمّاس، فإنّ القراءة الأُولى والثانية، في التقليد اللاتينيّ، يُنادي بهما قارئ مُختار، رجل أو امرأة. أودّ هنا أن أَستشهد بآباء السينودس الذين، في هذا الظرف أَيضًا، شدّدوا على ضرورة الاعتناء، عبر تنشئة ملائمة[٢٠٥]، بممارسة **وظيفة** القارئ في الاحتفال الليتورجيّ[٢٠٦]، وبطريقة خاصّة، خدمة القراءة، التي، كما هو الحال في الطقس اللاتينيّ، هي خدمة علمانيّة. من الضروريّ أن يكون القرّاء، الذين تُعهَد إليهم هذه الخدمة، مُؤهَّلين ومُعَدَّين بعناية، حتّى وإن لم يكونوا مُقامِين لهذه الغاية. يجب أن يكون هذا الإعداد في آنٍ معًا بيبليًّا وليتورجيًّا، كما أيضًا تقنيًّا: "ينبغي أن تسمح تنشئة القرّاء البيبليّة بأن يضعوا القراءات في سياقها الخاصّ، وأن يفهموا، على ضوء الإيمان، النقطة المركزيّة للرسالة الموحاة. يجب أن تُوفّر التنشئةُ الليتورجيّةُ للقرّاء إمكانيّةَ فهْمِ معنى وبُنيةِ ليتورجيّا الكلمة، وفهْمِ العلاقات بين الكلمة وبين الليتورجّيا الإفخارستيّة. يجب أن يجعل الإعدادُ التقنيُّ القرّاءَ دائمًا أكثر كفاءةً في فنّ القراءة أَمام الشعب، إمّا مباشرة وإمّا باستعمال الوسائل الحديثة التي تقوّي الصوت"[٢٠٧].

أهمّيّة العظة

٥٩. «إنّ الوظائف والمهمّات، التي تعود إلى كلّ واحد في ما يتعلّق بكلمة الله، هي أيضًا متنوّعة. هكذا، يصغي المؤمنون إلى هذه الكلمة ويتأمّلون فيها، بينما يقدّمها وحدهم أولئك الذين قبلوا في السيامة مهمّة السلطة التعليميّة، أَو أُولئك الذين أَوكل إليهم القيام بهذه الخدمة»[٢٠٨]، أعني الأَساقفة والكهنة والشمامسة. من هنا نفهم الانتباه الذي أَولاه السينودس لموضوع العظة. وفي الإرشاد الرسوليّ **سرّ المحبّة** ذكّرتُ أنّه، انطلاقًا من «أهمّيّة كلمة الله، من الضروريّ تحسين نوعيّة العظة؛ فهي "جزءٌ من العمل" الليتورجيّ، وتقوم وظيفتها على تعزيز فهم أوسع وأكثر فعاليّة لكلمة الله في حياة المؤمنين»[٢٠٩]. في الواقع، العظة هي تأوين للرسالة البيبليّة، بحيث أنّ يتوصّل المؤمنون إلى اكتشاف حضور كلمة الله وفاعليّتها في حياتهم اليوميّة؛ يجب أن تساعد على فهم السرّ الذي يُحتفل

---

[٢٠٤] رج بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **سرّ المحبّة** (٢٢ شباط ٢٠٠٧)، رقم ٤٥: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١٤٠-١٤١.

[٢٠٥] رج المقترح ١٤.

[٢٠٦] رج *CIC*, can. 230 §2; 204 §1 .

[٢٠٧] Missel romain, *Présentation générale du Lectionnaire de la Messe*, n. 55.

[٢٠٨] المرجع ذاته، رقم ٨.

[٢٠٩] رقم ٤٦: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١٤١.

به، وعلى الدعوة إلى الرسالة، عبر إعداد الجماعة لإعلان الإيمان، وللصلاة الجامعة، ولليتورجيّا الإفخارستيّة. بالنتيجة، يجب على المنتدَبين للوعظ، بموجب خدمتهم الخاصّة، أن يأخذوا هذا الواجب على محمل الجدّ. يجب تجنّب العظات الغامضة والمجرّدة التي تحجب بساطة كلمة الله، كما أيضًا الاستطرادات التي لا فائدة منها والتي قد تُحوّل الانتباه إلى الواعظ أكثر منه إلى جوهر الرسالة الإنجيليّة. يجب أَن يكون واضحًا للمؤمنين أنّ ما يهمّ الواعظ هو إظهار المسيح الذي عليه تتمحور العظة. من أجل القيام بذلك، ينبغي أَن تكون لدى الوعّاظ إلفة وعلاقة متواصلة مع النصّ المقدّس[٢١٠]؛ فليستعدّوا للعظة بالتأمّل والصلاة ليستطيعوا أَن يعظوا باقتناع وشغف. لقد حثّت الجمعيّة المجمعيّة على الاهتمام بالقضايا الآتية: «ماذا تريد أن تقول القراءات المعلنة؟ ماذا تقول لي أَنا شخصيًّا؟ ما الذي يجب أن أَقوله للجماعة، آخذًا بعين الاعتبار حالتها الواقعيّة؟"[٢١١]. على الواعظ أَن يكون «أَوّل مَن يصغي إلى كلمة الله التي يبشّر بها»[٢١٢] لأنّه، كما يقول القدّيس أوغسطينوس، «من يعظ بكلمة الله سطحيًّا، ولا يصغي إليها داخليًّا، لن يمكنه أَن يأتي بثمار»[٢١٣]. يجب الاعتناء خاصّةً بعظة الأَحد وبالاحتفالات، دون إهمال تقديم أَفكار موجزة تناسب الظروف، في القدّاسات الشعبيّة في بحر الأُسبوع، إن كان ممكنًا، وذلك من أجل مساعدة المؤمنين على تلقّي الكلمة التي أصغوا إليها وجعلها تثمر.

إمكانيّة إيجاد كتاب إرشاد للوعظ

٦٠. إنّ الوعظ بطريقة صحيحة، مع الارتكاز على كتاب القراءات، هو حقًّا فنّ ينبغي الاعتناء بتنميته. لذلك، وفي تواصل مع ما طلبه السينودس السابق[٢١٤]، أَطلب من السلطات المختصّة، في علاقة بكتاب **موجز في الإفخارستيّا**[٢١٥]، أن تُفكّر أَيضًا في الأدوات وفي الوسائل الملائمة لمساعدة خدّام الكهنوت على تأمين خدمتهم بأَفضل وجه، وذلك، على سبيل المثال، من خلال إعداد إرشاد للوعظ، بحيث يستطيع الوعّاظ أن يجدوا فيه عونًا ثمينًا ليستعدّوا لممارسة خدمتهم. كما يُذكّرنا القدّيس إيرونيموس، يجب أن تواكب العظةَ شهادةُ حياةِ الواعظ

---

[٢١٠] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٢٥.

[٢١١] المقترح ١٥.

[٢١٢] المرجع ذاته.

[٢١٣] *Sermo* 179,1; *PL* 38, 966.

[٢١٤] رج بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **سرّ المحبّة** (٢٢ شباط ٢٠٠٧)، رقم ٩٣: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١٧٧.

[٢١٥] مجمع العبادة الإلهيّة ونظام الأسرار، **خلاصة وافية للإفخارستيّة** (٢٥ آذار ٢٠٠٩)، حاضرة الفاتيكان ٢٠٠٩.

الشخصيّة: «لا تدع أَفعالك تخون أقوالك، لكيما، عندما تعظ في الكنيسة، لا يحصل أن يعلّق أَحدٌ في قرارة نفسه ويقول: "لماذا لا تتصرّف أنت ذاتك حسبما تقول؟" [...] يجب أَن يتوافق الروحُ والكلمة في كاهن المسيح»[٢١٦].

كلمة الله، والمصالحة، ومسحة المرضى

٦١. إذا كانت الإفخارستيّا توجد، بدون أَدنى شكّ، في مركز العلاقة بين كلمة الله والأَسرار، يحسن بنا أَن نُشدّد أَيضًا على أهمّيّة الكتاب المقدّس بالنسبة إِلى الأَسرار الأخرى، وبشكل خاصّ تلك التي تجلب الشفاء، أعني سرّ المصالحة أَو التوبة، وسرّ مسحة المرضى. إنّ الاستشهاد بالكتاب المقدّس في هذه الحالات هو في الغالب مهمَل، في حين أنّه يجب أن نعطيه المقام الذي يعود إليه. بالفعل، علينا ألاّ ننسى أبدًا «أنّ كلمة الله هي كلمة مصالحة، إذ بها يصالح الله فيه كلّ شيء» (٢ كو ٥: ١٨-٢٠؛ أف١: ١٠). إنّ غفران الله ورحمته المتجسّدة في يسوع يرفعان الخاطئ"[٢١٧]. «تنير كلمة الله المؤمن لكي تجعله يُميّز خطاياه، وتدعوه إِلى التوبة وإِلى الثقة برحمة الله»[٢١٨]. لكي يتبيّن التائب أَكثر فأَكثر قدرة المصالحة التي تمتلكها كلمة الله، يُنصَح كلُّ تائب بأن يستعدّ للاعتراف بالتأمّل في مقطعٍ مُناسب من الكتاب المقدّس، وأن يبدأ اعترافه بقراءة أَو بالإصغاء إِلى تحريض بيبليّ، حسبما يقتضيه الطقس الخاصّ. بعد ذلك، عندما يُظهر التائب ندامته، يُستحسن أَن يأخذ "صلاة مكوَّنة من أقوال مستلّة من الكتاب المقدّس»[٢١٩]، كما ينصّ عليه طقسه. حين يكون هذا الأمر ممكنًا، يُستحسن، في بعض الأوقات من السنة، أَو عندما تَحضر المناسبة، أن يتمّ اعتراف التائبين الفرديّ في إِطار احتفالات التوبة، حسبما ينصّ عليه كتاب الرتب، وذلك باحترام التقاليد الليتورجيّة المختلفة، كي يُعطى الاحتفال بالكلمة مكانته عبر استعمال الصلوات الملائمة.

بخصوص سرّ مسحة المرضى، يجب ألاّ يُنسى أنّ «قوّة شفاء كلمة الله هي دعوة قديرة إِلى توبة شخصيّة مستمرّة لمن يصغي إِليها»[٢٢٠]. يحتوي الكتاب المقدّس صفحاتٍ عديدة تُظهر التشجيع والعون والشفاء التي توهَب عبر تدخّل الله. فلنتذكّر خاصّة قرب يسوع من الذين يتألّمون: لقد أَخذ، هو ذاته، كلمةُ الله المتجسّد، على عاتقه أَوجاعَنا، وتألّمَ حبًّا للإِنسان، معطيًا هكذا معنىً للمرض وللموت. من المستحسن، في الرعايا وخاصّة

---

[٢١٦] *Epistula* 52,7; *CSEL* 54,426-427.

[٢١٧] المقترح ٨.

[٢١٨] طقس التوبة والمصالحة. **توجيهات عقائديّة ورعويّة**، رقم ١٧.

[٢١٩] المرجع ذاته، رقم ١٩.

[٢٢٠] المقترح ٨.

في المستشفيات، أَن يُحتفل في الجماعة، حسب الظروف، بسرّ مسحة المرضى. في هذه المناسبات، فليُعط مكانٌ واسعٌ للاحتفال بالكلمة، وليُساعَد المؤمنون المرضى على أن يعيشوا بإيمان حالتهم المتألّمة، متّحدين بذبيحة المسيح الفدائيّة، الذي ينجّينا من الشرّ.

كلام الله وليتورجيّا الساعات

٦٢. من بين أَشكال الصلاة التي تعظّم الكتاب المقدّس، هناك، بدون أيّ شكّ ليتورجيّا الساعات. لقد أَكّد آباء السينودس أَنّها تُكوّن «شكلاً مُمَيّزًا من الإصغاء إلى كلمة الله، لأنّها تضع المؤمنين في اتّصال مع الكتاب المقدّس ومع تقليد الكنيسة الحيّ»[٢٢١]. قبل كلّ شيء، يجب التذكير بالكرامة اللاهوتيّة والكنسيّة لهذه الصلاة. في الواقع، «في ليتورجيّا الساعات، حين تمارس الكنيسة وظيفة رأسها الكهنوتيّة، تقدّم لله "بلا انقطاع" (١ تم ٥: ١٧) ذبيحة التسبيح، أَي ثمرة الشفاه التي تعترف باسمه (عب ١٣: ١٥). هذه الصلاة هي صوت العروس ذاتها التي تخاطب عريسها؛ وأكثر من هذا، إنّها صلاة المسيح التي يقدّمها، مع جسده، للآب»[٢٢٢]. في هذا الصدد، أكّد المجمع الفاتيكانيّ الثاني ما يلي: «إنّ كلّ الذين يُؤمّنون هذه المهمّة، إنّما يُتمّمون خدمة الكنيسة، ويشتركون في الوقت عينه في الشرف السامي لعروس المسيح، لأنّهم بتأديتهم التسابيح الإلهيّة، يقفون أَمام عرش الله باسم الأُمّ الكنيسة»[٢٢٣]. في ليتورجيّا الساعات، وهي الصلاة العامّة للكنيسة، يظهر المثال المسيحيّ للتقديس طوال النهار، موقَّعًا على الإصغاء إلى كلمة الله، وعلى صلاة المزامير، بحيث إنّ كلّ نشاط يجد مرجعيّتَه في التسبيح المقدَّم لله.

إنّ أولئك الذين، في واقع حياتهم، ملزمون بأن يتلوا ليتورجيّا الساعات، عليهم أَن يعيشوا هذا الالتزام لصالح الكنيسة جمعاء. إنّ الأَساقفة والكهنة، والشمامسة المرسومين بهدف الكهنوت، الذين نالوا من الكنيسة رسالة الاحتفال بهذه الليتورجيّا، هم مُلزَمون بأن يفوا كلّ يوم صلوات الساعات كلّها[٢٢٤]. في الكنائس الكاثوليكيّة الشرقيّة، ذات الحكم الذاتيّ، يُحترم هذا الواجب بقوّة التعليمات المعطاة في شرعها الخاصّ[٢٢٥]. بالإضافة إِلى ذلك، إنّي أشجّع جماعات الحياة المكرّسة على أن تكون مثاليّةً في الاحتفال بليتورجيّا الساعات، بحيث تُشكّل مرجعًا وينبوعَ إلهامٍ لحياة كلّ الكنيسة الروحيّة والرعويّة.

---

[٢٢١] المقترح ١٩.

[٢٢٢] *Principes et normes de la Liturgie des Heures*, III, 15.

[٢٢٣] دستور **في الليتورجيّا المقدّسة، المجمع المقدّس**، رقم ٨٥.

[٢٢٤] Cf. *CIC*, cc. 276 § 3 ; 1174 § 1 رج.

[٢٢٥] *CCEO*, cc. 377; 473, § 1 et 2, 1°; 538 § 1; 881 § 1 رج.

عبّر السينودس عن رغبته في أن يرى هذا النوع من الصلاة ينتشر بشكل أوسع بين شعب الله، خاصّة تلاوة التسابيح الصباحيّة وصلاة الستّار. إنّ مثل هذا النموّ لا يمكن إلاّ أن يزيد الإلفةَ مع كلام الله بين المؤمنين. وعلينا أَيضًا أَن نُشدِّد على قيمة ليتورجيّا الساعات المخصّصة لصلاة الستّار الأولى يوم الأَحد وفي الاحتفالات، بخاصّة في الكنائس الكاثوليكيّة الشرقيّة. لذا فإنّي أَوصي الرعايا وجماعات الحياة الرهبانيّة، حيث يكون ذلك ممكنًا، أَن يعزّزوا هذه الصلاة عبر إشراك المؤمنين معهم.

كلام الله وكتاب التبريكات

٦٣. في استخدام **كتاب التبريكات**، يجب أن ننتبه إلى المكان المخصّص للوعظ والإصغاء وشرح كلمة الله بفضل تنبيهات وجيزة. في الواقع، في الحالات التي تلحظها الكنيسة، وبناءً على طلب المؤمنين، يجب ألاّ تُعزَل حركة البركة، بل يجب ربطُها بحياة ليتورجيّا شعب الله حسب طبيعتها الخاصّة. بهذا المعنى، إنّ البركة، وهي علامة مقدّسة حقيقيّة، «تأخذ معناها وفاعليّتها من إعلان كلمة الله»[٢٢٦]. من المهمّ إذن الإفادة أيضًا من هذه المناسبات من أجل إنعاش الجوع والعطش إلى كلّ كلمة تخرج من فم الله، لدى المؤمنين (مت ٤: ٤).

إقتراحات وعروض عمليّة لتنشيط الليتورجيّا

٦٤. بعد أن ذكّرتُ ببعض العناصر الأَساسيّة للعلاقة بين الليتورجيّا وكلمة الله، أَرغب الآن في أن أستعيد وأُعزّز قيمة بعض العروض والاقتراحات التي قدّمها آباء السينودس لكي يشجّعوا شعب الله على الإلفة المتنامية مع كلمة الله في إطار الأَعمال الليتورجيّة أَو على الأقلّ في ما يرتبط بها.

أ– الاحتفالات بكلام الله

٦٥– لقد حثّ آباء السينودس جميع الرعاة على أن يُذيعوا، في الجماعات التي أُوكِلَت اليهم، أوقات الاحتفال بالكلمة[٢٢٧]. إنّها مناسبة مميّزة للّقاء مع الربّ. لهذا السبب، لا يمكن ممارسةٌ من هذا النوع إلاّ أن تأتي بعون كبير للمؤمنين، ويجب أن نرى فيها عنصرًا قيّمًا من الرعويّة الليتورجيّة. إنّ لهذه الاحتفالات أهمّيّةً خاصّةً في إعداد إفخارستيّا الأحد، من أجل أن تُعطي المؤمنين إمكانيّة الولوج أكثر فأكثر في غنى كتاب القراءات، للتأمّل والصلاة في الكتاب المقدّس، خاصّة في الأَوقات الليتورجيّة المهمّة، أعني زمن المجيء والميلاد، والصوم والفصح. الاحتفال بكلمة الله محبَّذ جدًّا في الجماعات التي، بسبب نقص الكهنة، لا يمكنها أن تحتفل بالذبيحة الإفخارستيّة في

---

[٢٢٦] Livre des Bénédictions, *Préliminaires généraux*, n. 21.

[٢٢٧] رج المقترح ١٨؛ المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، دستور **في الليتورجيّا المقدّسة، المجمع المقدّس**، رقم ٣٥.

الأَعياد المأمورة. مع الأَخذ بعين الاعتبار بالتوجيهات التي تمّ التعبير عنها في الإرشاد الرسوليّ الذي نُشِر بعد السينودس، **سرّ المحبّة**، بشأن جمعيّات الأحد في غياب الكاهن[٢٢٨]، أوصي السلطات المختصّة بأن تضع كتاب رتب، آخذةً بعين الاعتبار خبرة الكنائس الخاصّة. هكذا تتعزّز، في هذه الحالات، احتفالات بالكلمة تستطيع أن تغذّي إيمان المؤمنين، مع تجنُّب خلطها مع الاحتفالات الإفخارستيّة؛ «عليها بالأَحرى أَن تكون مناسبات مميّزة للصلاة الموجّهة إِلى الله ليُرسل كهنة قدّيسين بحسب قلبه»[٢٢٩].

فضلاً عن ذلك، دعا أيضًا آباء السينودس إِلى الاحتفال أيضًا بكلمة الله بمناسبة الحجّ، والأَعياد الخاصّة، والرسالات الشعبيّة، والرياضات الروحيّة، والأيّام الخاصّة بالتوبة والتكفير والغفران. أمّا في ما يتعلّق بالأَشكال المختلفة للتقوى الشعبيّة، حتّى وإِن لم يكن المقصود أَعمالاً ليتورجيّة، وينبغي تجنّب أيّ إلتباس مع الاحتفالات الليتورجيّة، فمن المستحسن أَن تستلهمها، وخاصّةً أن تعطي مكانًا صحيحًا لإعلان كلمة الله وللإصغاء إليها؛ بالفعل، « ستجد التقوى الشعبيّة في الكتاب المقدّس ينبوعًا لا ينضب من الإلهام، ونماذجَ للصلاة لا تُضاهى، واقتراحات مواضيع خصبة بشكل خاصّ "[٢٣٠].

ب– الكلمة والصمت

٦٦. شدّدت عدّة مداخلات لآباء السينودس على قيمة الصمت في ارتباطه مع كلمة الله، وعلى تلقّيه في حياة المؤمنين[٢٣١]. بالفعل، لا يمكن إعلان الكلمة والإصغاء إليها إلاّ في الصمت الخارجيّ والداخليّ. زمنُنا لا يسهّل الخلوة، ويتكوّن أحيانًا لدينا الانطباع بأنّ هناك خوفًا من الانسلاخ، ولو موقّتًا، عن وسائل الاتصال مع الجمهور. لذلك، من الضروريّ اليوم تربية شعب الله على قيمة الصمت. إنّ إِعادة اكتشاف الطابع المركزيّ لكلمة الله في حياة الكنيسة تعني إعادةَ اكتشاف معنى الخلوة والسلام الداخليّ. يعلّمنا تقليد الآباء الكبير أنّ أَسرار المسيح مرتبطة بالصمت[٢٣٢]؛ فبالصمت وحده يمكن الكلمةَ أن تصنع منّا مسكنًا، كما عند مريم، التي هي في آنٍ

---

[٢٢٨] رج بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **سرّ المحبّة** (٢٢ شباط ٢٠٠٧)، رقم ٧٥: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١٦٢–١٦٣.

[٢٢٩] المرجع ذاته.

[٢٣٠] مجمع العبادة إلهيّة ونظام الأسرار، **دليل حول التقوى الشعبيّة والليتورجيّا، مبادىء وتوجيهات**، رقم ٨٧؛ *Ench. Vat.* 20, n. 2461.

[٢٣١] رج المقترح ١٤.

[٢٣٢] Saint Ignace d'Antioche, *Ad Eph*esios 15, 2 : *Patres Apostolici*, éd. F. X. FUNK, Tübingen 1901, I, 224.

معًا امرأة الكلمة والصمت. يجب على ليتورجيّاتنا أَن تُسهّل هذا الإصغاء الأصيل: **عندما تنمو الكلمة، تضعف الكلمات**[٢٣٣].

فلتُشِعّ هذه القيمة خاصّةً في ليتورجيّا الكلمة، التي «يجب الاحتفال بها بطريقة تُعزّز التأمّل»[٢٣٤]. فعندما يكون الصمت مُتوقَّعًا، يُعتبر «كجزء من الاحتفال»[٢٣٥]. لهذا السبب أَحثّ الرعاة على أَن يشجّعوا أَوقات الخلوة التي بواسطتها، بعون الروح القدس، يتمّ تلقّي كلمة الله في القلب.

ج– الإعلان الإحتفاليّ لكلمة الله

٦٧. قدّم السينودس اقتراحًا آخَر: في مناسبات ليتورجيّة مميّزة، الاحتفال بإعلان الكلمة، وخصوصًا الإنجيل، عبر استعمال كتاب قراءات الإنجيل الذي يزيّحه الشمّاس أَو الكاهن أثناء رتبة الدخول، ويضعه على المنبر من أجل إعلان كلمة الله. هكذا نساعد شعب الله ليتبيّن أنّ «قراءة الإنجيل تُشكِّل ذروة ليتورجيّا الكلمة»[٢٣٦]. عند اتّباع تعليمات **التقديم العامّ لكتاب قراءات القدّاس**، من المستَحسَن تسليط الضوء على إعلان كلمة الله ترنيمًا، لا سيّما الإنجيل، وخاصّة في بعض الاحتفالات. كطريقة للتشديد على أهمّيّة ما يُقرَأ، قد يكون من المستَحسَن إنشاد السلام، والإعلان الأَوّليّ: «قراءة من الإنجيل المقدّس»، والكلمات الختاميّة: «إنجيل الربّ»[٢٣٧].

د) كلام الله في الكنيسة

٦٨. في سبيل التشجيع على الإصغاء إلى كلمة الله، يجب ألاّ تُهمَل الوسائل التي تستطيع أن تساعد المؤمنين ليكون لديهم مزيدٌ من الاهتمام. هذا الأمر يتطلّب حتمًا عدم إهمال قضيّة الصوت في الأبنية المقدّسة، وذلك مع احترام القواعد الليتورجيّة والمعماريّة. «لدى بناء الكنائس، على الأَساقفة، الذين يُقَدَّم لهم العونُ بحسب الأصول، أن يكونوا متنبّهين إلى أَن تكون هذه الكنائس أَمكنة ملائمة لإعلان الكلمة والتأمّل والاحتفال الإفخارستيّ. على الفُسحات المقدّسة، التي تُمثّل السرّ المسيحيّ بالارتباط بكلمة الله، أن تصنع ذلك بطريقة بليغة، حتّى خارج الاحتفالات الليتورجيّة»[٢٣٨].

---

[٢٣٣] **رج** Saint Augustin, *Sermo* 288, 5: *PL* 38, 1307; *Sermo* 120, 2: *PL* 38, 677.

[٢٣٤] *Présentation générale du Missel Romain*, n. 56.

[٢٣٥] المرجع ذاته، رقم ٤٥؛ المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، دستور **في الليتورجيّا المقدّسة، المجمع المقدّس**، رقم ٣٠.

[٢٣٦] Missel romain, *Présentation générale du Lectionnaire de la Messe*, n.13.

[٢٣٧] رج المرجع ذاته، رقم ١٧.

[٢٣٨] المقترح ٤٠.

يجب أن يكون هناك انتباه خاصّ **للمنبر**، باعتباره مكانًا ليتورجيًّا تُعلن منه كلمة الله. ينبغي أن يوضَع في مكان تمكن رؤيته جيّدًا، يسترعي عفويًّا انتباه المؤمنين أَثناء ليتورجيّا الكلمة. من المستحسن أَن يكون ثابتًا، وأن يُقامَ كعنصرٍ منحوتٍ بتناغمٍ جماليّ مع **المذبح**، بحيث يُمثّل أيضًا بشكل مرئيّ المعنى اللاهوتيّ **لمائدتَي الكلمة والإفخارستيّا**. عن المنبر يجب أن تتمّ تلاوة القراءات، والمزمور الذي تُكَرَّر لازمتُه، والمديح الفصحيّ؛ ويمكن أن يُستَخدَم أيضًا لإلقاء العظة، ولتلاوة الطلبات[٢٣٩].

ويقترح آباء السينودس أَيضًا أَن يكون في الكنائس مكانٌ مميَّزٌ يُوضع فيه الكتاب المقدّس، حتّى **خارج أوقات الاحتفالات**[٢٤٠]. وبالفعل، من المستحسن أن يكون الكتاب الذي يحوي كلمة الله في مكان مرئيّ ومُكَرَّم داخل الهيكل المسيحيّ، من دون أن يُحرَم بيتُ القربان، الذي يحتوي السرّ الأقدس، من مكانه المركزيّ[٢٤١].

هـ- حصريّة النصوص البيبليّة في الليتورجيّا

٦٩. بالإضافة إِلى ذلك، شدّد السينودس بقوّة على ما قرّرته سابقًا القاعدة الليتورجيّة في الكنيسة[٢٤٢]: يجب أَلاّ تُستبدَل النصوص المستلّة من الكتاب المقدّس مطلقًا بنصوص أُخرى، مهما كانت معانيها عميقة من الناحية الرعائيّة أَو الروحيّة: «لا يستطيع أيّ نصّ روحيّ أَو أَدبيّ أَن يبلغ القيمة والغنى المتضمَّنَين في الكتب المقدّسة التي هي كلمة الله»[٢٤٣]. يجري الحديث عن قاعدة قديمة في الكنيسة ينبغي الحفاظ عليها[٢٤٤]. إزاء بعض التجاوزات، ذكّر البابا يوحنّا بولس الثاني بأهمّيّة عدم استبدال الكتاب المقدّس بقراءات أُخرى[٢٤٥]. لِنتذكّرْ أنّ المزمور الذي تُكَرَّر لازمتُه هو كلمة الله التي نُجيب بها على صوت الربّ، فلا يجوز بالتالي أَن يُستبدل بنصوص أُخرى، وأنّه من المناسب تمامًا إنشاده.

---

[٢٣٩] *Présentation générale du Missel Romain*, n. 309.

[٢٤٠] المقترح ١٤.

[٢٤١] رج بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **سرّ المحبّة** (٢٢ شباط ٢٠٠٧)، رقم ٦٩: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٧)، ص ١٥٧.

[٢٤٢] *Présentation générale du Missel Romain*, n. 57.

[٢٤٣] المقترح ١٤.

[٢٤٤] Cf. le canon 36 du *Synode d'Hippone* en 393, Denzinger-Schönmetzer, 186.

[٢٤٥] رج يوحنّا بولس الثاني، الرسالة الرسوليّة، **السنة الخامسة والعشرون**، ٤ كانون الأوّل ١٩٨٨، رقم ١٣: أعمال الكرسيّ الرسوليّ ٨١ (١٩٨٨)، ص ٩١٠؛ مجمع للعبادة الإلهيّة ونظام الأسرار، تعليمات حول بعد الأمور لتطبيقها أو لتجنبها حول موضوع القربان المقدّس **سرّ الفداء** (٢٥ آذار ٢٠٠٤)، رقم ٦٢: *Ench. Vat.* 22, n. 2248.

و– النشيد الليتورجيّ المُستَلْهَم بيبليًّا

٧٠. في إطار تقييم كلام الله أَثناء الاحتفال الليتورجيّ، يجب الانتباه أَيضًا للنشيد المعَدّ حسبما ينصّ عليه كلّ طقس، مع تفضيل النشيد الذي يَستلهِم بشكل واضح الكتابَ المقدّس، والذي يُعبِّر، عبر التوافقِ المتناغم بين الكلمات والموسيقى، عن جمال الكلمة الإلهيّة. في هذا المعنى، يُستحسَن أَن تُسَلَّط الأضواء على الأناشيد التي سلّمها إِلينا تقليد الكنيسة، والتي تَحترم هذا المعيار. أُفكّر بشكل خاصّ بأهمّيّة اللحن الغريغوريّ[٢٤٦].

ز– انتباه خاصّ إِلى العميان والصمّ

٧١. في هذا السياق، أُريد أَن أُذكّر بأنّ السينودس أوصى بانتباه خاصّ تجاه الذين، بسبب حالتهم، يجدون صعوبة في الاشتراك في الليتورجيّا، نذكر على سبيل المثال الذين لا يبصرون أَو لا يسمعون. إِنّي أُشجّع الجماعات المسيحيّة لكي يتحسّبوا لذلك، وعلى قدر الإِمكان، عبر إِيجاد أَدوات ملائمة لمساعدة الإِخوة والأَخوات الذين يعانون من هذه الصعوبات، لكي تُعطَى لهم أَيضًا إِمكانيّة الاتّصال الحيّ بكلام الربّ[٢٤٧].

كلام الله في الحياة الكنسيّة

اللقاء بكلمة الله في الكتاب المقدّس

٧٢. إِذا كان صحيحًا أنّ الليتورجيّا هي المكان المميَّز لإِعلان كلمة الله والإِصغاء إِليها والاحتفال بها، فمن الصحيح أَيضًا أنّه ينبغي إِعداد هذا اللقاء في قلب المؤمنين، فيتعمّقوا فيه ويستوعبوه بشكل خاصّ. في الواقع، تتميّز الحياة المسيحيّة جوهريًّا باللقاء مع يسوع المسيح الذي يدعونا إِلى اتّباعه. لذلك أعاد سينودس الأَساقفة التأكيد مرارًا على أهمّيّة العمل الرعويّ في الجماعات المسيحيّة، لأنّه يُشكّل الإِطار الذي فيه يتمّ اجتياز مسار شخصيّ وجماعيّ بالنسبة إِلى كلمة الله، بحيث تصبح هذه الكلمة حقًّا في أَساس الحياة الروحيّة. مع آباء السينودس، أُعبِّر عن رغبة قويّة في أَن يزهر "فصلٌ جديدٌ لحبٍّ أكبر للكتاب المقدّس لدى جميع أَعضاء شعب الله، لكي تساعدَهم القراءةُ المصلّية والأمينة، مع مرور الوقت، على تعميق علاقتهم بشخص يسوع بالذات"[٢٤٨].

---

[٢٤٦] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور في الليتورجيّا المقدّسة **المجمع المقدّس**، رقم ١١٦؛ مجمع العبادة الإلهيّة ونظام الأسرار، عرض عامّ **للكتاب القداس الرومانيّ**، رقم ٤١.

[٢٤٧] رج المقترح ١٤.

[٢٤٨] المقترح ٩.

في تاريخ الكنيسة، تكلّم قدّيسون عديدون على ضرورة معرفة الكتاب المقدّس من أجل النموّ في محبّة المسيح. إنّ هذا الأمر هو من المسلّمات لدى لدى آباء الكنيسة بشكل خاصّ. إنّ القدّيس إيرونيموس، في حبّه الكبير للكلمة الله ، غالباً ما كان يتساءل: «كيف يمكن أَن يعيش امرىء دون معرفة الكتب التي من خلالها يتعلّم كيف يعرف المسيح بالذات، الذي هو حياة المؤمن[٢٤٩]؟». كان هذا القدّيس يدرك تمامًا أنّ الكتاب المقدّس هو الأداة «التي بها يُكلّم الله المؤمنين كلّ يوم»[٢٥٠]. هو يقدّم النصح للسيّدة الرومانيّة «لاتا» لتربيّ ابنتها كما يلي: «تأكّدي من أنّها تدرس كلّ يوم مقطعًا من الكتاب المقدّس... أتبعي الصلاة بالقراءة، والقراءة بالصلاة... وبدلاً من اللآلئ وأَثواب الحرير فلتحبَّ الكتب الإلهيّة»[٢٥١]. ما كتبه القدّيس إيرونيموس إلى الكاهن نيبوسيانوس يصحّ بالنسبة إلينا أَيضًا: «إقرأ بتواتر الكتب الإلهيّة، ولا يفارق الكتاب المقدّس يديك أبدًا؛ تعلّمْ منه ما يجب عليك أن تُعلّمه»[٢٥٢]. على مثال هذا القدّيس العظيم الذي كرّس حياته لدراسة الكتاب المقدّس، والذي أَعطى الكنيسة ترجمته اللاتينيّة، أي **الفولغاتا**، وعلى مثال جميع القدّيسين الذي وضعوا في وسط حياتهم الروحيّة اللقاء بالمسيح، فلنجدّد التزامنا بتعميق الكلمة التي وهبها الله للكنيسة. هكذا نستطيع أَن نتوق إلى هذا «المستوى الرفيع من الحياة المسيحيّة العاديّة»[٢٥٣]، التي تتغذّى دومًا من سماع كلمة الله، وهذا ما تمنّاه البابا يوحنّا بولس الثاني في بدء الأَلفيّة الثالثة المسيحيّة.

التنشيط البيبليّ للعمل الرعويّ

٧٣. في هذا الخطّ، دعا السينودس إلى التزام رعويّ خاصّ في سبيل إبراز المكان المركزيّ لكلمة الله في الحياة الكنسيّة، موصيًا بـ"تكثيف "الرعويّة البيبليّة"، ليس عبر وضعها جنبًا الى جنب مع أشكال أخرى من العمل الرعويّ، بل كتنشيط **بيبليّ لكلّ العمل الرعويّ**»[٢٥٤]. ليس المقصود إضافة بعض اللقاءات في الرعيّة أَو في الأَبرشيّة، بل التأكّد من أنّه، في النشاطات المعتادة للجماعات المسيحيّة في الرعايا والتجمّعات والحركات، هناك اهتمام فعليّ باللقاء الشخصيّ مع المسيح الذي يعطينا ذاته في كلمته. وهكذا، فإذا كان «الجهل للكتاب المقدّس

---

[٢٤٩] *Epistula* 30, 7: *CSEL* 54, 246.

[٢٥٠] .Id., *Epistula* 133, 13: *CSEL* 56, 260.

[٢٥١] Id., *Epistula* 107, 9.12*: CSEL* 55, 300.302.

[٢٥٢] Id., *Epistula* 52, 7: *CSEL* 54, 426.

[٢٥٣] يوحنّا بولس الثاني، **إطلالة الألفية الجديدة** (٦ كانون الثاني ٢٠٠١)، رقم ٣١: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٣ (٢٠٠١)، ص ٢٨٧-٢٨٨.

[٢٥٤] المقترح ٣٠؛ رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٢٤.

هو جهل للمسيح»[٢٥٥]، فإنّ التنشيط البيبليّ لكلّ العمل الرعويّ العاديّ وغير العاديّ يقود إلى معرفة أكبر لشخص المسيح، الذي يكشف الآب، والذي هو ملء الوحي الإلهيّ.

أُحثّ إذًا الرعاة والمؤمنين على أن يأخذوا بعين الاعتبار أهمّيّة هذا التنشيط: وهذا سيكون أيضًا الوسيلة الفضلى لمواجهة بعض المشاكل الرعويّة التي تمّت مناقشتها خلال جمعيّة السينودس، والتي ترتبط، على سبيل المثال، **بتكاثر البدع** التي تنشر قراءة مُشوَّهة للكتاب المقدّس وآليّة. حيث لا يُنشَّأ المؤمنون على معرفة الكتاب المقدّس، بحسب إيمان الكنيسة في بوتقة تقليدها الحيّ، يمسي هذا الفراغ الرعويّ أرضًا خصبة تتجذّر فيها أمورٌ تضحي بمثابة واقع، كالبدع مثلاً. لهذا السبب ينبغي أن نستدرك فنعُدّ الكهنةَ والعلمانيّين إعدادًا ملائمًا لكي يُضحوا قادرين على تعليم شعب الله في مقاربة صحيحة للكتب المقدّسة.

بالإضافة إلى ذلك، كما جرى التشديد عليه أثناء أعمال السينودس، من المستحسن أيضًا، في النشاط الرعويّ، تشجيع نَشْر **جماعات صغيرة** «مؤلّفة من عائلات، مُتجذِّرة في الرعايا أو مُرتبطة بمختلف الحركات الكنسيّة أو بالجماعات الجديدة»[٢٥٦]، يتمّ فيها التشجيع على التنشئةُ والصلاةُ ومعرفةُ الكتاب المقدَّس بحسب إيمان الكنيسة.

البُعد البيبليّ للتعليم المسيحيّ

٧٤. هناك وقت هامّ للتنشيط الرعويّ في الكنيسة يمكننا فيه أن نكتشف بحكمة من جديد الطابعَ المركزيّ لكلمة الله، ألا وهو وقت التعليم المسيحيّ الذي يجب أن يرافق دائمًا شعبَ الله بأشكاله ومراحله المختلفة. إنّ لقاء تلميذَي عمّاوس مع يسوع، الذي يصفه القدّيس لوقا (رج لو ٢٤: ١٣-٣٥)، يُمثِّل نوعًا ما نمطَ تعليم مسيحيّ مركّز على «شرح الكتب المقدّسة»، شرحًا وحده المسيحُ قادر على إعطائه (رج لو ٢٤: ٢٧-٢٨)، مُبيِّنًا تحقيق هذه الكتب في شخصه[٢٥٧]. هكذا يُولد الرجاء من جديد، رجاءٌ هو أقوى من أيّ فشل، يجعل من هذين التلميذين شاهِدَين مُقتنعَين وجديرَين بالثقة للقائم من الموت.

---

[٢٥٥] Saint Jérôme, *Commentariorum. in Isaiam libri*, Prol; *PL* 24, 17B.

[٢٥٦] المقترح ٢١.

[٢٥٧] رج المقترح ٢٣.

في **الدليل العامّ للتعليم المسيحيّ**، نجد توجيهات ثمينة للتنشيط البيبليّ في التعليم المسيحيّ، وأشير إليه بطيبة خاطر[٢٥٨]. أوّدّ هنا، وقبل كلّ شيء، أن أُنوّه بأنّ التعليم المسيحي «يجب أن ينهل من الفكر والروح والمواقف البيبليّة والإنجيليّة، ويدعها تخترقه، وذلك بالاتصال الدؤوب بالنصوص بالذات؛ وهذا الأمر يُذكّر أيضًا أنّ التعليم المسيحيّ يُضحي غنيًّا وفعّالاً بمقدار ما يَقرأ النصوص بإدراك الكنيسة وقلبها»[٢٥٩]، وبمقدار ما يستلهم تفكير الكنيسة وحياتها على مدى ألفَي سنة. هكذا يجب تشجيع التعرّف على وجوه النصّ المقدّس، وأحداثه، وتعابيره الأساسيّة ؛ للوصول الى هذه الغاية، يُضحي مفيدًا **الحفظ غيبًا**، وبطريقة ذكيّة، لبعض المقاطع الكتابيّة، وبخاصّة تلك التي تتكلّم على الأسرار المسيحيّة. يستتبع دائمًا النشاطُ في مجال التعليم المسيحيّ تقريبَ الكتب المقدّسة من الإيمان ومن تقليد الكنيسة، بحيث يُنظَر إلى هذه الكلمات وكأنّها حيّةً، كما أنّ المسيح هو حيّ اليوم أيضًا حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه (رج مت ١٨: ٢٠). ويجب أن يُخبِر النشاطُ المذكور بطريقة حيويّة عن تاريخ الخلاص وعن مضامين إيمان الكنيسة، لكي يعترف كلّ مؤمن أن إطاره الحياتيّ الشخصيّ ينتمي بدوره الى هذا التاريخ.

من هذا المنظار، من المهمّ التشديد على الرباط بين الكتاب المقدّس **وكتاب التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة**، كما أكّد على ذلك **الدليل الموجز العامّ للتعليم المسيحيّ**: «في الواقع، إنّ الكتاب المقدّس، "كلمة الله المكتوبة بإلهام من الروح القدس"، و**التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة**، التعبير الحاليّ لتقليد الكنيسة الحيّ والقاعدة الأكيدة لتعليم الإيمان، هما مدعوّان، كلٌّ منهما على طريقته، وبحسب سلطانه الخاصّ، إلى إخصاب التعليم المسيحيّ في الكنيسة المعاصرة»[٢٦٠].

تنشئة كتابيّة للمسيحيّين

٧٥. في سبيل البلوغ إلى الهدف الذي تمنّاه السينودس، بإضفاء طابع بيبليّ أقوى على كلّ رعويّة الكنيسة، من الضروريّ تأمين تنشئة ملائمة للمسيحيّين، وبخاصّة لمعلّميّ التعليم المسيحيّ. في هذا الصدد، يجب إعطاء الأهمّيّة **للعمل الرسوليّ البيبليّ**، وهو منهجيّةٌ قيّمة للبلوغ إلى هذه الغاية، كما تبيّن ذلك الخبرةُ الكنسيّة. بالإضافة إلى ذلك، أوصى آباء السينودس، بإنشاء مراكز تنشئة للعلمانيّين وللمُرسَلين، وربّما من خلال استخدام الهيكليّات

---

[٢٥٨] رج مجمع لرجال الدين، **الدليل العامّ للتعليم المسيحيّ** (١٥ آب ١٩٩٧)، رقم ٩٤؛ يوحنّا بولس الثاني، الإرشاد الرسوليّ **نقل الكرازة** (١٦ تشرين الأوّل ١٩٧٩)، رقم ٢٧: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٧١ (١٩٧٩)، ص ١٢٩٨.

[٢٥٩] المرجع ذاته، رقم ١٢٧؛ رج يوحنّا بولس الثاني، الإرشاد الرسوليّ **نقل الكرازة** (١٦ تشرين الأوّل ١٩٧٩)، رقم ٢٧: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٧١ (١٩٧٩)، ص ١٢٩٩.

[٢٦٠] المرجع ذاته، رقم ١٢٨: *Ench. Vat.* 16, n. 936.

الأَكاديميّة القائمة، يتمّ فيها تَعَلُّمُ فَهْمِ كلمة الله، وعيشِها والتبشيرِ بها؛ وأوصوا أيضًا، وحيث تدعو الحاجة، بتأسيس معاهد مختصّة في الدراسات البيبليّة لتنشئة شارحين للكتاب المقدّس، يتمتّعون بفهمٍ لاهوتيّ راسخ، وبتقديرٍ مناسبٍ لأُطُر رسالتهم[٢٦١].

الكتاب المقدّس في التجمّعات الكنسيّة الكبرى

٧٦. بين المبادرات العديدة التي يمكن اتّخاذها، يقترح السينودس أنّه، في أثناء التجمّعات على المستوى الأَبرشيّ أَو الوطنيّ أَو العالميّ، يجب التشديد، قدر الإمكان، على أهمّيّة كلام اللهَ والإصغاء إليه، وعلى القراءة المؤمنة والمصلّية للكتاب المقدّس. بناءً على ذلك، في المؤتمرات القربانيّة الوطنيّة والعالميّة، وفي الأَيّام العالميّة للشبيبة، وفي اللقاءات الأُخرى، يُمكن، وبحقّ، إيجاد مساحات أوسع للاحتفالات بكلمة الله، ولأَوقات التنشئة البيبليّة[٢٦٢].

كلام الله والدعوات

٧٧. عندما شدّد السينودس على التزام الإيمان الجوهريّ بتعميق العلاقة مع المسيح، وهو كلمة الله بيننا، أراد أَيضًا أَن يُبرِز بوضوح أَنّ هذه الكلمة تدعو كلَّ إنسان بتعابير شخصيّة، مظهرًا هكذا **أنّ الحياة ذاتها هي دعوة** بالنسبة إلى الله. هذا يعني أَنّه، بمقدار ما نُعمّق علاقتنا مع الربّ يسوع، بمقدار ذلك ندرك أَنّه يدعونا إلى القداسة، بواسطة خيارات نهائيّة تُجيب حياتُنا من خلالها على محبّته، مضطلعةً بمهمّات ويخِدَم تساعد على بناء الكنيسة. في هذا الإطار، تُفهم الدعوات التي وجَّهها السينودسُ إلى جميع المسيحيّين لكي يُعمّقوا علاقتهم مع كلمة الله، كونهم مُعمَّدين، ولكن أيضًا كونهم مدعُوّين إلى العيش وفق مختلف أوضاع الحياة. هنا نبلغ إلى إحدى النقاط الرئيسة لعقيدة المجمع الفاتيكانيّ الثاني، الذي شدّد على دعوة كلِّ مؤمن إلى القداسة، وكلّ واحد وفقَ وضعِ حياته الخاصّ[٢٦٣]. إنّ دعوتنا إلى القداسة مُوحاة في الكتاب المقدّس: «كونوا قدّيسين لأَنّي أَنا قدّوس» (**لا** ١١: ٤٤؛ ١٩: ٢؛ ٢٠: ٧). ويُشدّد القدّيس بولس بدوره، على الأَصل الكريستولوجيّ لهذه الدعوة: في المسيح «اختارنا الآب قبْل خلق العالم لكي نكون، في المحبّة، قدّيسين وبغير لوم أَمامه» (أف ١: ٤). نتمكّن هكذا من سماع تحيّته التي يُرسلها إلى الإخوة والأَخوات في جماعة روما، وكأَنّها مُوجَّهة إلى كلّ واحد منّا: «إلى جميع أَحبّاء الله...، إلى القدّيسين بالدعوة، النعمة والسلام لكم من الله أَبينا ومن ربّنا يسوع المسيح» (رو **١**: **٧**).

أ– كلمة الله والخدّام المرسومون

---

[٢٦١] رج المقترح ٣٣.

[٢٦٢] رج المقترح ٤٥.

[٢٦٣] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، دستور عقائديّ في الكنيسة، **نور الأمم**، فصل ٥.

٧٨. قبل كلّ شيء، إذ أَتوّجه الآن إلى خدّام الكنيسة المرسومين، أُذكّرهم بما أَكدّه السينودس: «لا غنى عن كلمة الله في تنشئةِ قلبِ راعٍ صالح، خادمٍ للكلمة»[٢٦٤]. لا يستطيع الأَساقفة والكهنة والشمامسة، بأيّ شكلٍ من الأشكال، التفكير بأَن يعيشوا دعوتهم ورسالتهم من دون التزام حازم ومُتجدّد بتقديس ذواتهم، إلتزامٍ يجد إحدى ركائزه في الاتّصال بالكتاب المقدّس.

٧٩. أودّ أن أؤكّد من جديد للمدعوّين إلى **الأُسقفيّة**، وهم أوّل المبشّرين بالكلمة والمخوَّلين أن يقوموا بذلك، ما قاله البابا يوحنّا بولس الثاني في الإرشاد الرسوليّ الذي صدر بعد السينودس، **رعاة القطيع**. على الأُسقف، لكي يُغذّي حياتَه الروحيّة ويُنمّيها، أَن «يضع دائمًا في المكان الأَوّل قراءةَ كلمة الله والتأمّلَ فيها. على كلّ أُسقف أَن يكل ذاته "إلى الله، وأن يشعر بأنّه موكولٌ إليه وإلى كلمة نعمته التي لها القدرة على تشييد البنيان، وعلى إشراك الناس في ميراث الذين قُدِّسوا"» (أع ٢٠: ٣٢). لذلك، قبل أَن يكون ناقلاً للكلمة، على الأُسقف، مع كهنته، وبالتأكيد على أيّ مؤمن، كما أيضًا على الكنيسة ذاتها، أن يكون مُستمعًا لها. يجب أن يكون وكأنّه "داخل" الكلمة، مفسحًا لها المجال لترعاه وتغذّيه، كما لو كان في الحشا الأُموميّ[٢٦٥]. وتشبُّهًا بمريم، **العذراء المُصغية**، وملكة الرسل، أُوصي جميع إخوتي في الأُسقفيّة بقراءةٍ شخصيّةٍ مُتواترةٍ للكتاب المقدّس وبدرسٍ دؤوبٍ له.

٨٠. أُودّ أَن أذكّر الكهنة أَيضًا بكلام البابا يوحنّا بولس الثاني، في الإرشاد الرسوليّ الذي صدر بعد السينودس، **أُعطيكم رعاة**، حيث ذَكّر «أَنَّ الكاهن هو، قبل كلّ شيء، خادم كلمة الله. هو مُكرَّس ومُرسَلٌ لكي يُعلن للجميع إنجيل الملكوت، داعيًا كلّ إنسان إلى طاعة الإيمان، وسائرًا بالمؤمنيّن إلى معرفة أكثر فأكثر عمقًا لسرّ الله الموحى والمعطى لنا بالمسيح. لذا فعلى الكاهن ذاته أَن يكتسب أوّلاً إلفة كبيرة مع كلمة الله. لا يكفيه أن يعرف الجانب اللغويّ أَو التأويليّ منها، علمًا أنّ هذا الأمر ضروريّ. عليه أَن يلقى الكلمة بقلب مطواعٍ ومُصلٍّ، لكي تلجَ عميقًا في أَفكاره ومشاعره، وتخلق فيه روحًا جديدًا، هو "فكر المسيح" (١ كو ٢: ١٦)»[٢٦٦]. وهكذا تُضحي كلماته، وأَكثر من ذلك خياراته ومواقفه، أَكثر شفافيّة للإنجيل، فتبشّر به وتشهد له. «فقط "بثباته" في الكلمة يصبح الكاهن تلميذًا كاملاً للربّ، فيعرف الحقيقة ويضحي حقًّا حرًّا»[٢٦٧].

---

[٢٦٤] المقترح ٣١.

[٢٦٥] رقم ١٥: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٦ (٢٠٠٤)، ص ٨٤٦-٨٤٧.

[٢٦٦] رقم ٢٦: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٤ (١٩٩٢)، ص ٦٩٨.

[٢٦٧] المرجع ذاته.

أَخيرًا، تستلزم الدعوة الكهنوتيّة **التكرّس «في الحقّ»**. ولقد عبَّر يسوع نفسه لتلاميذه عن هذا الالتزام كما يلي: «قدِّسهم بالحقّ لأَنّ كلامك حقّ. أَنا أَرسلتهم إِلى العالم كما أَرسلتني إِلى العالم» (يو ١٧: ١٧-١٨). فالتلاميذ، بمعنى ما، هم «منجذبون إلى حميميّة الله بانغماسهم في كلمة الله. فكلمة الله هي، إِذا صحّ التعبير، الاغتسال الذي يُطهّرهم، والقدرة الخالقة التي تبدّلهم وتجعلهم يتحوّلون إِلى كيان الله»[٢٦٨]. وبما أنّ المسيح ذاته هو كلمة الله الذي صار جسدًا (يو ١\١٤)، وأنّه «الحقّ» (يو ١٤: ٦)، فصلاة يسوع لأَبيه، «قدّسهم في الحقّ»، تعني بالمعنى الأَعمق: «إِجعل أَلاّ يكونوا سوى واحد معي، أنا المسيح. إربطهم فيَّ. إجذبهم نحوي. وبالفعل، لا يُوجَد سوى كاهن وحيد للعهد الجديد، هو يسوع المسيح بالذات[٢٦٩]". أَصبح من الضروريّ إِذًا أَن يُجدّد الكهنة، دومًا وبعمق أَكبر، وعيَهم لهذا الواقع.

٨١. أَودّ أَن أَعود أَيضًا إِلى مكان كلمة الله في حياة المدعوّين إِلى **الشمّاسيّة**، ليس فقط كدرجة سابقة للكهنوت، إِنّما كخدمة دائمة. تؤكّد **القواعد الأَساسيّة لتنشئة الشمامسة الدائمين** أنّه، «من الهويّة اللاهوتيّة للشمّاس تنبثق بوضوح سمات روحانيّته المميَّزة التي تظهر أَساسًا كروحانيّة الخدمة. والنموذج الأعظم هو المسيح الخادم الذي عاش بالكلّيّة في خدمة الله لخير البشر»[٢٧٠]. في هذا المنظور نفهم أنّه يُوجَد في أبعاد الخدمة الشماسيّة المتنوّعة «عنصر مميِّز للروحانيّة الشماسيّة، ألا وهو كلمة الله، والشماس مدعوّ ليكون المبشِّر بها بسلطان، مؤمنًا بما يُعلن، ومُعلِّمًا ما يُؤمن به، وعائشًا ما يُعلّم»[٢٧١]. إنّي أوصي إِذن بأن يُغذّي الشمامسةُ حياتهم بقراءة مُؤمنة للكتاب المقدّس، مصحوبة بالدراسة والصلاة. فليُعَدّوا لولوج "الكتاب المقدّس وتفسيره الصحيح، ولاهوت العهد القديم والجديد، والعلاقة المتبادلة بين الكتاب المقدّس والتقليد، وبخاصّة استعمال الكتاب المقدّس في الوعظ والتعليم المسيحيّ والنشاط الرعائيّ بوجه عامّ»[٢٧٢].

ب– كلمة الله والمرشّحون للرسامة

---

[٢٦٨] بندكتوس السادس عشر، **عظة قداس تكريس الميرون** ٢٠٠٩؛ *L'ORf*, 14 avril 2009, p. 4.

[٢٦٩] المرجع ذاته.

[٢٧٠] مجمع التعليم المسيحيّ، **المعايير الأساسيّة لتدريب الشمامسة الدائمين** (٢٢ شباط ١٩٩٨)، رقم ١١؛ *La DC*, n.2181, p.411; *Ench. Vat.* 17, n. 174-175.

[٢٧١] المرجع ذاته، رقم ٧٤: *Ench. Vat.* 17, n. 263; *La DC* n. 2181, p. 420.

[٢٧٢] رج المرجع ذاته، رقم ٨١: *Ench. Vat.* 17, n. 271*: La DC, ibid.,* p. 421، المرجع ذاته ، ص ٤٢١.

٨٢. أعطى السينودس أهمّيّة خاصّة لدور كلمة الله الحاسم في الحياة الروحيّة لدى المرشَّحين لكهنوت الخدمة: «على المرشَّحين للكهنوت أَن يتدرّجوا على محبّة كلمة الله. إذًا فليكن الكتاب المقدّس روحَ تنشئتِهم اللاهوتيّة، مع التشديد على التفاعل الذي لا غنى عنه بين التأويل، واللاهوت، والروحانيّة، والرسالة»[٢٧٣]. إنّ طالبي كهنوت الخدمة مدعوّون إلى علاقة عميقة وشخصيّة مع كلمة الله، وبخاصّة **في القراءة الربيّة**، لكي تتغذّى دَعوتهم بالذات من هذه العلاقة: في نور كلمة الله وقوّتها يستطيع كلّ واحد أَن يكتشف دعوته الخاصّة، ويفهمها، ويُحبّها، ويتبعها، وأن يقوم برسالته، مُنمّيًا في القلب أَفكار الله، بحيث إنّ الإيمان، بصفته جوابًا على كلام الله، يُصبح المعيار الجديد للحكم على الناس والأَشياء والأَحداث والمشاكل ولتقييمها[٢٧٤].

إنَّ هذا الاهتمام بالقراءة المصلِّية للكتاب المقدّس لا ينبغي بأيّ نوعٍ كان أن يغذّي انفصامًا بالنسبة إلى الدراسة التفسيريّة المطلوبة أَثناء التنشئة. لقد أوصى السينودس بمساعدة الإكليريكيّين بشكل ملموس لكي يروا **العلاقة بين الدرس البيبليّ وبين الصلاة البيبليّة**. يجب أن يزيدنا درس الكتاب المقدّس وعيًا لسرّ الوحي الإلهيّ، ويُغذّي فينا موقفَ جوابٍ مصلٍّ للربّ الذي يتكلّم. كذلك، لن يمكن حياة صلاة أصيلة إلاّ أن تُنمي أَكثر فأَكثر في روح المرشَّح الرغبةَ في معرفة الله الذي أَوحى ذاته في كلمته أنّه حُبٌّ لا متناهٍ. لذلك، يجب تأمين العناية الكبرى لتنمية **هذا التبادل بين الدرس والصلاة** في حياة الإكليريكيّين. لهذه الغاية، يجب أَن يُنشَّأ المرشَّحون على دراسة للكتاب المقدّس بواسطة مناهج تُعزّز مقاربة متكاملة.

ج– كلام الله والحياة المكرّسة

٨٣. في ما يتعلّق بالحياة المكرَّسة، ذكّر السينودس أنّها «تُولَد من الإصغاء إلى كلمة الله، وتَلقّي الإنجيل كقاعدة حياة»[٢٧٥]. العيش في إثْر المسيح العفيف والفقير والطائع، هو هكذا «"تأويل" حيّ لكلام الله»[٢٧٦]. والروح القدس، الذي بفضله دُوِّن الكتاب المقدّس، هو الروح نفسه الذي يُنير «بنور جديد كلمة الله للمؤسِّسين

---

[٢٧٣] المقترح ٣٢.

[٢٧٤] يوحنّا بولس الثاني، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **أعطيكم رعاة** (٢٥ آذار ١٩٩٢)، رقم ٤٧: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٤ (١٩٩٢)، ص ٧٤٠–٧٤٢.

[٢٧٥] المقترح ٢٤.

[٢٧٦] بندكتوس السادس عشر، **خطاب في اليوم العالميّ الحادي عشر للحياة المكرّسة**، ٢ شباط ٢٠٠٨: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٨)، ص ١٣٣؛ *L'ORf*, 12 février 2008, p. 7؛ رج يوحنّا بولس الثاني، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس **الحياة المكرّسة** (٢٥ أذار ١٩٩٦)، رقم ٨٢: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٨ (١٩٩٦)، ص ٤٥٨–٤٦٠.

وللمؤسّسات. كلُّ موهبة تُولَد من الكتاب المقدّس، كلّ قانون يريد أن يكون تعبيرًا عنه»[٢٧٧]، عن طريق إعطاء حياة لمسارات حياةٍ مسيحيّةٍ تتميّز بالجذريّة الإنجيليّة.

أودّ أَن أُذَكِّر أنّ التقليد الرهبانيّ الكبير اعتبر دومًا التأمُّلَ في الكتاب المقدّس كعنصر مكوِّن لروحانيّته الخاصّة، خاصّةً تحت شكل **القراءة الربّيّة**. اليوم أَيضًا، التعابير القديمة والجديدة للتكرّس الخاصّ هي مدعوّة لأن تكون مدارس حقيقيّة للحياة الروحيّة، تُقرَأ فيها الكتب المقدّسة وفق الروح القدس في الكنيسة، لكي يستفيد كلّ شعب الله منها. يوصي السينودس إذًا بألاّ تنقص أَبدًا في جماعات الحياة المكرّسة تنشئة متينة على القراءة المؤمنة للكتاب المقدّس[٢٧٨].

أَودّ أيضًا أن أَكون لسان حال العناية والامتنان اللّذَين عبّر عنهما السينودس بشأن أَشكال الحياة التأمُّليّة التي، بموجب موهبتها الخاصّة، تُكرّس قسمًا كبيرًا من يومها للتشبّه بأمّ الله التي كانت تتأمّل باستمرار في كلمات ابنها وحركاته (رج لو ٢: ١٩، ٥١)، وبمريم التي من بيت عنيا التي كانت تصغي إلى كلام يسوع وهي جالسة عند قدمَيه (رج لو ١٠: ٣٨). ويتوجّه فكري الآن بشكل خاصّ إلى الرهبان والراهبات المحصّنين الذين، بانفصالهم عن العالم، يجدون ذاتهم مُتّحدين في حميميّة أكبر بالمسيح، قلبِ العالم. أَكثر من أيّ وقت مضى، تحتاج الكنيسة إلى شهادة من يلتزم بأن «لا يُفضّل شيئًا على حبّ المسيح»[٢٧٩]. إنّ عالم اليوم مغموس في الغالب بالنشاطات الخارجيّة التي تعرّضه لخطر الهلاك. إنّ المتأمّلين والمتأمّلات، بحياتهم المصلّية والإصغاء إلى كلمة الله والتأمّل فيها، يذكّروننا بأنّ الإنسان لا يعيش فقط بالخبز، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله (رج مت ٤: ٤). بالنتيجة، يجب أن يتذكّر جميع المؤمنين أنّ هذا النوع من الحياة «يُبيّن لعالم اليوم الشيء الأهمّ، الشيء الأوحد الضروريّ في آخر الأمر: هناك سبب أخير تستحقّ الحياة أَن تُعاش في سبيله، ألا وهو الله ومحبّتُه التي لا تُسبر»[٢٨٠].

د– كلام الله والمؤمنون العلمانيّون

---

[٢٧٧] مجمع معاهد الحياة المكرّسة ومؤسّسات الحياة الرسوليّة، إرشاد، **إنطلاقة جديدة من المسيح. إلتزام متجدّد للحياة المكرّسة في الألف الثالث** (١٩ أيار ٢٠٠٢)، رقم ٢٤.

[٢٧٨] رج المقترح ٢٤.

[٢٧٩] Saint Benoît, *Règle*, IV, 21: *SC* 181, p. 456-458.

[٢٨٠] بندكتوس السادس عشر، **خطاب لرهبان في دير هيليجينكروز** (٩ أيلول ٢٠٠٧)، *L'ORf*, 18 septembre 2007, p. 14.

٨٤. وجّه السينودس مرارًا انتباهه نحو المؤمنين العلمانيّين، شاكرًا إيّاهم على التزامهم السخيّ في نشر الإنجيل في الأوساط المختلفة لحياتهم اليوميّة، في العمل، في المدرسة، في العائلة، وفي التربية[٢٨١]. يجب أَن تتمكّن هذه المهمّة، المتجذّرة في المعموديّة، من النموّ تدريجيًّا من خلال حياة مسيحيّة واعية أكثر فأكثر، وقادرة على أن تدافع عن الرجاء الذي فينا (رج ١ بط ٣: ١٥). في **الإنجيل بحسب متّى**، يُشير المسيح إلى أَنّ «الحقل هو العالم، والبذر الطيّبُ هم بنو الملكوت» (مت ١٣: ٣٨). تنطبق هذه الكلمات بشكل خاصّ على العلمانيّين المسيحيّين الذين يعيشون دعوتهم الشخصيّة إلى القداسة في وجودٍ بحسب الروح، يجد تعبيرًا عنه «بنوع خاصّ **في اندماجهم بالحقائق الزمنيّة ومشاركتهم في النشاطات الأَرضيّة**»[٢٨٢]؛ فهم بحاجة إلى أن يُنَشَّأَوا لكي يُميّزوا إرادة الله بفضل إلفةٍ مع كلمة الله التي تُقرَأ وتُدرَس في الكنيسة في ظلّ إرشاد رعاة شرعيّين. يستطيع العلمانيّون أَن يأخذوا هذه التنشئة من مدارس الروحانيّات الكنسيّة الكبرى، والتي تتجذّر دائمًا في الكتاب المقدّس. على الأبرشيّات بالذات أن تُوفّر، وفق قدراتها، الفرص لتنشئةِ العلمانيّين الذين يتولّون مسؤوليّات كنسيّة خاصّة[٢٨٣].

هـ – كلمة الله، والزواج، والعائلة

٨٥. شعر السينودس بضرورة التشديد أيضًا على العلاقة بين كلمة الله والزواج، والعائلة المسيحيّة. في الواقع، «حين تُعلِن الكنيسة كلمة الله، تكشف للعائلة المسيحيّة عن هويّة هذه العائلة الحقيقيّة، وبتعبير آخر، ما هي عليه وما يجب أَن تكون بحسب تصميم الربّ»[٢٨٤]. يجب ألاّ يغيب عن البال أبدًا **أنّ كلمة الله هي في أَصل الزواج** (رج تك ٢: ٢٤)، وأنّ يسوع نفسه أراد إدراج الزواج بين مؤسّسات ملكوته (رج مت ١٩: ٤–٨)، جاعلاً سرًّا ما كان مُدَوَّنًا في البدء في الطبيعة البشريّة. «في الاحتفال بهذا السرّ، يلفظ الرجل والمرأة كلمة نبويّة حول العطاء المتبادَل، بأن يكونَا "جسدًا واحدًا"، علامةً لسرّ الوحدةِ بين المسيح والكنيسة (رج أف ٥: ٣١–٣٢)»[٢٨٥]. كذلك تقود الأَمانة لكلمة الله إلى الاستنتاج أَنّ هذه المؤسّسة تتعرّض اليوم للتهجّم بأشكال شتّى من قِبَل العقليّة الراهنة. تجاه الفوضى العامّة في العواطف، وظهور أَنماط من التفكير تُسخّف الجسدَ البشريَّ والفارقَ الجنسَيّ، تُؤَكِّد

---

[٢٨١] رج المقترح ٣٠.

[٢٨٢] يوحنّا بولس الثاني، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **العلمانيّون المؤمنون بالمسيح** (٣٠ كانون الأوّل ١٩٨٨)، رقم ١٧: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨١ (١٩٨٩)، ص ٤١٨.

[٢٨٣] رج المقترح ٣٣.

[٢٨٤] يوحنّا بولس الثاني، الإرشاد الرسوليّ، **وظائف العائلة المسيحيّة** (٢٢ تشرين الثاني ١٩٨١)، رقم ٤٩: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٧٤ (١٩٨٢)، ص ١٤٠–١٤١.

[٢٨٥] المقترح ٢٠.

كلمة الله من جديد على الطيبة الأصليّة للكائن البشريّ، المخلوق رجلاً وامرأة، والمدعوّ إلى الحُبّ الأَمين، المتبادَل، والخصب.

إنّ سرّ الزواج الكبير هو مصدر **مسؤوليّة الأهل التي لا مفرّ منها تجاه أَولادهم**. بالفعل، يعود للأبوّة وللأُمومة، اللّذَين يُعاشان بطريقة أصيلة، أَمر إطلاع الأبناء على معنى الحياة في المسيح والشهادة لها: من خلال أَمانتهما ووحدة الحياة العائليّة، فالزوجان هما المبشِّران الأوّلان لأَولادهما بكلمة الله. يجب على الجماعة الكنسيّة أن تَسندهما وتساعدهما على تنمية الصلاة في العائلة، والإصغاء إلى كلمة الله، ومعرفة الكتاب المقدّس. لهذا السبب يتمنّى السينودس أَن **يكون لكلّ منزل كتابه المقدّس**، وأن يُحفظ فيه بشكل لائق، للتمكّن من قراءته واستعماله في الصلاة. يمكن المساعدة الضروريّة أن تأَتي من الكهنة، والشمامسة، والعلمانيّين المعدّين إعدادًا حسنًا. كذلك أَوصى السينودس بخلق جماعات صغيرة مؤلَّفة من عائلات تُمارس الصلاة والتأمّل المشترك في مقاطع مختارة من الكتاب المقدّس[٢٨٦]. فليتذكّر الزوجان أنّ «كلمة الله هي أَيضًا عونٌ ثمين في صعوبات الحياة الزوجيّة والعائليّة»[٢٨٧].

في هذا السياق، أودّ أَيضًا أن أُنوّه بما أَوصى السينودس بشأن **مَهمّة النساء بالنسبة إلى كلمة الله**. إنّ مساهمة «العبقريّة النسائيّة»، كما سمّاها البابا يوحنّا بولس الثاني[٢٨٨]، في معرفة الكتاب المقدّس، وفي كلّ حياة الكنيسة، هي اليوم أفضل من الماضي، لا بل هي تلامس من الآن فصاعدًا مجالَ الدروس البيبليّة ذاتها. وقد توقّف السينودس بشكل خاصّ عند الدور الذي لا غنى عنه للنساء في العائلة والتربيّة، في التعليم المسيحيّ، وفي نقل القِيَم. وبالفعل، هنّ «يعرفنَ كيف يُوقظنَ الإصغاء إلى الكلمة، والعلاقةَ الشخصيّة مع الله، ونقلَ معنى المغفرة والمشاركة الإنجيليّة»[٢٨٩]، كما يعرفنَ أيضًا أن يكُنّ حاملاتٍ محبَّة، ونماذجَ رحمةٍ، وصانعاتِ سلام، وناقلاتٍ دفءٍ وإنسانيّةٍ في عالمٍ، بالأسف، غالبًا ما يقيّم الأَشخاص بمعايير باردة، من استغلال ومنفعة.

قراءة الكتاب المقدّس المصلّية و«القراءة الربّيّة»

---

[٢٨٦] رج المقترح ٢١.

[٢٨٧] المقترح ٢٠.

[٢٨٨] رج الرسالة الرسوليّة، **كرامة المرأة** (١٥ آب ١٩٨٨)، رقم ٣١: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٠ (١٩٨٨)، ص ١٧٢٧-١٧٢٩.

[٢٨٩] المقترح ١٧.

٨٦. أصرّ السينودس تكرارًا على ضرورة مقاربة مصلّية للنصّ المقدّس تُشكّل عنصرًا أساسيًّا للحياة الروحيّة في كلّ مؤمن، في مختلف الخِدَم وحالات الحياة، وذلك بالعودة بشكل خاصّ إلى **القراءة الربّيّة**[٢٩٠]. في الواقع، إنّ كلمة الله هي في أَساس كلّ روحانيّة مسيحيّة أصيلة. توافق آباء السينودس مع ما يؤكّده الدستور العقائديّ **كلمة الله**: «فليُقبل المؤمنون بكلّ قلوبهم على النصّ المقدّس نفسه، إمّا عن طريق الليتورجيّا المقدّسة المشبَعة بالكلام الإلهيّ، وإمّا عن طريق قراءة وَرِعَة، وإمّا أيضًا بواسطة دروس تُعطَى لهذه الغاية، أو بمنهجيّات أخرى تنتشر في أيامنا في كلّ مكان بشكل يستحقّ الثناء بموافقة رعاة الكنيسة وعنايتهم. ولكن فليتذكّروا أنّ قراءةَ الكتاب المقدّس يجب أن ترافقها الصلاة»[٢٩١]. كان التفكير المجمعيّ يعتزم أَن يستعيد التقليدَ الآبائيّ الكبير الذي أوصى دائمًا بالتقرّب من الكتاب المقدّس من خلال إقامة حوار مع الله. فكما يقول القدّيس أَوغسطينوس: «صلاتك هي كلامك الموَجَّه إلى الله. عندما تقرأ، فالله هو الذي يُكلّمك؛ عندما تُصلّي، فأنت مَن يتكلّم مع الله»[٢٩٢]. يُؤكِّد أوريجانوس، وهو أَحد معلّمي هذه القراءة للكتاب المقدّس، أنّ فهْم الكتب المقدّسة يتطلّب الحميميّةَ مع المسيح والصلاةَ، أكثرَ من الدرس. في الواقع، إنّه مقتنع أنّ الطريق المميَّز لمعرفة الله هو المحبّة، وأنّه لا يمكن اكتساب **عِلْمٍ أصيلٍ عن المسيح** إلاّ إذا شُغِفنا به. في **الرسالة إلى غريغوريوس**، يوصي أوريجانس، لاهوتيّ الإسكندريّة الكبير: «إجتهد قبل كلّ شيء في قراءة الكتب الإلهيّة: إجتهد في ذلك بمواظبة (...). إجتهد في قراءتها بنيّة الإيمان بالله وإرضائه. إقرع، وإذا وجدتَ أثناء قراءتك البابَ مُغلَقًا، يَفْتَحُ لك البوّابُ الذي قال عنه يسوع: "البوّاب يفتحه له". عندما تجتهد في هذه القراءة الإلهيّة، إبحث باستقامة وبثقة لا تتزعزع بالله عن معنى الكتب الإلهيّة الخفيّ عن الكثيرين. لا تكتفِ بأَن تقرع الباب وتبحث، إذ من الضرورة بمكان أَن تُصلّي لكي تفهم الأُمور الإلهيّة. لكي يحثّنا المخلّص على ذلك، لم يقل فقط: "إقرعوا يُفتح لكم"، و"اطلبوا تجدوا"، بل قال أيضًا: "إسألوا تُعطوا"»[٢٩٣].

ولكن، في هذا الخصوص، **يجب تجنّب خطر المقاربة ذات التوجُّه الفرديّ**، مع التَذَكُّرِ أنّ كلمة الله تُعطَى تحديدًا لنا لبناء الشَرِكة، لنتّحد في الحقّ أَثناء مسيرتنا نحو الله. إنّها كلمة تتوجّه إلى كلّ واحد شخصيًّا، ولكنّها أَيضًا كلمة تبني الجماعة التي بدورها تبني الكنيسة. لذلك، **يجب دومًا أَن يُعالَجَ النصُّ المقدّسُ في الشركة الكنسيّة**. في الواقع، من المهمّ جدًّا القيام بقراءة جماعيّة (...)، لأنّ الموضوع الحيّ للكتاب المقدّس هو شعب الله،

---

[٢٩٠] رج المقترحين ٩ و٢٢.

[٢٩١] رقم ٢٥.

[٢٩٢] *Enarrationes in Psalmos* 85, 7: CCL 39, 1177.

[٢٩٣] Origène, *Epistola ad Gregorium*, 3: *PG* 11, 92.

هو الكنيسة (...).لا يخصّ الكتاب المقدّس الماضي، لأنّ موضوعه، أي شعب الله الملهَم من قِبَلِ الله ذاته، هو هو دائمًا، والكلمة هي إذًا حيّة دائمًا في الموضوع الحيّ. لذا، من المهمّ أن نقرأ الكتاب المقدّس، وأن نسمعه في شركة الكنيسة، أي مع كلّ شهود هذه الكلمة العظام، بدءًا بآباء الكنيسة الأوّلين وحتّى قدّيسيّ اليوم، وصولاً إلى السلطة الكنسيّة الحاليّة»[٢٩٤].

بالنتيجة، في القراءة المصلّية للكتاب المقدّس، **المكان المُميَّز هو الليتورجيّا**، وبخاصّة **الإفخارستيّا**، التي نحتفل فيها بجسد ودم المسيح الحاضر في السرّ، فتكون كلمة الله بذاتها حاضرَة في ما بيننا. وبمعنى ما، يجب دومًا أن تُعاش القراءة المصلّية، الشخصيّة والجماعيّة، في علاقة مع الاحتفال الإفخارستيّ. وكما أنّ العبادة الإفخارستيّة تُعِدُّ الاحتفال الإفخارستيّ، وتُرافقه، وتُكمِّله[٢٩٥]، كذلك أيضًا فإنّ القراءة المصلّية، الفرديّة والجماعيّة، تُعدُّ وتُرافق وتُعمّق ما تحتفل به الكنيسة حين تُعلن الكلمة، في الإطار الليتورجيّ. من خلال الربط بين القراءة الربّيّة والليتورجيّا ربطًا وثيقًا، نستطيع أن نفهم بطريقة أفضل المعايير التي ينبغي أن تقود هذه القراءة في سياق رعويّة شعب الله وحياته الروحيّة.

٨٧. في الوثائق التي أعدّت السينودس ورافقته، جرى الحديث عن مناهج مختلفة لمقاربة الكتب المقدّسة بطريقة مثمرة وبإيمان. بيد أنّ الاهتمام الأكبر قد وُجِّه نحو **القراءة الربّيّة**، «القادرة أَن تفتح للمؤمن كنز كلمة الله، وأَن تُحدِث هكذا اللقاء بالمسيح، الكلمة الإلهيّة الحيّة»[٢٩٦]. أَودّ أَن أُذكّر هنا باختصار بمراحلها الأَساسيّة: تُفتَتَح بقراءة (*lectio*) النصّ الذي يُثير سؤالاً حول المعرفة الأصيلة لمضمونه: **ماذا يقول النصّ البيبليّ بحدّ ذاته؟** من دون هذه المرحلة، قد يتعرّض النصّ لأن يُصبح ذريعة فقط لكي لا نخرج أبدًا من أَفكارنا. بعد ذلك يأتي التأمّل (*meditatio*) الذي يطرح السؤال التالي: **ماذا يقول لنا النصّ البيبليّ؟** هنا، على كلّ واحد بمفرده، ولكن أيضًا بكونه حقيقةً جماعيّةً، أَن يدع ذاته يتأثّر بالنصّ، ويطرح من جديد ذاته على بساط البحث، لأنّه ليس المطلوب أن نعتبر الكلمات وكأنّها قيلَت في الماضي بل في الحاضر. نصل هكذا إلى الصلاة (*oratio*) التي تفترض هذا السؤال الآخَر: **ماذا نقول للربّ كجواب عن كلامه؟** الصلاة باعتبارها طلبًا وشفاعةً وفعلَ شكر وتسبيحًا، هي

---

[٢٩٤] بندكتوس السادس عشر، **خطاب الإكليريكيّة الحبريّة الرومانيّة**، (١٧ شباط ٢٠٠٧): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ٢٠٤، *L'ORf*, 27 février 2007, p. 3.

[٢٩٥] رج بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **سرّ المحبّة**، رقم ٦٦: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١٥٥-١٥٦.

[٢٩٦] الرسالة الختاميّة، رقم ٩.

الطريقة الأُولى التي بواسطتها تُحوّلنا كلمةُ الله. أَخيرًا، تنتهي **القراءة الربّيّة** بالتأمّل (*contemplatio*) الذي نتبّنى خلاله، كعطيّة من الله، نظره بالذات لنحكم على واقع الحال، ونتساءَل: **أَي اهتداء للروح والقلب والحياة يتطلّب منّا الربّ؟** يؤكّد القدّيس بولس في **الرسالة إلى الرومانيّين**: «لا تأخذوا لكم نموذجًا ما في العالم الحاضر، بل تغيّروا بتجديد طريقة تفكيركم لتتبيّنوا مشيئة الله: ما هو صالح وما هو قادر على أن يرْضيه، وما هو كامل» (١٢: ٢). وبالفعل، يرمي التأمّل إلى أن يخلق فينا نظرة حِكَميّة لواقع الحال، تتطابق مع كلمة الله، وإلى أن تُشكِّل فينا "فِكر المسيح" (١ كو ٢: ١٦). هنا تبدو كلمة الله وكأنّها معيار للتمييز: «إنّها حيّة (...)، فاعلة، وأَمضى من سيف ذي حدَّين؛ تنفذ في الأَعماق إلى ما بين النفس والروح والمفاصل ومخاخ العظام، وتحكم على خواطر القلب وأَفكاره (عب ٤: ١٢). من المستحسن، بعد ذلك، التذكير بأنّ **القراءة الربيّة** لا تكتمل في ديناميّتها، طالما لم تؤدِّ إلى العمل (*actio*) الذي يدفع الوجود المؤمن إلى عطاء الذات للآخرين في المحبّة.

توجد هذه المراحل مجموعة وموجَزة، بطريقة رائعة، في صورة أمّ الله، نموذج كلّ المؤمنين في تلقّي كلمة الله بطواعيّة: «كانت تحفظ باهتمام كلّ هذه الأُمور وتتأمّل بها في قلبها» (لو ٢: ١٩؛ رج ٢: ٥١)؛ كانت تعرف أَن تجد العلاقة العميقة التي تربط الأحداث والوقائع والحقائق، التي تبدو ظاهريًّا منفصلة، في التصميم الكبير لله [٢٩٧].

بالإضافة الى ذلك، أُودّ أَن أُذكّر بما أوصى به السينودس بخصوص أهمّيّة القراءة الشخصيّة للكتاب المقدّس، أيضًا كممارسة تكفيريّة، تنصّ على إمكانيّة نيل الغفران للذات وللموتى، وذلك بحسب الترتيبات المعتادة في الكنيسة[٢٩٨]. تتضمّن ممارسة الغفرانات[٢٩٩] عقيدة استحقاقات المسيح اللامتناهية التي تمنحها الكنيسة وتُطبّقها، بصفتها خادمة الفداء، لكنّ هذه الممارسة تنطوي أيضًا على عقيدة شَرِكَة القدّيسين وتقول لنا: «إلى أَيّ حدّ نحن متّحدون حميميًّا في المسيح وبعضنا مع بعض، وإلى أَيّ حدّ تعود بالمنفعةِ على الآخَرين حياةُ كلِّ أَحدٍ الفائقةُ الطبيعة» [٣٠٠]. من هذا المنظار، تدعمنا قراءةُ كلامِ اللهِ في مسيرةِ التوبةِ والرجوعِ إلى الله، وتسمح لنا بتعميق معنى

---

[٢٩٧] رج الرسالة الختاميّة، رقم ٩.

[٢٩٨] « *Plenaria indulgentia* conceditur christifideli qui Sacram Scripturam, iuxta textum a competenti auctoritate adprobatum, cum veneratione divino eloquio debita et ad modum lectionis spritalis, per dimidiam saltem horam legerit; si per minus tempus id egerit *indulgentia* erit partialis»: Pénitencerie Apostolique, *Enchiridion Indulgentiarum* (16 juillet 1999), Alie concessiones, 30, § 1.

[٢٩٩] رج التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٤٧١-١٤٧٩.

[٣٠٠] بولس السادس، دستور الرسوليّ حول **عقيدة الغفرانات** (١ كانون الثاني ١٩٦٧): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٥٩ (١٩٦٧)، ١٨-١٩.

انتمائنا الكنسيّ، وتُساندنا في إلفة أكبر مع الله. وكما أكّد القدّيس أمبروسيوس: عندما نتناول بأيدينا الكتب المقدّسة بإيمان، ونقرأها مع الكنيسة، نسير من جديد مع الله في الفردوس[٣٠١].

كلمة الله والصلاة المريميّة

٨٨. إذ أذكّر بالرباط الذي لا ينفصم بين كلمة الله ومريم التي من الناصرة، أدعو، وبالاتّحاد مع آباء السينودس، إلى تعزيز الصلوات المريميّة بين المؤمنيّن، خاصّة في حياتهم العائليّة، لأنّ هذه الصلوات تُساعد على التأمّل في الأسرار المقدّسة التي يحكي عنها الكتاب المقدّس. هناك وسيلة نافعة جدًّا هي، على سبيل المثال، تلاوة فرديّة أو جماعيّة **لسُبْحة الورديّة المقدسّة**[٣٠٢]، التي تستعيد مع مريم أسرار حياة المسيح[٣٠٣]، والتي شاء البابا يوحنّا بولس الثاني أن يُغنيها بإضافة أسرار النور[٣٠٤]. من المناسب أن يترافق ذكرُ كلٍّ من هذه الأسرار بقراءة مقاطع قصيرة من الكتاب المقدّس تتعلّق بالسرّ المعلَن، لتسهيل حفظ بعض عبارات الكتاب المقدّس ذات المغزى، والتي على صلة بأسرار حياة المسيح.

فضلاً عن ذلك، أوصى السينودس بتشجيع تلاوة صلاة **التبشير الملائكيّ** (ملاك الربّ) بين المؤمنين. إنّها صلاة بسيطة وعميقة تسمح لنا، ونحن متّحدون بأمّ الله، أن «نصنع كلّ يوم ذكرى سرّ الكلمة المتجسّد»[٣٠٥]. من المناسب أن يكون شعب الله، العائلات والجماعات والأشخاص المكرّسون، أمناء لهذه الصلاة المريميّة التي يدعونا التقليد إلى تلاوتها فجرًا وظهرًا وعند المغيب. في صلاة **التبشير الملائكيّ**، نسأل الله، بشفاعة مريم، أن يُعطَى لنا أن نُتِمّ مثلها إرادة الله، وأن نلقى كلمتَه فينا. بإمكان هذه الممارسة أن تُساعدنا على أن نعمّق فينا محبّةً حقيقيّةً لسرّ التجسّد.

إنّ صلوات الشرق المسيحيّ القديمة التي تتأمّل في تاريخ الخلاص بمجمله على ضوء **التيوتوكوس**، أمّ الله، هي جديرة كذلك أن تُعرَف وتُقيَّم وتُستَعمَل بشكل واسع. نفكّر بشكل خاصّ بصلاة **الأكاثيستوس** وبصلاة **الباراكليزيس**. إنّها أناشيد مدائح تُرنَّم بشكل طلبات مُشبَعَة بالإيمان الكنسيّ وبالمراجع البيبليّة، وتساعد المؤمنين

---

[٣٠١] رج *Epistula* 49, 3: *PL* 16, 1204.

[٣٠٢] مجمع العبادة الإلهيّة ونظام الأسرار، **توجيه حول التقوى الشعبيّة والليتورجيّا، مبادىء وتوجيهات** (٩ نيسان ٢٠٠٢)، رقم ١٩٧-٢٠٢؛ *Ench. Vat.* 20, n. 2638-2643.

[٣٠٣] رج المقترح ٥٥.

[٣٠٤] رج يوحنّا بولس الثاني، رسالة رسوليّة، **المسبحة الورديّة لمريم العذراء** (١٦ تشرين الأوّل ٢٠٠٢): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٥ (٢٠٠٣)، ص ٥-٣٦.

[٣٠٥] رج المقترح ٥٥.

على التأمّل مع مريم في أَسرار المسيح. بشكل خاصّ، يُمثِّل النشيدُ المقدَّسُ الموجَّهُ إلى أُمّ الله، والمدعوّ **أكاثيستوس**، أَي الذي يُنشَد وقوفًا، أحد التعابير الأسمى في التقوى المريميّة في التقليد البيزنطيّ[٣٠٦]. عندما نُصلّي مُستخدِمين هذه الكلمات، ينشرح القلب، ويُضحي معدًّا للسلام الذي يأتي من العلى، من الله، لذلك السلام الذي هو المسيح بالذات، المولود من مريم لأَجل خلاصنا.

كلام الله والأَرض المقدّسة

٨٩. عندما نتذكّر كلمة الله الذي صار جسدًا في حشا مريم التي من الناصرة، يتوجّه قلبنا الآن نحو هذه الأَرض حيث تَحقّق سرُّ فدائنا، ومنها انتشرت كلمة الله حتّى أَقاصي الأَرض. في الواقع، بفِعل الروح القدس تجسّد الكلمة في وقت معيّن وفي مكان محدّد، على بقعة صغيرة من الأَرض عند أطراف الإمبراطوريّة الرومانيّة. لهذا السبب، كلّما رأينا شموليّة شخص المسيح وفرادته، كلّما نظرنا بعين الامتنان إلى هذه الأَرض حيث وُلد يسوع، وعاش، ووهب ذاته لأجلنا جميعًا. بالنسبة إِلينا، تبقى الحجارة التي سار عليها فادينا غنيّةً بالذكريات، وتبقى "تهتف" بالبشرى الجديدة. لهذا السبب، ذكّر آباء السينودس بالعبارة الرائعة التي تدلّ على الأَرض المقدّسة، ألا وهي «الإنجيل الخامس»[٣٠٧]. كم هو هامّ وجود جماعات مسيحيّة في هذه الأَراضي، بالرغم من الصعوبات العديدة! يعبّر سينودس الأساقفة عن قُربه الشديد من المسيحيّين كلّهم الذين يعيشون على أرض يسوع، ويشهدون لإيمانهم بالقائم من الموت. إنّ المسيحيّين هناك مدعوّون ليخدموا، ليس فقط كـ«منارة الإيمان للكنيسة الجامعة، بل أَيضًا كخميرة انسجام، وحكمة، وتوازن في حياة مجتمعٍ كان، تقليديًّا، ولا يزال الآن تعدّديًّا، متعدّد الأعراق والأديان»[٣٠٨].

فالأَراضي المقدّسة لا تزال أيضًا اليوم محجًّا للشعب المسيحيّ، مكان صلاة وتوبة، كما شهد قديمًا كتّابٌ مثل القدّيس إيرونيموس[٣٠٩]. كلّما وجّهنا نظَرنا وقلبنا نحو أُورشليم الأَرضيّة، كلّما اتَّقدّت فينا الرغبة في أُورشليم السماويّة، الهدف الحقيقيّ لكلّ حجّ، والرغبة في أن يعرف الجميعُ اسمَ يسوع، الذي فيه وحده الخلاص (رج أع ٤: ١٢).

---

[٣٠٦] مجمع العبادة الإلهيّة ونظام الأسرار، **توجيه حول التقوى الشعبيّة والليتورجيّا، مبادىء وتوجيهات** (٩ نيسان ٢٠٠٢)، رقم ٢٠٧؛ *Ench. Vat.* 20, n. 2656-2657.

[٣٠٧] رج المقترح ٥١.

[٣٠٨] بندكتوس السادس عشر، **عظة في القداس في وادي يوشافاط، أورشليم** (١٢ أيار ٢٠٠٩): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠١ (٢٠٠٩)، ص ٤٧٣، *L'ORf,* 19 mai 2009, p. 12.

[٣٠٩] رج *Epistula* 108, 14: *CSEL* 55, 324-325.

الجزء الثالث

الكلمة إلى العالم

« اللهَ ما رآه أَحدٌ قطّ؛

الابن الأحد الله، الكائن في حضن الآب،

هو هو خَبّرَ» (يو ١: ١٨)

رسالة الكنيسة:

إعلان كلمة الله للعالم

الكلمة من الآب وإلى الآب

٩٠. يشدّد القدّيس يوحنّا على المفارقة الأساسّية للإيمان المسيحيّ: من جهة أولى، يشدّد على أنّ «لا أَحد أَبدًا رأى الله» (يو ١: ١٨؛ ١ يو ٤: ١٢). ولا بأَيّ شكل تستطيع تصوّراتنا ومفاهيمنا أو كلماتنا أن تحدّد حقيقة الله العليّ اللامتناهيّ أَو تقيسها؛ **هو يبقى اللهَ الأَسمى أبدًا**. من جهة ثانية، يؤكّد يوحنّا أنّه في الحقيقة «الكلمة صار جسّدًا» (يو ١: ١٤). الابن الوحيد الكائن في حضن الآب، هو خبّر عن «الله الذي ما رآه أَحد

قطّ» (يو ١: ١٨). أَتى يسوع المسيح إِلينا «مملوءًا نعمةً وحقًّا» (يو ١: ١٤) قد أُعطيَا لنا على يده (يو ١: ١٧)؛ في الواقع، «من ملئه نلنا أجمعين، ونعمةً تِلْوَ نعمة» (يو ١: ١٦). هكذا، فالإنجيليّ يوحنّا، في مقدّمة إنجيله، يتأمّل في الكلمة، منذ سكناه في الله إلى تجسّده، وحتّى عودته إلى حضن الآب، حاملاً معه بشريّتنا التي اتّخذها إلى الأَبد. بخروجه من الآب وبعودته إليه (يو ١٣: ٣؛ ١٦: ٢٨؛ ١٧: ٨-١٠)، يبدو لنا وكأنّه "المخبر" عن الله (يو ١: ١٨). فالابن، في الواقع، كما يؤكّد القدّيس إيريناوس أُسقف ليون، «هو كاشف الآب»[٣١٠]. يسوع الناصريّ هو، إذا جاز التعبير، مؤَوِّل الآب الذي «ما رآه أَحد قطّ». «إنّه صورة الله غير المنظور (كول ١: ١٥). هنا تتحقّق نبوءة أشعيا بخصوص فعاليّة كلمة الربّ: كما المطر والثلج اللذان ينزلان من السماء ليسقيَا الأَرض ويخصباها، هكذا كلمة الله «لا ترجع إِليّ فارغة، بل تتمّ ما شئتُ وتنجح فيما أرسلتُها له» (أش ٥٥: ١٠ي). يسوع المسيح هو هذه الكلمة النهائيّة والفعّالة التي جاءت من الآب والتي عادت إِليه بعد أَن حقّقت تمامًا إِرادته في العالم.

تبشير العالم بـ "لوغوس" الرجاء

٩١. نقل «كلمةُ الله» إلينا الحياةَ الإلهيّةَ التي تُغيّر وجه الأَرض، جاعلةً كلّ شيء جديدًا (رج رؤ ٢١: ٥). إنّ كلمته لا تجعلنا «**قابلي الوحي**» الإلهيّ فحسب، بل مبشّرين به أَيضًا. هو الذي أرسله الآب ليعمل مشيئته (يو ٥: ٣٦-٣٨؛ ٦: ٣٨-٤٠؛ ٧: ١٦-١٨)، هو يجذبنا إِليه ويجعلنا في حياته ورسالته. هكذا يحوّل روحُ القائم من الموت حياتَنا للتبشير الفعّالَ بالكلمة في العالم كلّه. هذا هو اختبار الجماعة المسيحيّة الأُولى التي كانت ترى الكلمة تنتشر بفضل الوعظ والشهادة (رج أع ٦: ٧). أودّ هنا أَن أَستشهد خاصّة بحياة الرسول بولس، الرجل الذي امتلكه المسيح كلّيًّا (رج فل ٣: ١٢) - «أَنا أَحيا، لا أَنا بعدُ، بل يحيا المسيح فيّ» (غل ٢: ٢٠) — وفي رسالته: «الويل لي إن لم أُبشّر بالإِنجيل» (١ كو ٩: ١٦)؛ إِنّه واعٍ أنّ كلّ ما أُوحي في المسيح هو حقًّا الخلاص لكلّ الأُمم، والتحرير من عبوديّة الخطيئة للدخول في حرّيّة أَبناء الله.

في الواقع، إنّ ما تبشّر به الكنيسةُ العالمَ هو «**لوغوس الرجاء**» (رج ١ بط ٣: ١٥)؛ فالإنسان بحاجة إِلى "الرجاء الكبير" ليعيش حاضره، "الرجاء الكبير" الذي هو «الله الذي يمتلك وجهًا بشريًّا، والذي "أحبّنا إِلى الغاية" (يو ١٣: ١)»[٣١١]. لذلك، فالكنيسة هي إِرساليّة في جوهرها. لا نستطيع أَن نحتفظ لذواتنا بكلمات الحياة

---

[٣١٠] *Adversus haereses,* IV, XX, 20, 7: *SC* 100, pp. 646-7.

[٣١١] بندكتوس السادس عشر، الرسالة العامّة، **بالرجاء مخلَّصون** (٣٠ تشرين الثاني ٢٠٠٧)، رقم ٣١: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١٠١٠.

الأَبديّة، هذه الكلمات التي أُعطيت لنا بيسوع المسيح؛ إنّها موجَّهة إلى الجميع، إلى كلّ إنسان. كلّ إنسان في عصرنا، سواء عرف ذلك أم لم يعرف، هو بحاجة إلى هذه البشارة. فليحرّك الربُّ في البشر، كما في أَيّام النبيّ عاموص، جوعًا وعطشًا جديدَين إلى أقوال الربّ (رج عا ٨: ١١). إنّ مسؤوليّتنا هي أَن ننقل بدورنا ما تلقّيناه بالنعمة.

من كلمة الله تولَد رسالة الكنيسة

٩٢. شدّد سينودس الأَساقفة على ضرورة أن يُعطى دَفْعٌ جديد في الكنيسة للوعي الإرساليّ الموجود في شعب الله منذ بداياته. اعتبر المسيحيّون الأَوّلون أنّ التبشير الإرساليّ ضرورة منبثقة من طبيعة الإِيمان ذاتها؛ فلقد كانوا يؤمنون بإله هو إِله الجميع، الإِله الواحد والحقيقيّ الذي كشف عن ذاته في تاريخ إِسرائيل، وأَخيرًا معطيًا هكذا في ابنه الجواب الذي ينتظره كلّ الناس في قرارة نفوسهم. فالجماعات المسيحيّة الأُولى فهمت أنّ إِيمانها لم يكن يرتبط بتقليد ثقافيّ خاصّ – يتغيّر بتغيّر الشعوب – بل هو مرتبط بمجال الحقيقة الذي يخصّ كلّ الناس بالتساوي.

هو القدّيس بولس أَيضًا الذي ينوّرنا بحياته على معنى الرسالة المسيحيّة وشموليّتها الأصليّة. فلنعد بتفكيرنا إلى الحدث الذي جرى مع مار بولس، حسبما جاء في **كتاب أعمال الرسل**، على تلّة "الأريوباغس" الذي كان يجتمع على قمّته مجلس مدينة أثينا (رج أع ١٧: ١٦-٣٤). لقد دخل رسول الأُمم في حوار مع أُناس ينتمون إِلى ثقافات متعدّدة، وهو مدركٌ أنّ سرّ الله – المعروف والمجهول في آنٍ معًا – الذي يدركه كل إِنسان ولو بطريقة غامضة، قد كُشف حقًّا في التاريخ: «من تعبدون من دون أَن تعرفوه، هذا ما جئت أُبشّركم به» (أع ١٧: ٢٣). في الواقع، إنّ الجديد في البشارة المسيحيّة هو إِمكانيّة القول لكلّ الشعوب: «لقد ظهر هو شخصيًّا، والطريق الذي يوصل إِليه هو الآن مفتوح. فجِدّة البشارة المسيحيّة لا تكمن في فكرة، بل في واقع، ألا وهو أنّ الله قد أوحى ذاته»[٣١٢].

الكلمة وملكوت الله

٩٣. بالنتيجة، لا يمكن اعتبار رسالة الكنيسة كحقيقة اختياريّة أَو مُضافة إِلى حياة الكنيسة. المطلوب بالأحرى هو أَن ندع الروح القدس يجعلنا شبيهين للمسيح نفسه، من خلال اشتراكنا في رسالته نفسها: «كما أَرسلني أَبي، هكذا أُرسلكم أَنا أيضًا» (يو ٢٠: ٢١)، بحيث أن ننقل الكلمة بحياتنا كلّها؛ هي الكلمة ذاتها ترسلنا إِلى إِخوتنا؛ وهي الكلمة تنير وتطهّر وتهدي، وما نحن سوى خدّام.

---

[٣١٢] بندكتوس السادس عشر، **خطاب لرجال الثقافة في جامعة برناردين، باريس** (١٢ أيلول ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٨)، ص ٧٣٠.

من الضروريّ إذًا أن نكتشف أكثر فأكثر ومن جديد كم التبشير بالكلمة مُلِحٌّ وجميل، من أجل مجيء ملكوت الله الذي بشّر به المسيح بالذات. بهذا المعنى، فلنجدّد فينا الوعي –وكم كان هذا مألوفًا لدى آباء الكنيسة– أنّ مضمون التبشير بالكلمة هو ملكوت الله (رج مر ١: ١٤-١٥)، **والذي هو شخص المسيح بالذات (الأوتوباسيليا)**، كما يذكّرنا به، بحقٍّ، أُوريجانوس[٣١٣]. فالربّ يقدّم الخلاص لكلّ الناس في كلّ زمان. نفهم جميعنا كم هو ضروريّ أَن يضيء نور المسيح كلّ مجالات البشريّة، أي العائلة والمدرسة والثقافة والعمل والوقت الحرّ، والمجالات الأخرى للحياة الاجتماعيّة[٣١٤]. ليس المطلوب إعلان كلمة معزّية، بل كلمة قاطعة تدعو إلى التوبة، تجعل اللقاء بالله ممكنًا، فتزهر من خلال بشريّةٍ جديدة.

جميع المعمَّدين مسؤولون عن التبشير

٩٤. بما أَنّ كلّ شعب الله هو شعب «مرسَل»، فقد شدّد السينودس على أنّ «رسالة التبشير بكلمة الله هي واجب كلّ تلاميذ يسوع المسيح، كنتيجة لعمادهم»[٣١٥]. فلا أَحد من المؤمنين بالمسيح يستطيع أن يشعر أنّه غريب عن هذه المسؤوليّة الناتجة عن انتمائه الأَسراريّ إلى جسد المسيح. يجب إيقاظ هذا الوعي في كلّ عائلة ورعيّة وجماعة وحركة كنسيّة. فالكنيسة، كونها سرّ الشركة، هي إذًا بكلّيتها مُرسَلة، وكلّ واحد، بحسب حالته الحياتيّة، هو مدعوّ إلى يقدّم للتبشير المسيحيّ إسهامًا مقرَّرًا.

فالأساقفة والكهنة، إنطلاقًا من رسالتهم، هم مدعوّون قبل غيرهم إلى حياة مرتبطة بخدمة الكلمة، والتبشير بالإنجيل، والاحتفال بالأَسرار، وتنشئة المؤمنين على معرفة الكتاب المقدّس معرفةً حقيقيّة. **والشمامسة** هم أيضًا مدعوّون إلى أَن يسهموا، إنطلاقًا من الرسالة الخاصّة بهم، في واجب التبشير بالإنجيل.

---

٣١٣ رج *Translatio homiliarum Origenis in Lucam*, 36: *PL* 26, 324-325; S. Jérôme: *Hom in Lc* 36: PL 26,324; *In Evangelium secundum Mattheum* 17, 7: *PG* 13, 1197B.

٣١٤ رج بندكتوس السادس عشر، **عظة بمناسبة إفتتاحيّة الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة** (٥ تشرين الأوّل ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٨)، ص ٧٥٧: *La DC* n. 2411, p. 948.

٣١٥ المقترح ٣٨.

تسطع **الحياة المكرّسة،** في كلّ تاريخ الكنيسة، من خلال قدرتها على القيام صراحةً بمهمّة التبشير والوعظ بكلمة الله، في **الرسالة إلى الأُمم** وفي الاوضاع الأَشدّ صعوبة، مع الاستعداد للظروف الجديدة في التبشير بالإنجيل، وهي من أجل التبشيرِ الفعّالِ بكلمة الله، تمشي بشجاعة وجرأة طرقًا جديدة وتحدّيات جديدة[٣١٦].

والعلمانيّون مدعوّون إلى ممارسة رسالتهم النبويّة الناجمة مباشرةً عن عمادهم، وإلى الشهادة للإنجيل في الحياة اليوميّة حيثما وُجدوا. في هذا الصدد، عبّر آباء السينودس عن «التقدير العميق والعرفان بالجميل والتشجيع لخدمة التبشير بالإنجيل التي يؤدّيها بسخاء وروح التزام عدد كبير من العلمانيّين، وبخاصّة النساء، وسط الجماعات المنتشرة في العالم، على مثال مريم المجدليّة، الشاهد الأَوّل للفرح الفصحيّ»[٣١٧]. علاوة على ذلك، يعترف السينودس بامتنان أنّ الحركات الكنسيّة والجماعات الجديدة هي في الكنيسة قوّة كبرى للتبشير بالإنجيل في عصرنا، تدفع الكنيسة إلى تطوير أَشكال حديثة للتبشير بالإنجيل[٣١٨].

ضرورة «الرسالة إلى الأُمم»

٩٥. حثّ آباء السينودس جميع المؤمنين على التبشير بكلمة الله، مؤكّدين مجدّدًا على ضرورة الالتزام الجدّيّ بـ«الرسالة إلى الأُمم» في زمننا. لا تستطيع الكنيسة بأيّ شكلٍ أن تكتفي برعويّة «الصيانة» لصالح مَن باتوا يعرفون إنجيل المسيح. إنّ الاندفاع الإرساليّ هو علامة واضحة لنضوج جماعة كنسيّة. علاوة على ذلك، عبّرالآباء بقوّة عن وعيهم أنّ كلمة الله هي الحقيقة الخلاصيّة التي يحتاج إليها كلّ إنسان في كلّ زمان. لذلك يجب أَن يكون التبشير صريحًا. على الكنيسة أَن تتوجّه نحو الجميع بقوّة الروح (رج ١ كو ٢: ٥)، وأَن تستمرّ بطريقة نبويّة في الدفاع عن حقّ الأَشخاص في حرّيّة سماع كلمة الله، مع البحث عن الوسائل الأَكثر فعاليّة لإعلانها، حتّى ولو كان هناك خطرُ اضطهاد[٣١٩]. وتشعر الكنيسة بأنّها مَدينة للجميع بما يخصّ التبشير بالكلمة التي تخلّص (رج رو ١: ١٤).

التبشير والأَنجلة الجديدة

---

[٣١٦] رج مجمع معاهد الحياة المكرّسة ومؤسّسات الحياة الرسوليّة، **إلتزام متجدّد للحياة المكرّسة للألفيّة الثالثة،** رقم ٣٦:-*Ench. Vat.* 21, n. 488 491.

[٣١٧] المقترح ٣٠.

[٣١٨] رج المقترح ٣٨.

[٣١٩] رج المقترح ٤٩.

٩٦. إنّ البابا يوحنّا بولس الثاني، في خطّ ما كان البابا بولس السادس قد عبّر عنه في الإرشاد الرسوليّ **وجوب التبشير بالإنجيل**، قد ذكّر المؤمنين في طرق عديدة بضرورة أن يكون هناك موسم إرساليّ جديد لكلّ شعب الله[٣٢٠]. في فجر الألف الثالث، ليس فقط أنّ شعوبًا كثيرة لم تعرف بعدُ البشرى السارّة، بل هناك كثيرٌ من المسيحيّين أنفسهم بحاجة إلى أن يُبشَّروا من جديد بكلمة الله بطريقة مقنعة، لكي يستطيعوا أن يختبروا بطريقة ملموسة قوّة الإنجيل. كثيرون هم الإخوة الذين قبلوا العماد، لكنّهم لم يتأنجلوا ما فيه الكفاية[٣٢١]. هناك أممٌ كانت سابقًا غنيّة بالإيمان وبالدعوات، أضاعت في الغالب هويّتها الخاصّة بتأثير حضارة معلمَنة[٣٢٢]. إنّ وجوب أنجلةٍ جديدةٍ أحسّ بها، وبقوّة كبيرة، سلفي المكرَّم، يجب أن تتثبّت من جديد، ومن دون خوف، في يقينِ فعاليّةِ الكلمة الإلهيّة. والكنيسة المتأكدة من أمانة ربّها، لا تتعب من نشر البشرى الجديدة للإنجيل، وهي تدعو جميع المسيحيّين إلى أن يكتشفوا من جديد سحر اتّباع المسيح.

كلمة الله والشهادة المسيحيّة

٩٧. تتطلّب الآفاق الشاسعة لرسالة الكنيسة، وتعقيد الوضع الحاضر، أنماطًا جديدة لإيصال كلمة الله بطريقة فعّالة. إنّ الروح القدس، الفاعل الأوّل في كلّ أنجلة، لن يتقاعس أبدًا عن أن يقود كنيسة المسيح في هذا العمل. ومع ذلك، فمن الأهمّيّة بمكان أن توفّر العلاقةُ الداخليّةُ **بين إيصال كلمة الله وبين الشهادة المسيحيّة** بنيةً لكلّ شكل من أشكال التبشير. على ذلك تعتمد مصداقيّةُ التبشير بالذات. من جهة أولى، إن كانت الكلمة ضروريّة لنقل ما قاله لنا الربّ نفسه، فمن جهة أخرى، لا بدّ من إعطاء مصداقيّة لهذه الكلمة من خلال الشهادة، خشية أن تبدو وكأنّها فلسفة جميلة أو خيال، بل كواقع يمكن أن نعيشه وأن يُحيينا. يذكّرنا هذا التبادل بين الكلمة والشهادة بالطريقة التي بها أعطانا الله ذاته في تجسّد كلمته. تصل كلمةُ الله إلى البشرَ «من خلال لقاء بشهود يجعلونها حاضرة وحيّة»[٣٢٣]. وتحتاج الأجيال الجديدة، بنوع خاصّ، إلى التنشئة على كلمة الله «من خلال لقاء البالغين وشهادتهم الأصيلة، وتأثير الأصدقاء الإيجابيّ، والرفقة العظيمة للجماعة الكنسيّة»[٣٢٤].

---

[٣٢٠] رج يوحنّا بولس الثاني، الرسالة العامّة، **رسالة الفادي** (٧ كانون الأوّل ١٩٩٠): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٣ (١٩٩١)، ص ١٤٩-٣٤٠؛ الرسالة العامّة، **إطلالة الألفيّة الجديدة** (٦ كانون الثاني ٢٠٠١)، رقم ٤٠: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٣ (٢٠٠١).

[٣٢١] المقترح ٣٨.

[٣٢٢] رج بندكتوس السادس عشر، **عظة بمناسبة افتتاح الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة** (٥ تشرين الأوّل ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٨)، ص ٧٥٣-٧٥٧؛ *L'ORf*, 7 octobre 2008, pp. 1 et 9.

[٣٢٣] المقترح ٣٨.

[٣٢٤] الرسالة الختاميّة، ١٢.

هناك علاقة حميمة بين شهادة الكتاب المقدّس كإفادةٍ تعطيها كلمة الله عن ذاتها، وشهادة حياة المؤمنين. فالواحدة تؤدّي إلى الأُخرى وتقود إليها. تنقل الشهادةُ المسيحيّةُ الكلمةَ التي تفيدد عنها الكتب المقدّسة. وتشرح هذه الكتب بدورها الشهادةَ التي يُدعَى المسيحيّون إلى أن يعطوها في حياتهم الخاصّة. إنّ الذين يلتقون شهودًا للإنجيل أَهلاً للتصديق، يتثبّتون هكذا من فعاليّةَ كلمةِ الله في الذين يقبلونها.

٩٨. في هذا الذهاب والإياب بين الشهادة والكلمة، نفهم تأكيد البابا بولس السادس في الإرشاد الرسوليّ **ضرورة التبشير بالإنجيل**. لا تقتصر مسؤوليتنا على اقتراح قيم مشتركة مع العالَم؛ ينغي الوصول إلى التبشير الصريح بكلمة الله. هكذا فقط نصبح أُمناء على رسالة المسيح: «يجب أن يُكرَزَ، عاجلاً أَم آجلاً، بالبشرى السارّة، المعلَنة عبرَ شهادة الحياة. لا أَنجلة حقيقيّة ما لم يُبشَّر باسم يسوع الناصريّ، ابن الله، وبتعاليمه، وحياته، ووعوده، وملْكه، وسرّه»[٣٢٥].

أَن يكون التبشير بكلمة الله متطلّبًا شهادة الحياة الشخصيّة، فذلك أمرٌ حاضرٌ في الضمير المسيحيّ منذ البدء. فالمسيح ذاته هو الشاهد الأَمين والحقيقيّ (رج رؤ ١: ٥؛ ٣: ١٤)، الشاهد للحقيقة (يو ١٨: ٣٧). أُودّ هنا أَن أَكون الناطق باسم الشهادات التي لا تُحصَى، والتي نعمنا بسماعها في جمعيّة السينودس. لقد تأَثّرنا بعمق بأَخبار الذين عرفوا أن يعيشوا إيمانهم، وأَن يعطوا شهادة ساطعة للإنجيل، حتّى تحت أَنظمة معادية للمسيحيّة، أَو في حالات اضطهاد.

يجب ألاّ يخيفنا كلّ هذا؛ فيسوع ذاته قال لتلاميذه: «ليس الخادم أَكبر من معلّمه. إذا كانوا قد اضطهدوني فسوف يضطهدونكم أَنتم أيضًا» (يو ١٥: ٢٠). أُرغب إذن في أَن أَرفع إلى الله، مع كلّ الكنيسة، نشيد مدح لأجل شهادة عدد كبير من الإخوة والأَخوات الذين، حتّى في عصرنا، أَعطوا حياتهم لكي ينقلوا حقيقة حبّ الله الموحاة في المسيح المصلوب والقائم من الموت. كما أعبّر أيضًا عن امتنان الكنيسة جمعاء للمسيحيّين الذين لم يستسلموا أمام الصعوبات والاضطهادات بسبب الإنجيل. في الوقت عينه، نتوجّه بعاطفة عميقة ومتضامنة نحو مؤمني كلّ هذه الجماعات المسيحيّة، خاصّة في آسيا وأفريقيا، الذين يخاطرون اليوم بحياتهم، أَو يتعرّضون للتهميش الاِجتماعيّ بسبب الإيمان. وهكذا نرى أنّ روح تطويبات الإنجيل يتحقّق بالنسبة إلى الذين يُضطهَدون بسبب

[٣٢٥] بولس السادس، الإرشاد الرسوليّ، **إعلان الإنجيل** (٨ كانون الأوّل ١٩٧٥)، رقم ٢٢: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٦٨ (١٩٧٦)، ص ٢٠.

الربّ يسوع (رج مت ٥: ١١). وفي الوقت عينه، لا نبرح نرفع صوتنا لكي يضمن حكّامُ الأمم حرّيّةَ الضمير والدين للجميع، كما أيضًا الحرّيّة للتمكّن من الشهادة علنًا للإيمان الخاصّ[٣٢٦].

كلمة الله والالتزام في العالم

خدمة يسوع في «الصغار الذين هم إخوته» (رج مت ٢٥: ٤٠)

٩٩. تنير كلمة الله الوجود البشريّ، وتدعو ضميرَ كلّ إنسانٍ إلى أَن يرى في العمق حياته من جديد، لأنّ تاريخ البشريّة كلّه يخضع لحكم الله: «عندما يأتي ابن الإنسان في مجده، وكلّ الملائكة معه، عندئذ يجلس على عرش مجده، وتجتمع كلّ الشعوب أمامه» (مت ٢٥: ٣١-٣٢). في عصرنا هذا، غالبًا ما نعتبر، بطريقة سطحيّة، قيمة اللحظة التي تمرّ، وكأنّها بدون أهمّيّة بالنسبة إلى المستقبل. على العكس من ذلك، يذكّرنا الإنجيل أنّ كلّ لحظة في حياتنا هي مهمّة ويجب أَن نعيشها بعمقها، عالمين أنّ كلّ واحد ملزَمٌ بأَن يؤدّي حسابًا عن حياته. في الفصل الخامس والعشرين من إنجيل متّى، يدين ابنُ الإنسان على ما عملناه أَو لم نعمله لأَحد «هؤلاء الصغار الذين هم إخوتي» (مت ٢٥: ٤٠، ٤٥)، وكأنّنا عملناه أَو لم نعمله له: «كنت جائعًا فأَطعمتموني، كنت عطشانًا فسقيتموني، كنت غريبًا فآويتموني، كنت عريانًا فكسوتموني، كنت مريضًا فزرتموني، كنت مسجونًا فأتيتم إليّ» (مت ٢٥: ٣٥-٣٦). إذن هي كلمة الله بالذات التي تذكّرنا بضرورة التزامنا في العالم، ومسؤوليّتنا تجاه المسيح سيّد التاريخ. عندما نبشّر بالإنجيل، فليُشجّع بعضُنا بعضًا على تحقيق الخير، وعلى العمل من أجل العدالة والمصالحة والسلام.

كلمة الله والالتزام في المجتمع في سبيل العدالة

١٠٠. تدفع كلمةُ الله الإنسانَ إلى علاقات تنعشها الاستقامة والعدالة؛ هي تشهد أَمام الله لقيمة كلّ جهود الإنسان الثمينة من أجل أن يجعل العالمَ أكثر عدالة وقبولاً للسكن فيه[٣٢٧]. إنّ كلمة الله بالذات هي التي تندّد دونَ لبسٍ بالمظالم، وتعزّز التضامن والمساواة[٣٢٨]. على نور أقوال الربّ، فلنتعرّف إذن إلى «علامات الأَزمنة» الحاضرة في التاريخ، ولا نرفضنّ أن نكون ذوي التزام لصالح الذين يتألّمون وهم ضحايا الأَنانيّة. لقد ذكّر السينودس بأنّ الالتزام في سبيل العدالة وتجديد العالم هو واجب مكوِّن للأَنجلة. كما كان يقول البابا بولس

---

[٣٢٦] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، بيان حول الحرّيّة الدينيّة، **الكرامة البشريّة**، الأرقام ٢. ٧.

[٣٢٧] رج المقترح ٣٩.

[٣٢٨] رج بندكتوس السادس عشر، **رسالة لليوم العالميّ للسلام ٢٠٠٩**؛ *L'ORf*, 16 décembre 2008, pp. 3-4.

السادس، «المطلوب هو أَن نبلغ، وكما لو كنّا نقلب، بقوّة الإنجيل، معاييرَ الحكم، والقيمَ الحاسمة، ونقاطَ المنفعة، وخطوطَ التفكير، والينابيعَ الملهِمَة، ونماذجَ عيشِ البشريّة، التي تتعارض مع كلمة الله ومع قصده الخلاصيّ»[٣٢٩].

في هذا السبيل، فكّر آباء السينودس بطريقة خاصّة في الذين التزموا بالحياة السياسيّة والاجتماعيّة. فيجب على الأَنجلة ونشر كلمة الله أن يُلهمَا عملَهم في العالم الرامي إلى البحث عن الخير الحقيقيّ للجميع، وذلك من خلال احترام كرامة جميع الأَشخاص وتعزيزها. بالطبع، ليست رسالة الكنيسة المباشرة خلق مجتمع أَكثر عدالة، وإن عاد إليها الحقّ والواجب في التدّخل في المسائل الأَخلاقيّة والأَدبيّة المتعلّقة بخير الأَشخاص والشعوب. فإنّ للعلمانيّين المؤمنين، بصورة خاصّة، المنشَّأين في مدرسة الإنجيل، مهمّة التدخّل مباشرة في العمل الاجتماعيّ والسياسيّ. لذا فالسينودس يوصي بتعزيز تنشئة مناسبة حسب مبادئ العقيدة الإجتماعيّة الكنسيّة[٣٣٠].

١٠١. إضافةً إلى ذلك، إنّني أرغب في أن أسترعي انتباه الجميع من جديد إلى أهمّيّة الدفاع عن **الحقوق الإنسانيّة لكلّ الأشخاص** وتعزيزها، تلك الحقوق المرساةِ على الشريعة الطبيعيّة المطبوعة في قلب الإنسان، والتي، بكونها هكذا، هي «شاملة، لا تُنتَهَك، وغير قابلة للتصرف بها »[٣٣١]. تتمنّى الكنيسة، من خلال التأكيد على هذه الحقوق، أن يتمّ الاعتراف بالكرامة البشريّة، وأن تُعزَّز بالإجماع بطريقة أكثر فاعليّة [٣٣٢]، وكميزةٍ طبعها اللهُ الخالقُ في خليقته التي أَخذها يسوع المسيح على عاتقه، وافتداها بتجسّده وموته وقيامته. لذلك لا يمكن نشْرُ كلمة الله إلاّ أَن يقوّي التأكيد على الحقوق الإنسانيّة لكلّ الأشخاص واحترامها[٣٣٣].

التبشير بكلمة الله، والمصالحة والسلام بين الشعوب

١٠٢. بين العديد من مواطن الالتزام، أوصى السينودس مشدِّدًا بتعزيز المصالحة والسلام. في السياق الحالي، هو ضروريّ أَكثر من أَيّ وقت مضى أن نكتشف كلمة الله من جديد كينبوع مصالحة وسلام، إذ بها يصالح الله كلّ شيء فيه (رج ٢ كو ٥: ١٨-٢٠؛ أف ١: ١٠): المسيح «هو سلامنا» (أف ٢: ١٤)، هو الذي يهدم جدران الفصْل. في السينودس، ذكرت عدّة شهادات النزاعاتِ الخطيرةَ والدمويّةَ والتوتّرات القائمة على كوكبنا.

---

[٣٢٩] الإرشاد الرسوليّ، **إعلان الإنجيل** (٨ كانون الأوّل ١٩٧٥)، رقم ١٩: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٦٨ (١٩٧٦)، ص ١٨.

[٣٣٠] رج المقترح ٣٩.

[٣٣١] يوحنّا الثالث والعشرون، الرسالة العامّة، **السلام في الأرض** (١١ نيسان ١٩٦٣)، رقم ١: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٥٥ (١٩٦٣)، ص ٢٥٩.

[٣٣٢] رج يوحنّا بولس الثاني، الرسالة العامّة، **السَّنة المِئَة** (١ أيّار ١٩٩١)، رقم ٤٧: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٣ (١٩٩١)، ص ٨٥١-٨٥٢؛ المؤلّف ذاته، **خطاب في الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة** (٢ تشرين الأوّل)، رقم ١٣: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٧١ (١٩٧٩)، ص ١١٥٢-١١٥٣.

[٣٣٣] رج خلاصة العقيدة الاجتماعيّة للكنيسة، الأرقام ١٥٢-١٥٩.

أحيانًا تظهر هذه العداوات تحت شكل نزاع بين الأَديان. مرّة أُخرى، أودّ أَن أُعيد القول إنّ الدين لا يستطيع أَبدًا أن يبرّر التعصّبَ أَو الحروب. لا يمكن استعمال العنف باسم الله[٣٣٤]. على كلّ الأَديان أن تحثّ على استعمال سليم للعقل، وتعزّز القيم الأَخلاقيّة التي تبني التعايش المدنيّ.

على الكاثوليك وعلى كلّ الناس ذوي الإرادة الحسنة، الأمناء لعمل المصالحة الذي حقّقه اللهُ بيسوع المسيح المصلوب والقائم من الموت، أن يلتزموا بأن يكونوا قدوة في المصالحة من أجل بناء مجتمع عادل وسالم[٣٣٥]. يجب ألاّ ننسى أَبدًا أنّه، «حيثما تصبح الكلمات البشريّة عاجزة، إذ يسود ضجيجُ العنفِ والسلاحِ المأساويُّ، هناك تكون كلمة الله النبويّة حاضرة، وتكرّر لنا أنّ السلام ممكن، وأنّه يجب أَن نكون أدوات مصالحة وسلام»[٣٣٦].

كلمة الله والمحبّة الفاعلة

١٠٣. يجد الإلتزام لأَجل العدالة والمصالحة والسلام جذرَه النهائيَّ واكتمالَه في المحبّة التي كُشِفَتْ لنا في المسيح. عندما سمعنا الشهادات التي قُدِّمَت في السينودس، أصبحنا أَشدّ انتباهًا إِلى الرباط القائم بين الإصغاء الخيِّر لكلمة الله، وبين خدمة الإخوة المجّانيّة. على كلّ المؤمنين أَن يفهموا ضرورة «ترجمة الكلمة التي يُصغى إِليها بأَفعال محبّة، إِذ هكذا فقط يصبح التبشير بالإِنجيل قابلاً للتصديق، بالرغم من سرعة العطب البشريّ الذي يطبع الإِنسان»[٣٣٧]. لقد مرَّ يسوع في هذه الأَرض وهو يعمل الخير (رج أع ١٠: ٣٨). فكلمة الله المسموعة في الكنيسة بجهوزيّة توقظ «المحبّة والعدالة نحو الجميع، وخاصّة نحو الفقراء»[٣٣٨]. يجب أَلاّ ننسى أَبدًا أنّ «المحبّة – **كاريتاس**– ستكون دائمًا ضروريّة، حتّى في المجتمعات الأكثر عدلاً [...]. مَن أَراد أَن يتحرّر من الحبّ يُعِدّ ذاته للتحرّر من الإنسان بصفته إِنسانًا»[٣٣٩]. فأَنا أُشجّع كلّ المؤمنين على التأمّل بشكل متواتر بنشيد المحبّة، الذي كتبه القدّيس بولس، وأَن يُفسح له المجالَ لأن يُلهمه: «المحبّة تتأنّى، المحبّة تَرفق، المحبّة لا تحسد، ولا تتباهى، ولا

---

٣٣٤ بندكتوس السادس عشر، **رسالة للاحتفال باليوم العالميّ للسلام**. ٢٠٠٧: *L'ORf,* 19-26 décembre 2006, p. 3.

٣٣٥ رج المقترح ٨.

٣٣٦ بندكتوس السادس عشر، **عظة ختام أسبوع الصلاة من أجل وحدة المسيحيّين في بازيليك القدّيس بولس خارج الأسوار** (٢٥ كانون الأوّل ٢٠٠٩): *L'ORf,* 27 janvier 2009, p. 24.

٣٣٧ المؤلّف ذاته، **عظة بمناسبة ختام الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة** (٢٦ تشرين الأوّل ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٨)، ص ٧٧٠؛ *L'ORf,* 28 octobre 2008, p. 3.

٣٣٨ المقترح ١١.

٣٣٩ بندكتوس السادس عشر، الرسالة العامّة، **الله محبّة** (٢٥ كانون الأوّل ٢٠٠٥)، رقم ٢٨: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٨ (٢٠٠٦)، ص ٢٤٠.

تنتفخ؛ لا تسيء، ولا تسعى إلى ما، لا تحتدّ، لا تظنّ السوء؛ لا تفرح بالظلم بل بالحقّ تفرح؛ تستر كلّ شيء، وتصدّق كلّ شيء، وترجو كلّ شيء، وتصبر على كلّ شيء. المحبّة لا تسقط أبدًا» (١ كو ١٣: ٤-٨).

إذًا فمحبّة القريب، المتجذّرة في محبّة الله، يجب أن ترانا دائمًا ملتزمين كأشخاص وكجماعة كنسيّة، محليّة وعالميّة. يؤكّد القدّيس أغوستينوس: «إنّه أساسيّ أن نفهم أنّ ملء الشريعة، كما ملء الكتب الإلهيّة كلّها، هو المحبّة [...]. بالنتيجة، فالذين يظنّون أنّهم فهموا الكتب المقدّسة، أو أقلّه جزءًا منها، دون أن يلتزموا، من خلال ذكائهم، ببناء المحبّة المزدوجة لله وللقريب، يبرهنون أنّهم لم يفهموها بعد»[٣٤٠].

التبشير بكلمة الله والشباب

١٠٤. أعارَ السينودس انتباهًا خاصًّا لتبشيرَ الأجيال الجديدة بالكلمة الإلهيّه. فالشباب هم منذ الآن أعضاء فاعلون في الكنيسة، ويمثّلون مستقبلها. وغالبًا ما نجد لديهم انفتاحًا عفويًّا على الإصغاء إلى كلمة الله، **ورغبة صادقة في معرفة يسوع**. في الواقع، تظهر في مرحلة الفتوّة، بنوع يتعذّر كَبْحُه وصادق، **الأسئلة** حول معنى الحياة الشخصيّة، وحول التوجّه الذي يجب إعطاؤه للحياة الخاصّة. وحده الله يعرف أن يأتي بجوابٍ حقيقيّ على هذه الأسئلة. يحتوي هذا الانتباه لعالم الشباب شجاعة لتبشير واضح؛ علينا أن نساعد الشباب على اكتساب حميميّةٍ وإلفةٍ مع الكتاب المقدّس، ليكون بوصلةً تدلّهم على الطريق التي يجب اتّباعها[٣٤١]. لذا، فَهُم بحاجة إلى شهود ومعلّمين يسيرون معهم، وينشّئونهم على محبّة الإنجيل وعلى نقله بدورهم إلى شباب جيلهم بصورة خاصّة، فيصبحون هكذا هم أنفسهم مبشّرين أصيلين وأهلاً للتصديق[٣٤٢].

يجب أن تُقدَّم الكلمة الإلهيّة أيضًا بمضامينها المرتبطة بالدعوة، لكي تساعد الشباب وتوجّههم في خياراتهم الحياتيّة، بما في ذلك في التكرّس الكامل[٣٤٣]. هناك دعوات أصيلة للحياة المكرّسة وللكهنوت تجد تربة ملائمة في التواصل المنتظم مع كلمة الله. إنّي أُكرّر اليوم أيضًا الدعوة، التي أطلقتُها في بدء حبريّتي، إلى فتح الأبواب للمسيح: «مَن أدخلَ المسيح لا يخسر شيئًا، لا شيء مطلقًا، ممّا يجعل الحياة حرّة وجميلة وعظيمة. كلاّ! في هذه الصداقة فقط تنفتح أبواب الحياة واسعةً. في هذه الصداقة فقط، تتحرّر حقًّا قدرات الوضع البشريّ الكبرى [...]. أعزّائي

---

[٣٤٠] *De doctrina christiana,* I, XXXVI, 40: *PL* 34, 34.

[٣٤١] رج بندكتوس السادس عشر، **رسالة لليوم العالميّ للشباب الحادي والعشرين ٢٠٠٦: أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٨ (٢٠٠٦)، ص ٢٨٢-٢٨٦؛ *La DC* n. 2355, pp. 307-309.

[٣٤٢] رج المقترح ٣٤.

[٣٤٣] رج المرجع ذاته.

الشباب، لا تخافوا من المسيح! هو لا يخطف شيئًا، بل يعطي كلّ شيء. من سلّمه ذاته يلقى عوض الواحد مئة. نعم، شرّعوا، شرّعوا الأبواب واسعةً للمسيح، فتجدوا الحياة الحقّة»[٣٤٤].

التبشير بكلمة الله والمهاجرون

١٠٥. تحملنا كلمة الله على الانتباه للتاريخ ولكلّ ما يولد فيه من جديد. لذا، بما يخصّ رسالة الأنجلة في الكنيسة، أَراد السينودس أيضًا أن يركّز انتباهه على الظاهرة المعقّدة لحركات الهجرة التي أَخذت في هذه السنوات الأَخيرة أَحجامًا لا توصف. تبرز هنا أَسئلة دقيقة جدًّا حول **أَمن** البلدان، **والاستقبال** المؤمَّن للذين يبحثون عن مأوى، وعن شروط أَفضل للحياة، والصحّة، والعمل. أَشخاصٌ عديدون لا يعرفون المسيح، أو لديهم صورة خاطئة عنه، ينزلون في بلدان ذات تقليد مسيحيّ. في الوقت عينه، هناك أَشخاص ينتمون إِلى شعوب مُشْبعة بشكلٍ عميقٍ من الإِيمان المسيحيّ، يهاجرون إِلى بلدان حيث التبشير بالمسيح والأَنجلة الجديدة هما ضروريّان. تقدّم هذه الأَوضاعُ إِمكانيّاتٍ جديدةً لأجل نشر كلمة الله. بهذا الصدد أَكّد آباء السينودس على أَنّ للمهاجرين الحقَّ في سماع الكرازة المعروضة عليهم لا المفروضة. وإِن كانوا مسيحيّين، فَهُم بحاجة إِلى مساعدة رعويّة ملائمة لتقوية إِيمانهم، وليكونوا بدورهم حاملي البشارة الإِنجيليّة. فمن الضروريّ أن تقوم كلّ الأَبرشيّات المعنيّة، والتي تعي تعقيد هذه الظاهرة، بعمليّة تعبئة كي تُعتَبَر حركاتُ الهجرةِ أيضًا كفرصةٍ لاكتشاف أشكال جديدة للوجود والتبشير. وبحسب إِمكانيّاتها، يجب أَن توفّر أيضًا تنشيطًا واستقبالاً مكيَّفَين لهؤلاء الإِخوة، حتّى إِذا مسّتهم البشرى السارّة، يصبحون هم أنفسهم سُعاةً لكلمة الله، وشهودًا ليسوع القائم من الموت، والذي هو رجاءِ العالم[٣٤٥].

التبشير بكلمة الله والأَشخاص المتألّمون

١٠٦. أَثناء أَعمال السينودس، غالبًا ما تركّز انتباه الآباء على ضرورة أن يتمّ التبشيرُ بكلمة الله لكلِّ الذين هم في حالة أَلم جسديّ أَو نفسيّ أَو روحيّ. في الواقع، عندما يعرف الإِنسان الأَلم، تولد في قلبه، وبطريقة أكثر حدّة، **الأَسئلة الأخيرة حول معنى حياته الخاصّة**. إِذا بَدَتْ كلمةُ الإِنسان بكماء أَمام سرّ الشرّ والأَلم، وإِن كان مجتمعنا يبدو أنّه لا يعطي قيمة للوجود إِلاّ إِذا توافقت مع مستويات معيّنة من الفعاليّة والرفاهيّة، حينئذ تكشف لنا "الكلمة" أَنّ هذه الظروف هي «محاطة»، وبطريقة خفيّة أيضًا، برحمة الله. يساعدنا الإِيمان، الذي يولد من اللقاء بالكلمة الإِلهيّة، على أن ندرك أنّ **الحياة البشريّة جديرة بأَن تُعاش بالتمام، حتّى عندما تضعف بسبب المرض**

---

[٣٤٤] بندكتوس السادس عشر، **عظة قدّاس بدء حبريّته** (٢٤ نيسان ٢٠٠٥): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٧ (٢٠٠٥)، ص ٧١٢؛ *La DC* n. 2337, p. 549.

[٣٤٥] رج المقترح ٣٨.

والألم. لقد خلق اللهُ الإنسانَ للسعادة والحياة، بينما المرض والموت دخلاَ إلى العالم كنتيجة للخطيئة (حك ٢: ٢٣-٢٤). لكنّ "أبا الحياة" هو طبيب الإنسان بامتياز، وهو لا يبرح يحنو بعطف على الإنسانيّة المتألّمة. إنّنا نتأمّل في ذروة قُرْبِ الله من آلام الإنسان بيسوع بالذات الذي هو «الكلمة المتجسّد. لقد تألّم معنا ومات. بآلامه وموته أَخذ على عاتقه ضعفنا، وحوّله كلّيًّا»[٣٤٦].

إنّ قُرْبَ يسوع من الذين يتألّمون لم ينقطع؛ فهو يمتدّ في الزمن بفضل عمل الروح القدس في رسالة الكنيسة، وفي الكلمة والأَسرار، وفي ذوي الإرادة الحسنة، وفي المبادرات الخيريّة التي تضطلع بها، وبمحبّة أَخويّة، جماعاتٌ تكشف هكذا عن وجه الإله الحقيقيّ وعن محبّته. يشكر السينودسُ اللهَ على الشهادة النيّرة وغالبًا الخفيّة، شهادة العديد من المسيحيّين، من كهنة ورهبان وعلمانيّين، وضعوا وما زالوا أيديهم وعيونهم وقلوبهم بتصرّف المسيح، الطبيب الحقيقيّ للأَجساد والنفوس. كما أنّه يحثّ على متابعة الاهتمام بالمرضى، من خلال حَمْلِ حضور الربّ يسوع المحيي إليهم، في الكلمة وفي الإفخارستيّا. فَلْيُساعَدوا على قراءة الكتاب المقدّس، وعلى أن يكتشفوا أنّهم، في حالتهم، يستطيعون الاشتراك، بطريقة خاصّة، في آلام المسيح الفدائيّة لأَجل خلاص العالم (رج ٢ قو ٤: ٨-١١، ١٤)![٣٤٧]

التبشير بكلمة الله والفقراء

١٠٧. يكشف لنا الكتاب المقدّس عن محبّة الله الخاصّة للفقراء والمحتاجين (رج مت ٢٥: ٣١-٤٦). وغالبًا ما ذكّر آباء السينودس بضرورة أَن يكون التبشير بالإنجيل والتزام الرعاة والجماعات موجَّهَين إلى هؤلاء الإخوة. في الواقع، إنّ «أَوّل من له حقّ في أن يُبَشَّر بالإنجيل هم الفقراء الذين يحتاجون، ليس فقط إلى الخبز، بل أيضًا إلى كلمة الحياة»[٣٤٨]. فعلى خدمة المحبّة، التي يجب أَلاّ تنقص أَبدًا في كنائسنا، أَن تكون دومًا متّحدة مع التبشير بالكلمة، ومع الاحتفال بالأَسرار المقدّسة[٣٤٩]. وفي الوقت عينه، يجب أَن نُقرّ ونقدّر أنّ الفقراء بالذات هم أيضًا أدوات التبشير بالإنجيل. في الكتاب المقدّس، إنّ الفقير الحقيقيّ هو الذي يسلّم ذاته كلّيًّا لله؛ ويدعو المسيحُ نفسُه، في الإنجيل، **طوباويّين** مَن «يعود لهم ملكوت السماوات» (مت ٥: ٣؛ رج **لو** ٦: ٢٠). ويعظّم الربُّ

---

[٣٤٦] رج بندكتوس السادس عشر، **عظة بمناسبة اليوم العالميّ السابع عشر للمريض** (١١ شباط ٢٠٠٩): *L'ORf,* 10 février 2009, p. 4.

[٣٤٧] رج المقترح ٣٥.

[٣٤٨] المقترح ١١.

[٣٤٩] رج بندكتوس السادس عشر، الرسالة العامّة، **الله محبّة** (٢٥ كانون الأوّل ٢٠٠٥)، رقم ٢٥: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٨ (٢٠٠٦)، ص ٢٣٦-٢٣٧.

بساطةَ قلبِ مَن يجد غناه الحقيقيَّ في الله، ويضع رجاءه فيه، وليس في خيرات هذا العالم. لا تستطيع الكنيسة أَن تخيّب الفقراء: «إنّ الرعاة مدعوّون للاستماع إليهم، والتعلّم منهم، وتوجيههم في إيمانهم، وتحفيزهم ليكونوا صانعيّ تاريخهم الخاصّ»[٣٥٠].

وتعرف الكنيسة أيضًا أنَّ هناك **فَقْرًا** هو فضيلةٌ، يجب تنميتها واختيارها بحرّيّة، كما فعل قدّيسون عديدون، وأنّ هناك أيضًا **بؤسًا**، غالبًا ما يكون نتيجة مظالم تسبّبها الأَنانيّة التي تغذّي النزاعات، وعوارض هذه الأَنانيّة هما العوز والجوع. عندما تبشّر الكنيسة بكلمة الله، تعرف أَنّه عليها أن تعزّز «دائرة فاضلة» بين الفقر الذي يجب «اختياره»، والفقر الذي تجب «محاربته»، مكتشفة من جديد أنّ «القناعة والتعاضد هما قيمتان إنجيليّتان وفي الوقت عينه عالميّتان [...]، وهذا يتضمّن خياراتِ عدالةٍ واعتدال»[٣٥١].

كلمة الله وحماية الخلق

١٠٨. يدفعنا الالتزام في العالم، الذي تتطلّبه "الكلمة" الإلهيّة، إلى أَن ننظر بعيون جديدة إلى الكون بأَسره الذي خلقه الله، والذي يحمل في ذاته آثار "الكلمة" الذي به كان كلّ شيء (رج يو ١: ٢). في الواقع، تقع علينا أيضًا، كمسيحيّين ورسل الإنجيل، مسؤوليّةٌ تجاه الخليقة. إذا كان الوحي يعرّفنا بتدبير الله في الكون، من جهّة، فإنّه يحملنا على التنديد بمواقف الإنسان الخاطئة، من جهة ثانية، عندما لا يقرّ بأنّ كلّ شيء يحمل طابع الخالق، بل يعتبره مادّة بسيطة يتلاعب بها بدون وخْز ضمير. هكذا يتّضح أنّ الإنسان ينقصه التواضع الأَساسيّ الذي يسمح له باعتبار الخليقة كعطيّة من الله، يجب أن يقبلها ويستخدمها بحسب قصده. وعلى العكس من ذلك، إنّ جسارة الإنسان الذي يعيش كما لو كان الله غير موجود، تحمله إلى استغلال الطبيعة وتشويهها، إذ يرفض أَن يرى فيها عملاً من أَعمال "الكلمة" الخالقة. إنطلاقًا من هذه النظرة اللاهوتيّة، أودّ أَن أُعيد تأكيدات آباء السينودس الذين ذكّروا بأنّ «تلقّي كلمة الله الذي يشهد له الكتاب المقدّس وتقليد الكنيسة الحيّ، يولّد طريقة جديدة لرؤية الأَشياء، معزّزًا علمَ بيئةٍ أصيلاً يغرز جذره الأعمق في طاعة الإيمان [...]، ومنمّيًا حسًّا لاهوتيًّا متجدّدًا تجاه

---

[٣٥٠] المقترح ١١.

[٣٥١] بندكتوس السادس عشر، **عظة** (١ كانون الثاني ٢٠٠٩): *L'ORf,* 6 janvier 2009, p. 12.

جودة كلّ الأَشياء التي خُلقت بالمسيح»[٣٥٢]. فالإنسان بحاجة إلى أن يتربّى من جديد على الإندهاش، وعلى التعرّف إلى الجمال الحقيقيّ الذي يبان في الأشياء المخلوقة[٣٥٣].

كلمة الله والثقافات

قيمة الثقافة لحياة الإنسان

١٠٩. يكشف إنجيل يوحنّا، حول تجسّد الكلمة، عن الرباط الذي لا ينفصم بين **كلمة الله** و**الكلام البشريّ** الذي به يتواصل اللهُ معنا. انطلاقًا من هذا الاعتبار، توقّف سينودس الأَساقفة على العلاقة بين كلمة الله والثقافة. في الواقع، لا يكشف الله ذاته للإنسان بطريقة مجرّدة، إنّما بتبنّي لغات وصور وعبارات مرتبطة بثقافات مختلفة. نتكلّم هنا عن علاقة خصبة مشهود لها بوفرة في تاريخ الكنيسة. واليوم، تدخل هذه العلاقة في طور جديد، يقتضيه اتّساع وتجذّر الأَنجلة داخل ثقافات متعدّدة، والتطوّرات الأَكثر حداثة في الثقافة الغربيّة. هذا يتضمّن، قبل كلّ شيء، الاعتراف بأهمّيّة الثقافة ذاتها في حياة كلّ إنسان. إنّ ظاهرة الثقافة في أَوجهها العديدة تظهر فعلاً كعنصر مكوّن للاختبار الإنسانيّ: «يعيش الإنسان دائمًا بحسب ثقافة خاصّة به، وهي بدورها تخلق بين البشر رابطًا خاصًّا بهم، إذ تحدّد الطابع الإنساني والاجتماعي بين الناس للوجود البشري»[٣٥٤].

إنّ كلمة الله قد ألهمت، طوال العصور، الثقافات المختلفة، إذ خلقت قيمًا أَخلاقيّة أَساسيّة، وتعابير فنّيّة مختارة، وطرقَ حياة مثاليّة[٣٥٥]. لذلك، وفي منظور لقاء متجدّد بين الكتاب المقدّس والثقافات، أودّ أَن أُعيد القول لجميع لاعبي الأدوار في العالم الثقافيّ أن ليس عليهم أَن يخافوا من الانفتاح على كلمة الله، التي لا تهدم أبدًا الثقافة الحقيقيّة، بل تكوّن حافزًا ثابتًا في البحث عن تعابير بشريّة أكثر فأكثر ملائمة وذات مغزى. كلّ ثقافة حقيقيّة، لكي تكون فِعْلاً في خدمة الإنسان، يجب أن تنفتح على ما هو أسمى، وأَخيرًا على الله.

الكتاب المقدّس كنزٌ كبيرٌ للثقافات

---

[٣٥٢] المقترح ٥٤.

[٣٥٣] رج بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **سرّ المحبّة** (٢٢ شباط ٢٠٠٧)، رقم ٩٢: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١٧٦-١٧٧.

[٣٥٤] يوحنّا بولس الثاني، **خطاب في اليونسكو** (٢ حزيران ١٩٨٠)، رقم ٦: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٧٢ (١٩٨٠)، ص ٧٣٨؛ *La DC*, n. 1788, p. 604.

[٣٥٥] رج المقترح ٤١.

١١٠. شدّد آباء السينودس على أهمّيّة تعزيز معرفة صحيحة للكتاب المقدّس لدى المثقّفين، بما في ذلك الأَوساط المعلمنة وما بين غير المؤمنين[٣٥٦]. يحتوي الكتاب المقدّس على قيم أنتروبولوجيّة وفلسفيّة أَثّرت إيجابًا على البشريّة جمعاء[٣٥٧]. علينا إعادة اكتشاف المعنى الكامل للكتاب المقدّس باعتباره كنزًا كبيرًا للثقافات.

معرفة الكتاب المقدّس في المدارس والجامعات

١١١. تكوّن **المدرسة والجامعة** إطارًا فريدًا للّقاء بين كلمة الله والثقافات. فَلْيُولِ الرعاة هذه البيئات انتباهًا خاصًّا بتعزيزهم معرفة عميقة للكتاب المقدّس، بحيث تُدرَك الانعكاسات الثقافيّة الخصبة، بما فيها تلك التي تخصّ زمننا. ولتُسهِمْ مراكز التدريس العائدة إلى الهيئات الكاثوليكيّة، إسهامًا جديدًا — يجب الاعتراف به — في تعزيز الثقافة والتربية! كما لا يجب إهمال **التعليم الدينيّ**، وذلك من خلال إعداد المعلّمين باعتناء. في حالات عديدة، يمثّل هذا التعليمُ بالنسبة إلى الطلاّب مناسبة فريدة للالتقاء برسالة الإيمان. في هذا التعليم، من المستحسَن أن تتعزّز معرفة الكتاب المقدّس، بتبديد الأَحكام المسبقة، القديمة والجديدة، وبالعمل على التعريف بحقيقته[٣٥٨].

الكتاب المقدّس من خلال التعابير الفنيّة المختلفة

١١٢. وجدت العلاقة بين كلمة الله والثقافات تعبيرًا محسوسًا في عدّة أُطر، وبخاصّة **في عالم الفنّ**. لذا، قدّر التقليد العظيم للشرق والغرب دائمًا الظاهرات الفنّيّة التي تستلهم الكتاب المقدّس، كما، مثلاً، الفنون التصويريّة، أَو أيضًا الهندسة، والأَدب والموسيقى. وأفكّر أيضًا باللغة القديمة التي تعبّر عنها **الإيقونات** التي، إنطلاقًا من التقليد الشرقيّ، انتشرت تدريجيًّا في العالم بأَسره. فمع آباء السينودس، تُعبّر الكنيسة جمعاء عن تقديرها واحترامها وإعجابها تجاه الفنّانين «المأخوذين بالجمال»، الذين تركوا النصوص المقدّسة تُلهمهم؛ لقد ساهموا في تزيين كنائسنا، وفي الاحتفال بإيماننا، وفي إثراء ليتورجيّتنا، وفي الوقت عينه، ساعد العيدد منهم على أَن يجعلوا الحقائق اللامنظورة والأَبديّة قابلةً للإدراك في المكان وفي الزمان[٣٥٩]. إنّني أَحثّ الهيئات المختصّة على أَن يُعزّزوا في الكنيسة تنشئةً متينة للفنّانين باتّجاه الكتاب المقدّس على نور تقليد الكنيسة الحيّ والسلطة الكنسيّة التعليميّة.

كلمة الله ووسائل الاتصال الاجتماعيّة

---

[٣٥٦] المرجع ذاته.

[٣٥٧] رج يوحنّا بولس الثاني، الرسالة العامّة، **الإيمان والعقل** (١٤ أيلول ١٩٩٨)، رقم ٨٠: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩١ (١٩٩٩)، ص ٦٧-٦٨.

[٣٥٨] رج **الخطوط العريضة**، رقم ٢٣.

[٣٥٩] رج المقترح ٤٠.

١١٣. إلى العلاقة بين كلمة الله والثقافات، تضاف أيضًا أهمّيّة استعمال وسائل الاتّصالات الاجتماعيّة، القديمة منها والحديثة، استعمالاً يقظًا وذكيًّا. لقد أوصى آباء السينودس بأن تكون هناك معرفة ملائمة لهذه الأدوات، وذلك بالانتباه إلى تطوّرها السريع وإلى تعدّد مستويات التفاعل، ومن خلال توظيف المزيد من الطاقات حتّى يتسنّى اكتساب الكفاءة في مختلف القطاعات، وبخاصّة في ما يُسمَّى وسائل الإعلام الجديدة، كالإنترنت، مثلاً. هناك حضور ذو مغزى للكنيسة في عالم الاتّصال الجماهيريّ، وقد تكلّمت السلطة الكنسيّة التعليميّة عن هذا الموضوع مرّات عدّة، منذ المجمع الفاتيكانيّ الثاني[٣٦٠]. يكوّن الحصولُ على طرق جديدة لنقل الرسالة الإنجيليّة جزءًا من تبشير المؤمنين المتواصل بالإنجيل، واليوم، يمدُّ الإعلامُ شبكةً تغطّي الكرة الأَرضيّة كلّها، مُعطيةً معنىً متجدّدًا لكلمات المسيح: «ما أَقوله لكم في الظلمة، قولوه أَنتم في وضح النهار، وما يُسَرُّ إليكم في الآذان، نادوا به على السطوح» (مت ١٠: ٢٧). فالكلمة الإلهيّة، بالإضافة إلى صيغتها المطبوعة، يجب أَن يتردّد صداها في طرق الاتصال الأخرى[٣٦١]. لذا، فمع آباء السينودس، أَودّ أَن أَشكر الكاثوليك الذين يلتزمون بكفاءة لصالح حضور هامّ في عالم وسائل الإعلام، متمنّيًا التزامًا أَوسع وأَكثر جدارة[٣٦٢].

من الأَشكال الجديدة الاتصال الجماهيريّ، هناك دور متزايد معترف به اليوم للإنترنت، الذي يشكّل **ميدانًا** عليه أَن يترَدّد صدى الإنجيل، مع الوعي بأنّ العالم الافتراضيّ لا يستطيع أَبدًا أَن يحتلّ مكانَ العالم الواقعيّ، وأَن الأَنجلة لا تستطيع أَن تستفيد من **الافتراضيّة** التي توفّرها **وسائل الإعلام الجديدة** من أجل إقامة علاقات هامّة إلاّ إذا تمّ البلوغ إلى **الاتصال الشخصيّ** الذي يبقى دون بديل. في عالم الإنترنت، الذي يسمح لمليارات من

---

[٣٦٠] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، قرار حول وسائل الاتصال الاجتماعيّ، من بين (الاكتشافات التقنيّة) الرائعة؛ المجلس الحبريّ للاتصالات الاجتماعيّة، تعليم رعويّ، **شركة وتقدُّم**، حول وسائل الاتصال الاجتماعيّ، منشور وفق ترتيبات المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني (٢٣ أيار ١٩٧١): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٦٣ (١٩٧١)، ص٥٩٣-٦٥٦؛ يوحنّا بولس الثاني، رسالة رسوليّة، **التطوّر السريع للتكنولوجيّات في مجال وسائل الإعلام** (٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٥): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٧ (٢٠٠٥)، ص ٢٦٥-٢٧٤؛ *La DC*, n. 2333, pp. 315-320؛ المجلس الحبريّ للاتصالات الاجتماعيّة، تعليم رعويّ حول وسائل الاتصال الاجتماعيّ بمناسبة السنة العشرين ل**شركة وتقدُّم، عصر جديد** (٢٢ شباط ١٩٩٢): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٤ (١٩٩٢)، ص ٤٤٧-٤٦٨؛ المرجع ذاته، **الكنيسة في الإنترنيت** (٢٢ شباط ٢٠٠٢): *Ench. Vat.* 66-95؛ المرجع ذاته، **الأخلاق في الإنترنيت** (٢٢ شباط ٢٠٠٢): *Ench. Vat.* 21, n. 96-127.

[٣٦١] رج **الرسالة الختاميّة**، رقم ١١؛ بندكتوس السادس عشر، **رسالة لليوم العالميّ الثالث والأربعين للاتصالات الاجتماعيّة ٢٠٠٩**؛ *La DC*, n. 2418, pp. 168-170.

[٣٦٢] رج المقترح ٤٤.

الصور بالظهور على ملايين الشاشات في العالم، يجب أَن يَظهر **وجه المسيح**، كما إمكانيّة سماع صوته، لأَنّه، «إِن لم يكن هناك مكانٌ للمسيح، فلا مكان للإنسان»[٣٦٣].

الكتاب المقدّس والانثقاف

١١٤. يُعْلمنا سرّ التجسّد، من جهة، أَنّ الله يتواصل دائمًا في تاريخ ملموس، باتّخاذه الأَطُر الثقافيّة المتضمَّنة فيه، ولكن، من جهة أخرى، إنّ "الكلمة" ذاتها تستطيع ويجب أَن تُنقل إِلى ثقافات مختلفة، من خلال تحوّلها من الداخل، بفضل ما كان يسمّيه البابا بولس السادس **أَنجلة الثقافات**[٣٦٤]. هكذا تُظهر كلمةُ الله، كما أيضًا الإِيمان المسيحيّ، طابعًا ثقافيًّا جامعًا، قادرًا في طبيعته على أن يلتقي هذه الثقافات المختلفة، وأن يجعلها تلتقي بعضها ببعض[٣٦٥].

في هذا السياق، نفهم أيضًا قيمة **انثقاف** الإِنجيل[٣٦٦]. إنّ الكنيسة جدّ مقتنعة بقدرة كلمة الله الضمنيّة على الوصول إِلى جميع الأَشخاص، مهما كان إِطارهم الثقافيّ: «ينبع هذا الاقتناع من الكتاب المقدّس بالذات الذي، بدءًا من سفر التكوين، يأَخذ توجّهًا شموليًّا (**تك** ١: ٢٧-٢٨)، ويحتفظ به بعدئذ في البركة التي وعد بها الشعوب كافّةً، بفضل إبراهيم ونسله (رج تك ١٢: ٣؛ ١٨: ١٨)، ويثبّته نهائيًّا عبر توسيع نطاق الأنجلة ليشمل "كلّ الأمم"»[٣٦٧]. لذلك، يجب ألاّ يُمزَج الانثقاف مع عمليّاتِ تأقلمٍ سطحيّةٍ، وبصورة أقلّ مع نزعةٍ توفيقيّةٍ ملتبسة تَمَسُّ فرادةَ الإِنجيلِ في محاولةٍ لجعله مقبولاً بسهولة أَكبر[٣٦٨]. إنّ المثال الأصيل للانثقاف هو تجسّد الكلمة بالذات: «تُضحي "المثاقفة"، أو "التثاقف"، حقًّا انعكاسًا لتجسّد "الكلمة"، عندما تتحوّل حضارةٌ ما وتتجدّد بالإِنجيل، الذي، إنطلاقًا من تقليده الحيّ والخاصّ، يُنتجُ تعابير مبتكرة للحياة والاحتفال والأفكار المسيحيّة»[٣٦٩]،

---

[٣٦٣] يوحنّا بولس الثاني، **رسالة لليوم العالميّ السادس والثلاثين للاتصالات الاجتماعيّة ٢٠٠٢**، رقم ٦، *La DC*, n. 2265, p. 203.

[٣٦٤] رج الإرشاد الرسوليّ، **إعلان الإنجيل** (٨ كانون الأوّل ١٩٧٥)، رقم ٢٠: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٦٨ (١٩٧٦)، ص ١٨-١٩.

[٣٦٥] رج بندكتوس السادس عشر، الإرشاد الرسوليّ ما بعد السينودس، **سرّ المحبّة** (٢٢ شباط ٢٠٠٧)، رقم ٧٨: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٩ (٢٠٠٧)، ص ١٦٥.

[٣٦٦] رج المقترح ٤٨.

[٣٦٧] اللجنة البيبليّة الحبريّة ، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥ نيسان ١٩٩٣)، IV، B؛ ص ١٠٧.

[٣٦٨] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، قرار في نشاط الكنيسة الإرساليّ، **إلى الأمم**، رقم ٢٢؛ اللجنة البيبليّة الحبريّة ، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥ نيسان ١٩٩٣)، IV، B.

[٣٦٩] يوحنّا بولس الثاني، **خطاب لأساقفة كينيا** (٧ أيار ١٩٨٠)، رقم ٦: أعمال الكرسيّ الرسوليّ ٧٢ (١٩٨٠)، ص ٤٨٧؛ *La DC*, n. 1787, p. 534.

تكون بمثابة خميرة ضمن الثقافة المحلّيّة، ومعزّزةً **بذار الكلمة** وكلّ هذه العناصر الإيجابيّة الموجودة في هذه الثقافة، فاتحةً هكذا إيّاها على قيم الإنجيل[٣٧٠].

ترجمات الكتاب المقدّس ونشره

١١٥. إذا كان انثقاف كلمة الله جزءًا لا يتجزّأ من رسالة الكنيسة في العالم بطريقة مُلزِمة، فإنّ نشر الكتاب المقدّس، من خلال عمل الترجمة الثمين إلى اللغات المختلفة، لهو وقت حاسم من هذه العمليّة. في هذا السياق، ينبغي التذكير دائمًا بأنّ عمل ترجمة الكتاب المقدّس قد بدأ «منذ زمن العهد القديم عندما تُرجم النصّ العبريّ شفويًّا إلى الآراميّة (**نح** ٨: ٨، ١٢)، ولاحقًا إلى اليونانيّة خطّيًّا. فالترجمة هي بالتأكيد دائمًا أكثر من نسخ بسيط للنصّ الأصليّ. يتضمّن الانتقال من لغة إلى أُخرى بالضرورة تغييرًا في الإطار الثقافيّ: فالمفاهيم ليست هي هي، ومضمون الرموز مختلف، لأنّها على نقيض تقاليد فكريّة وطُرق حياتيّة أُخرى»[٣٧١].

أثناء أعمال السينودس، بدا واضحًا أنّ كنائس محلّيّة عديدة ما زالت من دون ترجمة كاملة للكتاب المقدّس في لغاتها الخاصّة. كم من الشعوب هي اليوم جائعة وعطشى إلى كلمة الله، ولكنّها تبقى محرومة من «طريق مفتوح بشكل رحب إلى الكتاب المقدّس»[٣٧٢]، كما كان المجمع الفاتيكانيّ الثاني قد تمنّى! لذلك يعتبر السينودس أنّه من المهمّ، قبل كلّ شيء، تنشئة خبراء يتكرّسون لترجمة الكتاب المقدّس إلى اللغات المختلفة[٣٧٣]. فأنا أُشجّع توظيف الموارد في هذا الحقل. أودّ خاصّة أن أوصي بمساندة التزام الرابطة الكتابيّة الكاثوليكيّة، من أجل ازدياد عدد ترجمات الكتاب المقدّس، واتّساع انتشاره[٣٧٤]. فبالنظر إلى طبيعة هذا العمل، من المستحسن أن يتحقّق، على قدر الإمكان، بالمشاركة مع الجمعيّات البيبليّة المختلفة.

كلمة الله تتخطّى حدود الثقافات

١١٦. في الجدل حول العلاقة بين كلمة الله والثقافات، شعرَت جمعيّة السينودس أنّها مدفوعة إلى إعادة التأكيد على ما اختبره المسيحيّون الأوّلون منذ يوم العنصرة (رج أع ٢: ١-١٣). تستطيع الكلمة الإلهيّة أن تلج الثقافات والألسنة المتنوّعة وأن تجد فيها تعابيرها، لكنّ هذه "الكلمة" بالذات تتخطّى حدود الثقافات الخاصّة،

---

[٣٧٠] رج الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة للأساقفة ، **أداة العمل** رقم ٥٦.

[٣٧١] اللجنة البيبليّة الحبريّة ، **تفسير البيبليا في الكنيسة** (١٥ نيسان ١٩٩٣)، IV، B؛ ص ١٠٧-١٠٨.

[٣٧٢] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، الدستور العقائديّ **في الوحي الإلهيّ، كلمة الله**، رقم ٢٢.

[٣٧٣] رج المقترح ٤٢.

[٣٧٤] رج المقترح ٤٣.

وذلك بخلق شراكة بين مختلف الشعوب. فكلمة الربّ تدعونا إلى السير نحو شراكة أَوسع: «إننّا نخرج من ضيق اختباراتنا، وندخل في الحقيقة التي هي حقًّا شاملة. بدخولنا في الشركة مع كلمة الله، ندخل في شركة الكنيسة التي تعيش هذه الكلمة. [...]هذا يعني خروجًا من حدود كلّ ثقافة إلى الشموليّة التي تربطنا جميعًا، توحّدنا جميعًا، وتجعل منّا جميعًا إخوةً»[٣٧٥]. لذلك فالتبشير بكلمة الله يتطلّب دومًا، ومنّا قبل سوانا، خروجًا جديدًا، وتركًا لأُطُرنا وتصوّراتنا المحدودة، كي نترك مكانًا لحضور المسيح فينا.

كلمة الله والحوار بين الأَديان

قيمة الحوار بين الأَديان

١١٧. تعي الكنيسة أنّ الله الآب والابن والروح القدس يدخل في حوار مع البشريّة، لذا هي تقرّ أنّ اللقاء مع كلّ الناس ذوي الإرادة الحسنة هو جزء أَساسيّ من التبشير بالكلمة. واليوم، إذ تتجنّب الكنيسة كلّ أَنواع النزعات التوفيقيّة والنسبيّة، فهي تبحث عن الحوار مع الأَشخاص المنتمين إلى تقاليد دينيّة مختلفة، بحسب الخطوط التي أشار إليها إعلان المجمع الفاتيكانيّ الثاني، **في عصرنا**، الذي وسّعته سلطة الأَحبار الأَعظمين التعليميّة اللاحقة[٣٧٦]. توفِّرُ سرعةُ تطوّرِ عمليّةِ العولمةِ إمكانيّةَ العيش باتصال أَوثق مع أَشخاص ينتمون إلى ثقافات وأَديان مختلفة. نحن أَمام مناسبة هي من تدبير العناية الإلهيّة، لنُظهرَ كيف أَنّ شعورًا دينيًّا حقيقيًّا يستطيع أَن يُعزِّز بين الناس علاقاتِ أُخوّة شاملة. إنّه إذًا أمرٌ شديد الأهمّيّة أن تتمكّن الأَديان من أَن تشجّع في مجتمعاتنا، المعلمنة في الغالب، نظرةً ترى في الله الكلّيّ القدرة أَساسَ كلّ خير، وينبوعَ الحياة الأَخلاقيّة الذي لا ينضب، وسندًا لشعور عميق بالأُخوّة الشاملة.

على سبيل المثال، نجد في التقليد اليهوديّ–المسيحيّ إفادةً صريحة عن محبّة الله لجميع الشعوب، الذين جمَعَهم، سابقًا في العهد الوثيق مع نوح، في ضمّة كبيرة ووحيدة، يُرمز إليها بـ"القوس وسط الغمام" (تك ٩: ١٣، ١٤، ١٦)، والذين ينوي جَمْعَهم في عائلةٍ واحدة شاملة، حسب أقوال الأنبياء (رج أش ٢: ٢ي؛ ٤٢: ٦؛ ٦٦: ١٨-

---

[٣٧٥] بنديكتوس السادس عشر، **تأمّل بمناسبة افتتاح سينودس الأساقفة** (٦ تشرين ٢٠٠٨): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ١٠٠ (٢٠٠٨)، ص ٧٥٨-٧٦٠، *L'ORf,* 14 octobre 2008, p. 12.

[٣٧٦] من بين المداخلات العديدة من أنواع مختلفة، نذكّر بما يلي: يوحنّا بولس الثاني، الرسالة العامّة، **الربّ المحيي** ، (١٨ أيار ١٩٨٦) : **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٧٨ (١٨٨٦)، ص ٨٠٩-٩٠٠؛ المؤلّف ذاته، الرسالة عامّة، **رسالة الفادي** (٧ كانون الأوّل ١٩٩٠): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٨٣ (١٩٩١)، ص ٢٤٩-٣٤٠؛ المؤلّف ذاته، **خطابات وعظات في أسّيزي بمناسبة يوم الصلاة للسلام في ٢٧ تشرين الأوّل** ١٩٨٦؛ *La DC,* n. 1929, pp. 1065-1083 ، وفي كانون الثاني ٢٠٠٢ صدّى لأحداث ١١ أيلول ٢٠٠١: *La DC* n. 2255, pp. 837.839-840؛ مجمع العقيدة والإيمان، إعلان حول وحدانيّة الخلاص وشموليّته في يسوع المسيح والكنيسة، **الربّ يسوع** (٦ آب ٢٠٠٠): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٢ (٢٠٠٠)، ص ٧٤٢-٧٦٥.

٢١؛ إر ٤: ٢؛ مز ٤٧). في الواقع، هناك شهادات في تقاليد دينيّة عديدة وكبرى حول الرباط الحميم القائم في العلاقة بين الله وأَخلاقيّة المحبّة لكلّ إنسان.

الحوار بين المسيحيّين والمسلمين

١١٨. من بين الأَديان المختلفة، «تنظر الكنيسة أيضًا بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد»[٣٧٧]. فهؤلاء يرجعون بإيمانهم إلى إبراهيم، ويؤدّون العبادة لله، خاصّة بالصلاة والزكاة والصوم. إنّنا نُقرّ أنّ في تقليد المسلمين وجوهًا عديدة ورموزًا وموضوعاتٍ بيبليّة. في تواصل مع خطّ العمل الهامّ للمكرّم يوحنّا بولس الثاني، أَتمنّى للعلاقات التي توحي بالثقة، والتي نشأت منذ عدّة سنوات بين المسيحيّين والمسلمين، أَن تتواصل وتنمو بروح حوار صادق ومحترم[٣٧٨]. في هذا الحوار، عبّر السينودس عن رغبته في أن يتعمّق موضوع احترام الحياة، كونها قيمة أساسيّة، وموضوع حقوق الرجل والمرأة، تلك الحقوق التي لا تُمَسّ، وكرامتهما المتساوية. وبالنظر إلى مشكلة التمييز الهامّة بين النظام السياسيّ الاجتماعيّ والنظام الدينيّ، على الأَديان أَن تسهم في سبيل الخير العامّ. يطلب السينودس من المجالس الأُسقفيّة، حيث يبدو ذلك مناسبًا ومفيدًا، تشجيعَ اللقاءات بين المسيحيّين والمسلمين، لكي يتعارفوا، في سبيل تعزيز القيم التي يحتاج إليها المجتمع، من أَجل تعايش مسالم وإيجابيّ[٣٧٩].

الحوار مع الديانات الأُخرى

١١٩. في هذه المناسبة، أودّ، بالإضافة إلى ما سبق، أَن أُبدي احترام الكنيسة للديانات التقليديّة وللتقاليد الروحيّة القديمة في سائر القارّات، تلك التي تحوي، هي أيضًا، قِيَمًا قد تشجّع على التفاهم بين الأَشخاص والشعوب[٣٨٠]. نستنتج غالبًا وجود تناغم مع قيم معبَّر عنها أيضًا في كتبهم الدينيّة، كاحترام الحياة، والتأمّل، والصمت، والبساطة في البوذيّة؛ الحسّ بما هو مقدَّس، والإماتة، والصوم في الهندوسيّة؛ وأيضًا القيم العائليّة والاجتماعيّة في الكنفوشيوسيّة. ونكتشف أيضًا بارتياح، في اختبارات دينيّة أُخرى، انتباهًا صادقًا لسموّ الله المعترَف به خالقًا، كما أيضًا احترام الحياة، والزواج، والعائلة، والشعور القويّ بالتضامن.

الحوار والحرّيّة الدينيّة

---

[٣٧٧] رج المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، بيان حول علاقات الكنيسة بالديانات غير المسيحيّة، **عصرنا**، رقم ٣.

[٣٧٨] رج بنديكتوس السادس عشر، **خطاب لسفراء البلدان ذات الأغلبيّة الإسلاميّة لدى الكرسيّ الرسوليّ، ولبعض ممثليّ الجماعة الإسلاميّة في إيطاليا** (٢٥ كانون الأوّل ٢٠٠٦): **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٩٨ (٢٠٠٦)، ص ٧٠٤-٧٠٦؛ *La DC* n. 2366, pp. 884-885.

[٣٧٩] رج المقترح ٥٣.

[٣٨٠] رج المقترح ٥٠.

١٢٠. مع ذلك، لا يكون الحوار خصبًا إن لم يتضمّن أيضًا احترامًا أصيلاً تجاه كلّ شخص، حتّى يتمكّن من الانضمام بحرّيّة إلى دينه. بينما يشجّع السينودس التعاون بين ممثّليّ مختلف الديانات، يذكّر أيضًا «بضرورة تأمين، بطريقة عمليّة، لكلّ المؤمنين، حرّيّة الاعتراف بدينهم الخاصّ، في السرّ وفي العلن، كما أيضًا حرّيّة الضمير»[٣٨١]. في الواقع، «**يتطلبّ** الاحترام والحوار المعاملةَ بالمثل في كلّ الميادين، ولا سيّما في ما يتعلّق بالحرّيّات الأساسيّة، وبالأخصّ الحرّيّة الدينيّة، وبذلك **يشجّعان** السلام والتفاهم بين الشعوب»[٣٨٢].

خاتمة

كلمة الله النهائيّة

١٢١. في نهاية هذه الأفكار التي بها أردتُ أن أجمع وأعمّق غنى الجمعيّة العامّة العاديّة الثانية عشرة لسينودس الأساقفة حول كلمة الله في حياة الكنيسة ورسالتها، أودّ أيضًا مرّة جديدة، أن أحثّ شعب الله كلّه، الرعاة، والأشخاص المكرّسين، والعلمانيّين، على الالتزام حتّى يصبحوا دائمًا أكثر إلفةً مع الكتاب المقدّس. يجب ألاّ ننسى أبدًا أنّه، في أساس كلّ حياة روحيّة مسيحيّة حقيقيّة وحيّة، **توجد كلمة الله مبشَّرًا بها، ومُحتفَلاً بها، ومُتأمَّلاً بها في الكنيسة**. يتحقّق تكثيف العلاقة هذا بكلمة الله باندفاع أكبر، بقدر ما نكون واعين أنّنا قائمون، في الكتاب المقدّس كما في التقليد الكنسيّ الحيّ، أمام كلمة الله النهائيّة في شأن الكون والتاريخ.

تقودنا مقدّمة إنجيل يوحنّا إلى التأمّل في أنّ كلّ ما هو كائن يوجد تحت علامة "الكلمة". يخرج "الكلمة" من الآب، ويأتي ليقيم بين خاصّته، ثم يعود إلى حضن الآب ليحمل معه الخليقة كلّها التي فيه وبه خُلقت. اليوم، تعيش الكنيسة رسالتها بانتظار قلق للظهور النهيويّ للعريس: «الروح والعروس يقولان: تعالَ» (رؤ ٢٢: ١٧). ليس هذا الانتظار أبدًا سلبيًّا، بل انشداد إرساليّ في التبشير بكلمة الله التي تطهّر كلّ إنسان وتفتديه: اليوم أيضًا يقول لنا يسوع القائم من الموت: «إذهبوا إلى العالم كلّه، وأذيعوا البشرى السارّة على الخليقة كلّها» (مر ١٦: ١٥).

الأناجلة الجديدة والإصغاء الجديد

---

[٣٨١] المرجع ذاته.

[٣٨٢] يوحنّا بولس الثاني، **خطاب للشباب المسلمين في الدار البيضاء في المغرب** (١٩ آب ١٩٨٥)، رقم ٥: **أعمال الكرسيّ الرسوليّ** ٧ (١٩٨٦)، ص ٩٩؛ *La DC*, n. 1903, p. 943.

١٢٢. بالنتيجة، يجب أَن يكون زمننا زمن إصغاء جديد لكلمة الله، **وزمن أَنجلة جديدة**. فإعادة إكتشاف الطابع المركزيّ للكلمة الإلهيّة في الحياة المسيحيّة يجعلنا نجد أيضًا المعنى العميق لِما ذكّرَنا به بقوّة البابا يوحنّا بولس الثاني: إستمرّوا في **الرسالة إلى الأُمم**، وباشروا بكلّ قواكم **بالأَنجلة الجديدة**، خاصّة في البلدان حيث الإنجيل منسيٌّ، أَو هو يشكو من لامبالاة العدد الأَكبر، بسبب العلمنة المتفشّية. فليوقظ الروح القدس لدى الناس الجوع والعطش إلى كلمة الله، وليحرّكْ رسلاً غيارى وشهودًا للإنجيل.

وعلى مثال رسول الأُمم العظيم، الذي تحوّل بعد أَن سمع صوت الربّ (رج أع ٩: ١-٣٠)، فلنصغِ نحن أيضًا إلى كلمة الله التي تدعونا دائمًا بطريقة شخصيّة هنا والآن. يخبرنا سفر **أَعمال الرسل** أنّ الروح القدس احتفظ ببولس وببرنابا للوعظ ولنشر البشرى السارة (رج أع ١٣: ٢). واليوم أيضًا لا يزال الروح القدس يقيم مستمعين ورسلاً لكلمة الربّ مقتنعين ومُقنعين.

الكلمة والفرح

١٢٣. كلّما عرفنا أن نكون مهيّأين للكلمة الإلهيّة، كلّما تمكّنّا من أَن نستنتج أنّ سرّ العنصرة "يعمل" اليوم أيضًا في كنيسة الله. لا يزال روح الربّ يفيض عطاياه على الكنيسة، لكي نكون منقادين إلى الحقيقة كلّها، فاتحًا لنا معنى الكتاب المقدّس، وجاعلاً منّا رسلاً لكلمة الخلاص أَهلاً للتصديق. نعود هكذا إلى **رسالة يوحنّا الأُولى**. من خلال كلمة الله، نحن أيضًا سمعنا ورأينا ولمسنا "كلمة" الحياة. لقد تلقّينا بنعمةٍ البشارةَ التي مَفادُها أنّ الحياة الأَبديّة قد ظهرت، لكي نعترف بأنّنا في شركة بعضنا مع بعض، ومع الذين سبقونا في الإيمان وهم مطبوعون بعلامة الإيمان، ومع كلّ الذين عَبْرَ العالم كلّه، يسمعون "الكلمة"، ويحتفلون بالإفخارستيّا، ويحملون بحياتهم شهادةَ المحبّة. لقد تمّ تقاسم هذه البشارة معنا، كما يذكّرنا الرسول يوحنّا، لكي «يكون فرحنا كاملاً» (١ يو ١: ٤).

لقد أتاحت لنا جمعيّةُ السينودس أن نختبر مضمون الرسالة اليوحنّاويّة: يخلق التبشير بالكلمة **الشركة** ويحمل **الفرح**؛ إنّه فرحٌ عميقٌ يتدفّق من صميم الحياة الثالوثيّة بالذات، ويصل إلينا في الابن؛ إنّ هذا الفرح هو عطيّة فائقة الوصف لا يمكن للعالم أن يعطيَها. يمكن تنظيم احتفالات، ولكن ليس الفرح. فحسب الكتاب المقدّس، إنّ الفرح هو إحدى ثمار الروح القدس (رج غل ٥: ٢٢)، يسمح لنا بأن نلج "الكلمة"، وأن نعمل لجَعْل هذه الكلمة الإلهيّة تدخل فينا، وتحمل ثمرًا للحياة الأَبديّة. عندما نبشّر بكلمة الله بقوّة الروح القدس، نتمنّى أيضًا التشارك في ينبوع الفرح الحقيقيّ، لا الفرح السطحيّ والعابر، بل الفرح المنبثق من وعينا أنّ الربّ يسوع وحده عنده كلام الحياة الأَبديّة (رج يو ٦: ٦٨).

«أمّ الكلمة وأمّ الفرح»

١٢٤. تظهر هذه العلاقة الحميمة بين كلمة الله والفرح بوضوح لدى أمّ الله. فلنذكّرْ بكلام القدّيسة إليصابات: «طوبى للتي آمنت بأنّ ما قيل لها من لدن الربّ سوف يتمّ» (لو ١: ٤٥). إنّ مريم هي طوباويّة لأنّ عندها إيمانًا، ولأنّها صدّقَتْ، وبهذا الإيمان قبلت في أَحشائها كلمة الله لكي تعطيه للعالم. يقدر الآن الفرح الآتي من "الكلمة" أن يمتدّ إلى كلّ الذين بالإيمان يفسحون المجالَ لكلمة الله أن تحوّلهم. يقدّم لنا إنجيل لوقا، من خلال نصّين، سرَّ الإصغاء والفرح هذا. فيسوع يؤكّد: «إنّ أُميّ وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها» (لو ٨: ٢١). وتجاه هتافِ امرأةٍ أَرادت، وسطَ الجماهير، أَن تُطَوِّبَ البطنَ الذي حمله والثديَين اللذين أرضعاه، كشف يسوع سرَّ الفرح الحقيقيّ قائلاً: «بل طوبى للذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها» (لو ١١: ٢٨). يدلّ يسوعُ على العَظَمَةِ الحقيقيّة التي لمريم ، جاعلاً هكذا كلاًّ منّا قادرًا على الحصول على هذه الطوبى التي تولد من الكلمة التي يتمّ تلقّيها والعمل بها. لذلك أُذكّر جميع المسيحيّين بأنّ علاقتنا الشخصيّة والجماعيّة بالله تعتمد على ازدياد إلفتنا مع الكلمة الإلهيّة. أَخيرًا، أُوجّه كلامي إلى جميع الناس، وكذلك إلى الذين ابتعدوا عن الكنيسة، الذين تركوا الإيمان، أَو الذين لم يسمعوا أَبدًا بشارة الخلاص. إنّ الربّ يقول لكلّ واحد: «ها إنّي أقف على الباب وأقرع. إن يسمعْ أحدٌ صوتي ويفتحِ الباب، أدخل إليه وأتعشّى معه، ويتعشّى معي» (رؤ ٣: ٢٠).

فليأخذْ هكذا كلُّ يومٍ من حياتنا شكلاً مبنيًّا على لقاء متجدّد بالمسيح،

فليتشكّلْ إذًا كلُّ يومٍ من حياتنا بلقاءٍ متجدّدٍ بالمسيح، كلمة الآب المتجسّد: إنّه في الأَصل وفي النهاية، «وكلّ شيء به قائم» (كول ١: ١٧). فلنصمتْ من أجل أن نصغي إلى كلمة الربّ، ونتأمّل بها، لكيما، بفعل الروح القدس، يمكنها أن تستقرّ في قلبنا، وتكلّمنا كلّ أيّام حياتنا. وهكذا، تتجدّد الكنيسة وتجدّد شبابها بفضل كلمة الربّ التي تدوم إلى الأَبد (رج ١ بط ١: ٢٥؛ **أش** ٤٠: ٨). وهكذا نستطيع نحن أيضًا أَن ندخل في الحوار الزوجيّ الكبير الذي به يُختَتم الكتاب المقدّس: «الروح والعروس يقولان: "تعال!" [...] والشاهد على كلّ هذا يعلن: "نعم أَنا آتٍ بدون إبطاء". آمين! تعال، ايّها الربّ يسوع!» (رؤ ٢٢: ١٧، ٢٠).

أعطي في روما، قرب القدّيس بطرس، في ٣٠ أَيلول ٢٠١٠، ذكرى القدّيس إيرونيموس، في السنة السادسة لحبريّتي.

بندكتوس السادس عشر

فهرس

صفحة

١. مقدّمة [١] . . . . . .

لكي يكون فرحنا تامًّا [٢]. . . . . .

من «كلمة الله» إلى السينودس حول كلمة الله [٣]

سينودس الأساقفة حَول كلمة الله [٤] . . . . . .

مقدّمة إنجيل يوحنّا كدليل [٥] . . . . . .

القسم الأوّل

كلمة الله، الله الذي يتكلّم

الله في حوار [٦] . . . . . .

مماثلة كلمة الله [٧] . . . . . .

بُعْدُ الكلمةِ الكونيّ [٨]. . . . . .

خَلْق الإنسان [٩] . . . . . .

واقعيّة الكلمة [١٠] . . . . . .

كريستولوجيا الكلمة [١١-١٣] . . . . . .

البُعْد الإسكاتولوجيّ لكلمة الله [١٤] . . . .

كلمة الله والروح القدس [١٥-١٦] . . . . .

التقليد والكتاب [١٧-١٨] . . . . . .

الكتاب المقدّس، والإلهام، والحقيقة [١٩] . .

الله الآب، ينبوع الكلمة وأصلها [٢٠-٢١] .

جواب الإنسان على الله الذي يتكلّم

مدعوّون للدخول في العهد مع الله [٢٢] . . .

الله يسمع الإنسان ويستجيب طلباته [٢٣] . .
التحاور مع الله من خلال أقواله [٢٤] . . . .
كلمة الله والإيمان [٢٥] . . . . . .
الخطيئة بكونها عدم إصغاء إلى كلمة الله [٢٦]
مريم، «أمّ كلمة الله» و«أمّ الإيمان» [٢٧-٢٨]
تفسير الكتاب المقدّس في الكنيسة
الكنيسة هي المكان الأصليّ لتفسير الكتاب المقدّس [٢٩-٣٠]
«روح اللاهوت المقدّس» [٣١] . . . . . .
نموّ البحث البيبليّ والسلطة الكنسيّة [٣٢-٣٣] . . . .
التفسير البيبليّ المجمعيّ: إشارة ينبغي تلقّيها [٣٤] . .
خطر الازدواجيّة والتفسير المعَلْمَن [٣٥] . . .
الإيمان والعقل في مقاربة الكتاب المقدّس [٣٦] . . .
المعنى الحرفيّ والمعنى الروحيّ [٣٧] . . . . . .
التخطّي الضروريّ للحرف [٣٨] . . . . . .
وحدة الكتاب المقدّس الداخليّة [٣٩] . . . . . .
العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد [٤٠-٤١] . . .
صفحات الكتاب المقدّس الغامضة [٤٢] . . . . . .
مسيحيّون ويهود أمام الكتاب المقدّس [٤٣] . . . . .
الشرح الأُصوليّ للكتاب المقدّس [٤٤] . . . . .
الحوار بين الرعاة واللاهوتيّين والمفسّرين [٤٥] . . .
الكتاب المقدّس والحركة المسكونيّة [٤٦] . . .
النتائج على تنظيم الدراسات اللاهوتيّة [٤٧] . . .
القدّيسون وتفسير الكتاب المقدّس [٤٨-٤٩] . . .

القسم الثاني

الكلمة في الكنيسة

الكنيسة تتلقّى كلام الله [٥٠] . . . . . .
حضور المسيح الراهن في حياة الكنيسة [٥١] .
الليتورجيّا مكان مميَّز لكلام الله
كلام الله في الليتورجيّا المقدّسة [٥٢] . . . . .
الكتاب المقدّس والأَسرار [٥٣] . . . . . .
كلمة الله والإِفخارستيّا [٥٤-٥٥] . . . .
الطابع الأَسراريّ لكلام الله [٥٦]
الكتاب المقدّس وكتاب القراءات [٥٧] . . .
إِعلان الكلمة وخدمة القارئ [٥٨] . . .
أهمّيّة العظة [٥٩] . . . . . .
إمكانيّة إيجاد كتاب إرشاد للوعظ [٦٠] . . .
كلمة الله، والمصالحة، ومسحة المرضى [٦١] . . . .
كلام الله وليتورجيّا الساعات [٦٢] . . . . . .
كلام الله وكتاب التبريكات [٦٣] . . . . . .
إقتراحات وعروض عمليّة لتنشيط الليتورجيّا [٦٤] .
أ- الإحتفالات بكلام الله [٦٥] . . . . . .
ب- الكلمة والصمت [٦٦] . . . . . .
ج- الإعلان الإحتفاليّ لكلمة الله [٦٧] . . . . . .
د- كلام الله في الكنيسة [٦٨] . . . . . .
هـ- حصريّة النصوص البيبليّة في الليتورجيّا [٦٩] . .
و- النشيد الليتورجيّ المستَلْهَم بيبليًّا [٧٠] . . . . . .
ز- انتباه خاصّ إِلى العميان والصمّ [٧١] . . . . . .
كلام الله في الحياة الكنسيّة
اللقاء بكلمة الله في الكتاب المقدّس [٧٢] . . . . . .

التنشيط البيبليّ للعمل الرعويّ [٧٣] . . . . . .
البُعد البيبليّ للتعليم المسيحيّ [٧٤] . . . . . .
تنشئة كتابيّة للمسيحيّين [٧٥] . . . . . .
الكتاب المقدّس في التجمّعات الكنسيّة الكبرى [٧٦] .
كلام الله والدعوات [٧٧] . . . . . .
أ- كلمة الله والخدّام المرسومون [٧٨-٨١] . . . . .
ب- كلمة الله والمرشّحون للرسامة [٨٢] . . . .
ج- كلام الله والحياة المكرّسة [٨٣] . . . . . .
د- كلام الله والمؤمنون العلمانيّون [٨٤] . . . . . .
هـ- كلمة الله، والزواج، والعائلة [٨٥] . . . . . .
قراءة الكتاب المقدّس المصلّية و«القراءة الربّيّة» [٨٦-٨٧]
كلمة الله والصلاة المريميّة [٨٨] . . . . . .
كلام الله والأَرض المقدّسة [٨٩] . . . . . .

الجزء الثالث

كلمة إلى العالم

رسالة الكنيسة: إعلان كلمة الله للعالم

الكلمة من الآب وإلى الآب (رو ١٢: ١) [٩٠] . . . .
تبشير العالم بـ "لوغوس" الرجاء [٩١] . . . . . .
من كلمة الله تولَد رسالة الكنيسة [٩٢] . . . . . .
الكلمة وملكوت الله [٩٣] . . . . . .
جميع المعمَّدين مسؤولون عن التبشير [٩٤] . . . . .
ضرورة «الرسالة إِلى الأُمم» [٩٥] . . . . . .
التبشير والأَنجلة الجديدة [٩٦] . . . . . .

كلمة الله والشهادة المسيحيّة [٩٧-٩٨] . . . . . .

كلمة الله والالتزام في العالم

خدمة يسوع في «الصغار الذين هم إخوته» (رج مت ٢٥: ٤٠) [٩٩] . . . . . .

كلمة الله والالتزام في المجتمع في سبيل العدالة [١٠٠-١٠١] . . . . . .

التبشير بكلمة الله، والمصالحة والسلام بين الشعوب [١٠٢] . . . . . .

كلمة الله والمحبّة الفاعلة [١٠٣] . . . . . .

التبشير بكلمة الله والشباب [١٠٤] . . . . . .

التبشير بكلمة الله والمهاجرون [١٠٥] . . . . . .

التبشير بكلمة الله والأَشخاص المتألّمون [١٠٦] . . .

التبشير بكلمة الله والفقراء [١٠٧] . . . . . .

كلمة الله وحماية الخلق [١٠٨] . . . . . .

كلمة الله والثقافات

قيمة الثقافة لحياة الإِنسان [١٠٩] . . . . . .

الكتاب المقدّس كنزٌ كبيرٌ للثقافات [١١٠] . . . . .

معرفة الكتاب المقدّس في المدارس والجامعات [١١١]

الكتاب المقدّس من خلال التعابير الفنيّة المختلفة [١١٢]

كلمة الله ووسائل الاتصال الاجتماعيّة [١١٣] . . . . .

الكتاب المقدّس والانثقاف [١١٤] . . . . . .

ترجمات الكتاب المقدّس ونشره [١١٥] . . . .

كلمة الله تتخطّى حدود الثقافات [١١٦] . . . . . .

كلمة الله والحوار بين الأَديان

قيمة الحوار بين الأَديان [١١٧] . . . . . .

الحوار بين المسيحيّين والمسلمين [١١٨] . . . . . .

الحوار مع الديانات الأُخرى [١١٩] . . . . . .

الحوار والحرّيّة الدينيّة [١٢٠] . . . . . .

خاتمة

كلمة الله النهائيّة [١٢١] . . . . . .

الأَنجلة الجديدة والإصغاء الجديد [١٢٢] . . . . . .

الكلمة والفرح [١٢٣] . . . . . .

«أمّ الكلمة وأمّ الفرح» [١٢٤] . . . . . .